الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

الموضوع

المنهج البياني في تفسير الشيخ الشعراوي
قصار السور نموذجا
دراسة تحليلية تطبيقية

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية

تخصص لغة ودراسات قرآنية

إعداد الطالبتين :

- برابح نسيبة
- دقموسي خضرة

إشراف الدكتور :

زيد الخير المبروك

السنة الجامعية 2015/2014

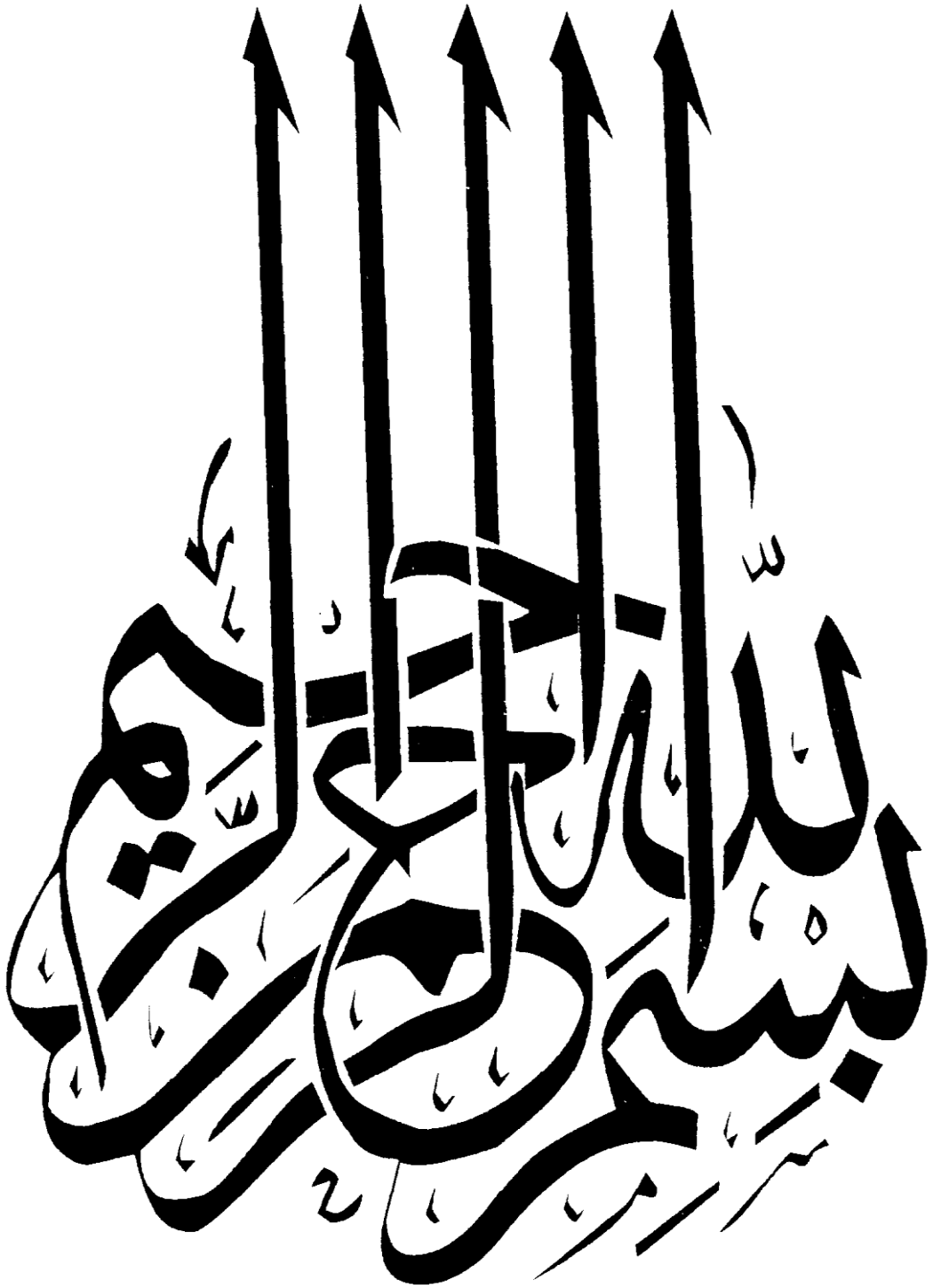
بسم الله الرحمن الرحيم

تشكرات

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى سيدنا ونبينا
وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم .
وصدق حبيب الله حين قال :
من لم يشكر الناس لم يشكر الله، ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فان لم تستطيعوا فادعوا لــه
نشكر الله ونحمده حمدا كثيرا مباركا على هذه النعمة الطيبة والنافعة، نعمة العلم والبصيرة
يشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذتنا الفاضل المشرف على هذا العمل "الدكتور زيد الخير المبروك"على مجهوداته الكريمة التي بذلها والتوجيهات التي قدمها والثقة التي وضعها في شخصنا والتي كانت حافزا
لإتمام هذا العمل المتواضع والى كافة أساتذة وإطارات كلية العلوم الإسلامية
وأخيرا نوجه شكرنا وتقديرنا إلى كل من قدم لنا يد العون من قريب أومن بعيد، وحفزنا على إتمام هذا العمل
والشكر موصول لكل من ساهم بفكرة أو نصيحة أو دعاء،
وبالله توفيقنا فهو نعم المولى
ونعم النصير

إهداء:

" وَقُلْ اِعْمَلوا فَسيَرى اللهُ عَمَلكُم ورَسُولُه والمُؤمِنون"

أهدي ثمرة هذا البحث المتواضع إلى الّذي خلقني من نطفة فسوّاني، وبرحمته هداني، ومن نور علمه سقاني، ومن الجهل أنجاني، علت حكمتك، أحمدك وأشكرك

إلى أبي فخري واعتزازي ،الذي غرس فيّ حب العلم.

إلى الّتي حملتني وهناً على وهن، ولم تنسني يوماً بالدّعاء، فكانت دعواتها طيفا يرافقني حين العمل، ، أمّي الحبيبة. حماها الله. وأطال عمرها.

إلى جدتي العزيزة

إلى جميع أفراد أسرة "برلبح" وإخوتي :

عطاءالله، سلمى، عبد القادر، فاطمة، رفيدة

لكم مني هذا الجهد المتواضع

إلى المشرف على هذا العمل المتواضع الدكتور زيد الخير المبروك

وإلى كل أساتذتي

إلى من تقاسمت معي هذا العمل "خضرة"

إلى كل من حملتهم الذاكرة ولم تحملهم المذكرة

نسيبة

إهـــــــداء

أهدي عملي المتواضع :

إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل إلى أمي الغالية أطال الله في عمرها

إلى من حملت اسمه بكل فخر أبي العزيز

إلى من سعت لتحقيق ما كنت أصبو إليه منذ أن كنت صغيرة ، وكانت الأم

الثانية ، جدتي الغالية (حدة) أطال الله في عمرها.

إلى أخي الكبير الإمام (لخضر)

إلى من قاسمتني الأفراح والأقراح، وأخذت بيدي وتحملت معي العبء والعناء في

سبيل ما أتمناه في الحياة ... (إلى نسيبة) المخلصة... أطال الله في عمرها

إلى فخر المنزل وجوهرته: ميهوب، معمر،محمد، نبيلة، سعاد، سالم، عبد الرزاق.

إلى وردة العائلة التي أستنشق عبيرها أختي الغالية : شيماء.

إلى عالم البراءة: وداد، محمد، نور الهدى، فاطمة.

إلى الذي لم يدخر جهدا في إسداء النصائح ومد يد العون..

الدكتور: زيدالخير المبروك

خضرة

مقدمة

مُقدِّمة:

الحمد لله ربّ العالمين الذي أنزل القرآن هاديا وشافيا، فشفت براهينه وآياته أعينا عميا فأبصرت، وقرعت حججه وبيّناته آذانا صُما فسمعت ووعت، وأضاءت أنواره قلوبا غُلفا فأشرقت واهتدت.

نحمده أن أنزله بلسان عربي مبين، كامل الحجة والبيان، منزه عن الزيادة والنقصان ينال المتأمل حاجته منه في كل وقت وآن، صالح ومصلح لكل زمان ومكان، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، وحوى فضائل الحكم، القائل(إن من البيان لسحرا)[1] فكان أحسن الناس منطقا وحديثا من غير تشدق ولا تعنت، ولا تقعر ولا تزمت، وعلى آله مصابيح الدجى، وأصحابه أنوار الهدى، وعلى من سار على نهجهم، وتنسم خطاهم إلى يوم الدين وبعد:

لا ريب أن تفسير القرآن العظيم، علم له منزلة عظمى وأهمية كبرى، فهو من أشرف العلوم وأسماها، حيث أن موضوعه كلام الله المعجز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المفسّر الأول للقرآن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ النحل:٤٤.

ثم حمل لواء تفسيره رجال أخلصوا لدينهم، وأخذوا على عواتقهم نشر رسالته، بإظهار إعجاز القرآن الكريم، والكشف عن مكنونه وجواهره، وحرصا على إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وكان من هؤلاء في العصر الحديث: الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ فلقد تبوأ مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة، وشهرة واسعة.

1 – أهمية الموضوع:

لقد جاء اختيارنا للكتابة في هذا الموضوع، لأهميته، وجليل شأنه في الدراسات القرآنية أولا ثم البلاغية، فللبيان منزلة عظمى في سماء البلاغة، لتشعب مباحثه، وكثرة أبوابه وفصوله، التي من شأنها أن تبرز المعنى وتظهره في أبهى حلة، ولطالما كان البيان أداة المفسرين في الكشف عن إعجاز القرآن المبين، ولذلك وقع اختيارنا على علم

[1]– أخرجه أبو داود في سننه، بيت الأفكار الدولية، كتاب الأدب،(باب ما جاء في الشعر) الحديث:5012، ص542.

من أعلام المدرسة البيانية الحديثة، ولأن هذا الجانب لم يتعرض له أحد من الباحثين قبلنا فيما وقفنا عليه من دراسات حول هذا التفسير.

2- أهداف البحث:

أما أهداف البحث فكانت تتمثل في الوقوف على أهمية البيان في الكشف عن الأسرار التفسيرية، والتعرف على التفسير البياني الذي هو لون من ألوان التفاسير المعاصرة، وكذلك لإبراز المنهج البياني الذي غلب على منهج الشيخ الشعراوي.

3- الدراسات السابقة:

ولقد وقفنا على عدد من الدراسات التي تناولت تفسير الشعراوي بالبحث والدراسة، أو تناولت جوانب أخرى من تفسيره، غير أنها لم تتناول الجانب البياني تناولا مستقلا بارزا عند الشعراوي ـ رحمه الله ـ وهي على النحو الآتي:

- منهج الشيخ محمد متولي الشعراوي في تفسير القرآن الكريم:

رولى أحمد محمد محسن، إشراف الدكتور أحمد عباس البدوي، جامعة آل البيت، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، الأردن، نوقشت في 19 /2000/10 م تقع في 214 ص، وقد تناولت هذه الدراسة المنهج العام للشيخ الشعراوي في تفسيره، كما أنها قد تناولت الجانب اللغوي فيه بالموازاة مع الجوانب الأخرى، ولقد أجادت الباحثة ونفعت في دراستها تلك.

- منهج الشيخ الشعراوي في تفسير القرآن الكريم:

وهو كتاب طبع حديثا لصاحبه الدكتور:عثمان عبد الرحيم القميحي بمصر، لكننا لم نستطع الوقوف عليه.

- موقف الشيخ الشعراوي من قضايا العقيدة، عرض ونقد:

ماجد عمر حمدان، بإشراف الدكتور محمود يوسف الشوبكي،1423هـ/2002م، الجامعة الإسلامية بغزة، ولقد تناول فيه الجانب العقدي في تفسير الشعراوي.

4- إشكالية البحث:

فمن هو الشيخ الشعراوي ؟ وما طبيعة عصره؟ وكيف كان تفسيره ؟ وما المقصود بالمنهج البياني في التفسير؟وهل احتوى تفسير الشيخ الشعراوي على المنهج البياني أم لا؟

5- المنهج المتبع:

أما ما يخص عملنا في هذه الدراسة: فقد اعتمدنا على تفسير الشيخ الشعراوي لجزء عم المطبوع، من خلال ثلاثة نسخ: نسخة (المختار من تفسير القرآن الكريم) دار الشهاب، الجزائر والتي تعاونت في طبعه مع مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، لكنها لا تحتوي على تاريخ الطبع والنشر، ونسخة (المنتخب من تفسير القرآن الكريم) دار العودة بيروت- لبنان، 1981.

وكذلك اعتمدنا على طبعة دار الراية (تفسير جزء عم) 1429 هـ/2008 م، وهي طبعة إلكترونية، كما رجعنا أيضا إلى تفسيره للقرآن الكريم، وهو غير كامل يحتوي على عشرين جزءًا، كما أنه لا يحتوي على تاريخ النشر والطباعة.

واعتمدنا أيضا على النسخة الصوتية من تفسير الشعراوي، لأن تفسيره كما هو معلوم أصله مصوّر، ثم أفرغ في نسخ مطبوعة دون تحقيق منه، فقد أذن بطباعته، ودور النشر تكفلت بصياغة بعض مفردات اللهجة العامية.

كما أنه تعذّر علينا الحصول على بعض المصادر، فاعتمدنا على الموسوعة العلمية للكتب المصورة، ورجعنا إليها، لكنها لا تحتوي على تاريخ الطبع، كما أنه تعذر علينا الحصول على كتاب الشيخ أمين الخولي(التفسير معالم حياته منهجه اليوم) فاعتمدنا على رسالة الباحث فهد الرومي(اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجري) وذلك من أجل نقل آرائه في خطوات السير على المنهج البياني وتأصيله.

أما المنهج الذي سلكناه في هذه الدراسة، هو المنهج الاستقرائي، حيث قمنا باستقراء المادة البلاغية، التي اشتمل عليها التفسير قدر المستطاع، وجمع الأمثلة المتعلقة بكل مطلب، ومزاوجة ذلك بالمنهج التحليلي، بعد دراسة المادة العلمية وتحليلها من خلال نماذج تطبيقية من الآيات القرآنية.

6- الخطة العامة للبحث:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون في مدخل بعنوان، (الشيخ الشعراوي رحلة حياة) تحدّثنا فيه عن حياة الشعراوي وطبيعة عصره باختصار، فالمؤلفات كثيرة في هذا المضمار، كما قمنا بتعريف تفسيره الذي هو محل دراستنا.

– أما الفصل الأول فهو مكرّس لتاريخ التفسير البياني، وأولياته ونهاياته، بعنوان (التفسير البياني من النشأة إلى التأصيل)، فعرّجنا فيه بداية على أهمية البيان في التفسير، ومسار التفسير البياني، الذي تتبعنا فيه لمحات المنهج البياني منذ عصر نزول القرآن إلى يومنا هذا باختصار، كما أننا أوردنا فيه بعضا من مباحث علم البيان وأثرها في إجلاء المعاني القرآنية، أما المبحث الثاني فيه فقد خصصناه للحديث عن التفسير البياني، وتطرّقنا فيه لتعريفه، وتطوره، وتأصيله، وخطوات السير فيه، ولقد اخترنا ذلك التقسيم لأن المنهج البياني ظهر مع نزول القرآن، أما التفسير البياني كمصطلح فهو لون من ألوان التفسير الحديث.

– أما الفصل الثاني من دراستنا فهو مخصص لإبراز الجانب البياني من تفسير الشعراوي، حيث قمنا بتتبع منهجه التفسيري، مع مقارنته بالبيانيين، من خلال نماذج تطبيقية من قصار السور، ثم خلصنا إلى ملامح التفسير البياني عنده من خلال عرض موجز لما أفاد فيه من توجيهات المفسرين قبله، وما تفرّد فيه من البيان وحده، ثم تطرّقنا لربط علاقة منهجه البياني بالمعاني التي استخلصها من خلال إفادته من العلوم اللغوية، كالدلالات والنحو والبلاغة، مما كان له الأثر الكبير في ترسية المعاني عند الشعراوي، وكذلك لم نغفل عن أثر القراءات في توجيه المعاني البيانية عنده.

ثم انتهينا إلى خاتمة سجّلنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها مع بعض التوصيات.

كما قمنا بتضمين البحث بفهارس، ذكرنا في الفهرس الأول تحليلا للمصادر والمراجع، التي استفدنا منها في هذه الدراسة، والفهرس الثاني كان للآيات القرآنية مرتبة حسب ورودها في الرسالة، أما الفهرس الثالث كان للأحاديث النبوية مرتبة حسب ورودها في الرسالة، والفهرس الرابع خصصناه للمضامين.

وفـي الأخـير نتقدم بالشكر الخالص لأستاذنا الفاضل، الدكتور(زيد الخير المبروك) ـ حفظه الله ـ الذي تفضّل مشكورا بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وأعطانا من وقته الثمين، نسأل الله العلي القدير أن يجزيه عنا أحسن وأفضل ما جزى عالما عن أمته وعلمه وإحسانه، والشكر موصول للجنة المناقشة الذين تفضلوا مشكورين بقبول مناقشة هذه الرسالة.

وبعد، فهذا بحثنا المتواضع الذي بذلنا فيه غاية الوسع ومنتهى الجهد، فنرجو أن نكون قد وفقنا في عرض أفكاره للمهتمين بهذا النوع من الدراسة، ونستغفر الله على ما أخطأنا، ونشكره على ما أحسنا، والله نسأل أن ينفع به ويجعله خالصا لوجهه الكريم، إنه سميع قريب.

المدخل

الشيخ الشعراوي رحلة حياة

قال الشيخ الشعراوي بأدبه الجم : " مجرد طلب مذكرات حياتي شهادة لي، بأن حياتي أصبحت موضوع دراسة "[1].

لأن حياة الشيخ والإمام الشعراوي، كانت ذات أوجه متعددة، منها ما كان بينه وبين ربِّه، ومنها ما كان بينه وبين أهله، ومنها أيضا ما كان بينه وبين الناس خاصتهم وعامتهم، وعليه فإننا سنحاول في هذا المدخل إبراز بعض جوانب القوة والعبقرية في شخصيته، من خلال المواقف التي تعرض لها في حياته، وكان لها دور هام في إظهار وتوضيح القوى الخفية التي أثّرت في صنع شعبيته، إلى أن أصبح الآن يسكن قلب وعقل كل مؤمن في الأمة الإسلامية.

أولا– حياته :

1– اسمه ونشأته:

"هو محمد متولي الشعراوي، ولد16 أبريل 1911، الموافق لـــ 17 من ربيع الثاني، عام 1929 هـــ، بقرية دقادوس"[2] وهي قرية من القرى المصرية القديمة، التي تقع على بعد عشرات الأمتار، من مدينة ميت غمر بمحافظة الدقهلية.

وردت في معجم البلدان"(دقدوس: بوزن قَرَبوس: بليدة من نواحي مصر في كورة الشرقية"[3].

حفظ القرآن كاملا في سن الحادية عشر من عمره، فأظهر نبوغا وتفوقا منذ نعومة أظافره، كما أنه كان مغرما بالشعر وعلومه منذ الصغر.

فنجد أن الطفولة بكل مالها وما عليها، كانت هي الأهم بين كل المراحل الأخرى من حياته، لأنها هي التي شكّلت شخصيته، وطريقة تفكيره، وحثته على التدبر والتأمل في كل ما حوله، بحيث أن كل خطوة في مشوار حياة الشيخ، كانت تسير بدقة متناهية تؤكد أن الله عز وجل، هو الذي رسم له وقدّر له أن يصبح في يوم من الأيام ذلك الفقيه العالم.

---

[1]- محمد زايد: مذكرات إمام الدعاة، دار الأخبار، ط4، 1995 م ،صيدا- بيروت، ص 23

[2]- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير و الإقراء والنحو واللغة، إعداد مجموعة باحثين، ط1، 1424هـ ، ص 2340

[3]- ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397 هـ/1977 م، مج 458/2

2- الحياة العلمية:

التحق الشيخ بمعهد الزقاقيق وحصل على شهادة الابتدائية، وأظهر تفوقا ونجاحا بحصوله على المركز الأول، ثم حصل على شهادة الثانوية الأزهرية سنة 1936م، وظل بالأزهر ما قارب الخمسة عشر سنة، كانت خير معين ينهل منه علوم اللغة والدين، مما ساعده على توسيع مداركه، والتأمل في النص القرآني، الذي ظهر فيما بعد في شكل خواطره الإيمانية.

أ- الأساتذة الذين تعلّم على أيديهم:

- الشيخ عبد الرحمن الشهابي
- إبراهيم حمروش
- محمد محي الدين عبد الحميد
- محمد بن مصطفى بن محمد المراغي

ب- ومن أهمّ تلاميذه :

- الشيخ الجميلي
- محمد صديق المنشاوي
- سامي محمد متولي الشعراوي

3- الحياة العملية:

عُيّن مدرسا للتفسير والحديث، بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز، بمكة المكرمة سنة 1951، وعُيّن وكيلا بمعهد طنطا الأزهري 1960، ثم عيّن مديراً للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف بمحافظة الغربية 1961، كما عمل مفتشاً للعلوم العربية بالأزهر 1962، ثم عيّن مديرا بمكتب شيخ الأزهر 1964 واختير رئيسا لبعثة الأزهر في الجزائر 1966، وعين أستاذا زائرا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة عام 1972، ثم اختير وزيرا للأوقاف في وزارة ممدوح سالم 1976 وسافر إلى لندن للمشاركة في المؤتمر الاقتصادي، كما أنه زار مراكز لحضور اجتماعات المؤتمر الإسلامي الأسيوي الأول، وأعيد اختياره كوزير أوقاف 1977، ثم عيّن عضوا بمجمع البحوث الإسلامية 1980، وألقى خطابه الشهير في الأمم المتحدة 1983.

ثانيا- تصور عن طبيعة عصره:

عاش الشيخ الشعراوي في القرن العشرين الميلادي، فهو من العلماء المعاصرين، وقد عايش وواجه تيارات سياسية، واجتماعية ودينية وعلمية وثقافية مختلفة، وسنتناول باختصار هذه التيارات التي كانت في فترة حياته.

1- الحياة السياسية:

" تتميز مصر بموقع جغرافي فريد متميز عن باقي دول العالم ، وهذا الموقع أعطاها مزايا إستراتيجية وحضارية، بقدر ما جلب إليها أطماع القوى المتطلعة إلى بسط سيطرتها على المنطقة، لقد عاشت مصر في ظل دولة الخلافة العثمانية عزيزة كريمة حتى احتل الانجليز مصر سنة 1882م، و سيطر الانجليز على مرافق البلاد وإدارتها، واستأثرواْ بها، واتبعوا سياسة الإرهاب ففرضوا القوانين التي تقيد الحريات، وامتلأت السجون بالمواطنين، وألغيت حرية الصحافة، لم يسكت المصريون عن المطالبة بالاستقلال، وإنهاء الاحتلال، واستمر الكفاح حتى اضطرت بريطانيا إلى إعلان استقلال مصر عام 1912 م، وسعت بعد ذلك لتربط مصر بعجلة السياسة البريطانية.

فقامت ثورة 1919م بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، في 11 نوفمبر 1918، بقيادة سعد زغلول، ومنذ ذلك التاريخ تشكّل الوفد المصري"[1].

وكانت علاقة الشيخ الشعراوي بحزب الوفد علاقة صداقة، فقد كان يميل إلى الانضمام إليهم، وكان يشارك في المظاهرات، والخطب مما أدى إلى سجنه لمدة ثلاثين يوما.

وعليه فقد أثّرت الحياة السياسية في مصر على الشيخ الشعراوي تأثيرا سلبيا، حيث أن علاقته بالسياسة، اصطدمت مع واقعه الدعوي، في كثير من الأحيان، فاختلافه مع جماعة الإخوان المسلمين، التي كان ينظم إليها كان بسبب خصومتهم مع حزب الوفد.

كما كانت له علاقات مع الرؤساء والأحزاب السياسية، فقد لعب دورا سياسيا هاما في تاريخ مصر.

---

[1]- ماجد ابراهيم حمدان: موقف الشيخ الشعراوي من قضايا العقيدة ، المرجع السابق، بتصرف، ص 1 وما بعدها

2- الحياة العلمية والثقافية:

"منذ أن بني الأزهر، وهو يقوم بدور كبير، في مجال نشر الثقافة الإسلامية، في العالم الإسلامي بصفة عامة، وعالم البحر المتوسط بصفة خاصة، وقد استمد الأزهر الحيوية الفكرية من موقع مصر الإستراتيجي، وتولى الأزهر الحفاظ على المسيرة الفكرية للعالم الإسلامي بعد سقوط بغداد، وتدمير المغول لمراكز الفكر الإسلامي، فشهدت مصر عصرا ذهبيا في مجال الفكر والثقافة والحضارة بفضل الأزهر.

ومن أهم الثقافات التي أثرّت على الثقافة المصرية آنذاك، الثقافة الفرنسية والإيطالية، وكان للاستعمار الإنجليزي دوره السلبي في الحياة الثقافية والعلمية، حيث أصبح التعليم بمصاريف باهظة، ووضعواْ سياسة تعليمية تقضي بتخريج موظفين للدولة، فامتلأت المدارس المصرية بالمدرسين الإنجليز، وأصبحت اللغة الإنجليزية لغة التعليم، وانتشرت الأمية"[1].

و في الحين ذاته نشأ جيل جديد ينادي بالأخذ بالحضارة الغربية كما هي حلوها ومُرها، وهذا ما جعل الشيخ الشعراوي يتخذ موقفا ضدهم ويرد عليهم، كردّه على توفيق الحكيم وغيره.

3- الحياة الاجتماعية:

لقد اهتم الإسلام بالمجتمع اهتماما كبيرا منذ فجره الأول، و حرص على أن يكون قويا متكافلا ومتحاباقَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الحجرات: ١٠

ولقد حاول الغرب الصليبي الحاقد السيطرة الفكرية على بلاد المسلمين عن طريق الحضارة الأوربية والثقافة الغربية بشتى الطرق والوسائل.

" لقد بدأ احتكاك المجتمع المصري بالمجتمع الغربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، ومن الشعارات المزيفة التي رفعها الغرب: شعار تحرير المرأة،

[1]- ماجد إبراهيم حمدان:موقف الشعراوي من قضايا العقيدة، المرجع السابق،ص 10-11

وهو شعار يقصدون من ورائه اجتذاب المرأة المسلمة، ثم استخدامها سلاحا في معركتهم ضد الإسلام"[1].

ولقد انقسم المجتمع المصري في تلك الفترة إلى عدّة طبقات، فظهرت المشكلات الاجتماعية، بين طبقة الأثرياء والمزارعين، ونشأ الشيخ الشعراوي في بيئة ريفية وتأثر بها، وهذا ما ساعده على بناء شخصيته الفذة، حيث اتخذ موقفا ضد كل أنواع الفساد وواجه كل الأفكار الغربية التي تحاول تدمير الإسلام من خلال زعزعة معتقدات المسلمين.

فخصّص الشيخ الشعراوي من جانبه الدعوي قسطا كبير للمرأة المسلمة، لأنها نصف المجتمع وهي التي تنشئ النصف الآخر، فكانت لها منه نصيب وافر من المؤلفات[2]، منها:

الإسلام والمرأة عقيدة ومنهج، المرأة كما أرادها الله، النصائح الذهبية للمرأة العصرية، المرأة في القرآن الكريم.

ثالثا– التعريف بتفسيره:

يعتبر تفسيره من التفاسير الحديثة التي جاءت ملائمة مع تطورات الواقع المعاصر، والتي كشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه وبيان معانيه ومراميه.

بدأ تفسيره بمقدمة ذكر فيها أن التفسير حصاد عمره العلمي، فعسى أن تكون خواطره، نبراسا لما سيأتي بعده كما قال، ولندع صاحبه يعرِّف لنا تفسيره فهو خير من يعبِّر عن عمله:

" خواطري حول القرآن الكريم لا تعني تفسيرا للقرآن، وإنما هي هبات صفائية، تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات، ولو أن القرآن من الممكن أن يُفسَّر، لكان رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أولى الناس بتفسيره، لأنه عليه نزل وبه انفعل، وله بلغ، وبه علم وعمل، وله ظهرت معجزاته.... إن رسول الله"صلى الله عليه وسلم" وهو الذي نزل عليه القرآن، فسَّر وبيَّن كل ما يتعلق بالتكليف الإيماني، وترك ما يتعلق بغير التكليف للأجيال القادمة، ويمر الزمن ويتيح الله لعباده من أسرار آياته في الأرض

[1]- المرجع نفسه، ص 12

[2]- في الأصل هي محاضرات شفوية، ثم طبعت في كتب.

ما يشاء، فيكون عطاء القرآن متساويا مع قدرة العقول ... لماذا؟ لأن الرسالات التي سبقت الإسلام كانت محدودة الزمان والمكان، أما القرآن فزمنه ممتد حتى يوم القيامة، ولذلك فلا بد أن يقدم إعجازا لكل جيل؛ ليظل القرآن معجزة في كل عصر...

ولو أن رسول الله" صلى الله عليه وسلم" فسّر كونيات القرآن وقت نزوله لجمد القرآن؛ لأنه لا أحد منا يستطيع أن يفسّر بعد تفسير رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، وبذلك يكون عطاء القرآن قد جمد، ولكن ترك رسول الله "صلى الله عليه وسلم" للتفسير أتاح الفرصة لعطاءات متجددة للقرآن الكريم إلى قيام الساعة، وهكذا كان المنع هو عين العطاء، وهذه معجزة أخرى من إعجاز القرآن الكريم.....

لهذا كان لزاما علينا أن نتأمل في القرآن الكريم تلك التأملات؛ حتى نبيّن ما فيه من آيات وأسرار...حتى يتبين لهم أنه الحق"[1].

أ- <u>مصادره فيه:</u>

المصدر الأول الذي اعتمد عليه الشيخ الشعراوي- رحمه الله- بدون شك هو تفسير القرآن بالقرآن، وقد أشار إلى ذلك في مواضع عديدة، واعتمد بصورة كبيرة على تفسيرين مشهورين وأشار إليهما أيضا:

(في ظلال القرآن) سيّد قطب – رحمه الله –،وتفسير(جامع أحكام القرآن)للإمام القرطبي – رحمه الله –، واعتمد أيضا على التفاسير التي اهتمت بالجانب البياني، مثل(الكشاف) للزمخشري .

وتوجد كتب اعتمدها ولم يشر إليها، ككتب الحديث مثل(صحيح البخاري)،و(صحيح مسلم)، وكتب التفسير بالمأثور المشهورة، مثل(تفسير القرآن العظيم)لابن كثير- رحمه الله- و(جامع البيان) للطبري- رحمه الله- واعتمد أيضا على كتب التفسير الفقهي والتفسير بالرأي، مثل(مفاتيح الغيب) للرازي – رحمه الله- وكتب السير، كسيرة ابن هشام

– رحمه الله- ولا ننسى كتب علوم القرآن، فقد لاحظنا أنه اعتمد على كتاب الإمام الزركشي – رحمه الله- (البرهان في علوم القرآن).

كما أنه بطبيعة الحال اعتمد على كتب اللغة كمعجم (لسان العرب)لابن منظور.

[1]- الشعراوي: تفسير جزء عم ، دار الراية، ص09 وما بعدها.

ب–طريقته في التفسير:

من خلال قراءتنا في تفسير الشيخ ظهر لنا أنه سار على طريقة معينة في تفسير آيات كتاب الله الحكيم، ويمكننا تلخيص أهم معالمها كمايلي:

يذكر اسم السورة دائما، وسبب التسمية لبعض السور، كما يذكر الأسامي الأخرى للسورة، ثم يذكر مناسبة السورة لما قبلها من السور، كما أنه يذكر وجه التناسب بين الآيات و يذكر سبب النزول، ومن ثم يتناول تفسير السورة آية آية، فهو يعرض الآية التي سيقوم بتفسيرها، ثم يتناول جزء من الآية فيفسِّرها، ثم ينتقل للجزء الآخر وهكذا حتى ينتهي من تفسيرها، كما أنه يذكر النواحي الإعرابية للآيات التي يرتبط فيها المعنى بالإعراب ارتباطا وثيقا كما يذكر النواحي البلاغية والنكت البيانية، وكذلك يذكر المفردات اللغوية وينبّه على الفروق فيما بينها، وتأثير تلك الفروق اللغوية على المعنى، وبعد ذلك كله يذكر التفسير والبيان لكل آية بلغة سهلة الفهم عميقة الدلالة، كما أنه يحاول من خلال تفسيره أن يبيّن الأحكام المستفادة من الآيات وما ترشد إليه من الهداية الدينية والدنيوية.

ج– **ملاحظات حول ما كتب عن منهج الشيخ الشعراوي:**

من خلال وقوفنا على بعض ما كتب عن منهجه، تبيّن لنا أنه تفسير وسعت شهرته الآفاق، حتى كتب عنه ما كتب، وقيل حوله ما قيل، لكن ما يهمنا هو آراء الباحثين في منهجه، الذين سجلوا مزاياه ومآخذه، وغاب عنهم أنه ليس كالتفاسير الأخرى، من حيث طريقة إلقائه وكتابته، وهدف صاحبه منه، فهو تفسير يحتاج لرؤية خاصة، وليس من المهم للباحث أن يتصيد المآخذ دون تفكير واعي، كالذي كتب عنه أنه لم يكترث بالمنهج الصحيح المعتمد في التفسير، وجوابنا: كيف يقارن بين تفاسير كتبها أصحابها لنخبة من الناس القارئين، وبين تفسير ألقاه صاحبه لعامة الناس، ثم أذن بطباعته ولم يحققه بنفسه، ثم إنه لا يوجد تشابه بين أسلوب الكتابة

الحرّة مع أسلوب الخطاب العام، فعلى أي أساس يقارن بالتفاسير الأخرى؟ ومع أن مفسرنا منذ البداية أعلن أنه ليس تفسير كالتفاسير الأخرى، وإنما هو على شكل خواطر.

وآخر كتب أنه تفسير يغلب عليه طابع الوعظ، وجوابنا هل هذا مأخذ؟ وما فائدة تفسير آيات الله دون أخذ العبرة منها وإرشاد الناس بها، أم أنهم يريدون جعل التفسير كالرسائل العلمية تحوي حقائق دقيقة، لكن معظمها جافة، ليس لها علاقة بالواقع المعاش، ولا يسعنا في هذا المقام أن نذكر المآخذ التي أخذت عليه بحق أو بغير حق، وذكرنا بعضا مما قيل على سبيل المثال فقط .

وفي الأخير لا يخلو جهد البشر من النقص، فالكمال لله وحده، ولكن من الخطأ أيضا أن نخرج المآخذ دون فهم الحقائق.

رابعا- رحل وما زال بيننا :

1- آثار ومأثورات:

قبل أن نبدأ في الكلام عن مصنفات الشيخ، يجدر بنا الإشارة إلى أن الشيخ لم يكتب من المصنفات إلا القليل، وإنما كانت هذه المصنفات عبارة عن دروس وخطب ومحاضرات ألقاها الشيخ، فجمعها المهتمون به وأخرجوها على هيئة كتب.

أ- كتب علوم القرآن:

- أولا تفسيره المشهور
- المرأة في القرآن الكريم
- من فيض الرحمن في معجزة القرآن
- هذا هو الإسلام
- الطريق إلى القرآن

ب- كتب العقيدة:

-معجزات الرسول
- الأدلة المادية على وجود الله
- القضاء والقدر
- الغيب

- أسماء الله الحسنى
- الشيطان والإنسان
- الحياة البرزخية وعذاب القبر
- جهنم وأهوالها وأحوال أهلها
- الحياة والموت
- السحر والحسد
- مشاهد يوم القيامة
- تعرف على أصحاب الجحيم
- مريم والمسيح
- الإسراء والمعراج
- أوصاف أهل الجنة

ج- كتب التاريخ والسير:

- قصص الأنبياء
- محمد رسول الله
- الشعراوي أنا من سلالة أهل البيت
- الهجرة النبوية
- حفاوة المسلمين بسيد المرسلين
- من هو محمد "صلى الله عليه وسلم"
- منهاج الصالحين في معرفة أوامر ونواهي رب العالمين

د- كتب الفقه:

- الصلاة وأركان الإسلام
- أحكام الطلاق
- الحج الأكبر

ه- كتب الأذكار والدعاء:

- الذكر والدعاء
- الأذكار والحكم الشعراوية

- الدعاء المستجاب

*كتب أخرى:

على مائدة الفكر الإسلامي

- الإسلام حداثة وحضارة
- كيف نفهم الإسلام
- أسئلة حرجة وأجوبة صريحة
- القرآن الكريم معجزة ومنهاج
- الفضيلة والرذيلة
- الفتاوى.

ب- من أجمل أقواله:

- لا تستخدم فمك إلا في اثنتين الابتسامة لإنهاء مشكلة، والصمت لعبور مشكلة.
- لا تعبدوه ليعطي بل اعبدوه ليرضى فإن رضي أدهشكم بعطائه
- لا تقلق من تدابير البشر فأقصى ما يستطيعون فعله معك هو تنفيذ إرادة الله.

2- وفاته:

لقد كان الشيخ الشعراوي- رحمه الله- نعمة كبيرة أنعم الله بها علينا في هذا العصر، لأنه كان من العلماء الأجلاء والرجال الأتقياء الذين حملوا همّ الدعوة إلى الله، عن طريق ما قدموه من كتب تهم العلم والعلماء، لتكون نبراسا للطلبة الذين يريدون أن ينهلوا من كتبهم الفوائد العظيمة واللآلئ الفريدة.

رحل- رحمه الله- يوم الأربعاء 22من شهر صفر1419هـ الموافق لـ1998/06/07

" رحل نعم... ولكنه ما زال في قلوبنا ...

نعم رحل...لكنه ما زال نجما ساطعا يضيء في سماء الأمة يجلجل صوته بالحق فيزهق باطل الأدعياء"[1].

[1]- إيهاب عطا: الشعراوي اللغز، المرجع السابق،ص 276

الفصل الأول:

التفسير البياني من النشأة إلى التأصيل

المبحث الأول: قضايا البيان القرآني

المبحث الثاني: مفهوم التفسير البياني وخطوات السير عليه

المبحث الأول: قضايا البيان القرآني

المطلب الأول: أهمية البيان في التفسير

المطلب الثاني: مسار التفسير البياني

المطلب الثالث: مباحث البيان وأثرها في إجلاء المعنى

المبحث الأول: قضايا البيان القرآني

المطلب الأول: أهمية البيان في التفسير

قبل أن نبرز أهمية البيان في التفسير، علينا أن نعرِّف علم البيان، ونُنَوِهَ بثمرته في الدراسات القرآنية بصفة عامة، ثم نعرِّج على أهميته الخاصة في علم التفسير.

1-تعريفه:

البيان في اللغة هو الكشف والإيضاح،فأصل هذه المادة تدور حول الظهور والوضوح، " يقال : بان الشيء: إذا اتضح، فهو بيّن واستبان الشيء: بمعنى ظهر، فالبيان ما بُيِّن به الشيء من الدلالة وغيرها، والبيان الفصاحة واللَّسن، وكلام بيّن أي فصيح، والبيان : الإفصاح مع ذكاء والبيّن من الرجال : الفصيح"[1].

فالبيان إذن الإظهار والإيضاح بأي أمر كان، يستشف هذا،من قول الجاحظ في تعريفه للبيان،عندما قال: " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير،حتى يفضي السامع إلى حقيقته،كائنا ما كان ذلك البيان،ومن أي جنس كان ذلك الدليل،لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام،فبأيشيء بلغت الإفهام،وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[2].

ومن هذه المعاني اللغوية، جاء حد البيان في اصطلاح البلغاء:" أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى، ولابد من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائما"[3].

أما ثمرته فتكمن في الوقوف على أسرار كلام العرب منثورهومنظومه،ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة وتباين في درجات البلاغة، التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم، الذي حارالجن والإنس في محاكاته وعجزوا عن الإتيان بمثله "[4].

ومن هذا المنطلق تتضح لنا أهميته في الدراسات القرآنية بصفة عامة، إذ أن من أعظم العلوم اللغوية والتي لا غنى للإنسان عنها،هي تلك العلوم المتعلقة باللسان الذي

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، اعتنى به:خالد رشيد رضا، ط1، 2008،دار الأبحاث، الجزائر، 1/ 541 - 546

[2]- الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون ، ط7 1418هـ/1998 م ،مكتبة الخانجي،بالقاهرة، مج 1/ 76

[3]- السيد أحمدالهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط1 1999،المكتبة العصرية،ص 216

[4] - المرجع السابق،ص 217

يتكلم به،ومادام حديثنا عن القرآن العربي المبين فإن حاجتنا إلى علوم اللسان العربي،هي حاجة عظيمة تنبع من حاجة الإنسان الفطرية إلى الإفصاح والبيان عما يجول بخاطره .

قال ابن خلدون: إن أركان اللسان العربي أربعة " هي اللغة والنحو والبيان والأدب،ومعرفتها ضرورية لأهل الشريعة،إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب ونقَلتُها من الصحابة والتابعين عرب، وشَرحُ مُشكلاتها من لغاتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة، وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام"[1].

وعليه فعلوم العربية على جانب كبير،من الأهمية لفهم الأحكام ،ومقررات الشرع غير أنها متفاوتة، ويقرر ابن خلدون أن ترتيب هذه العلوم حسب الأهمية هو على النحو التالي: "النحو أولا ثم علم اللغة ثانيا ثم علم البيان ثالثا ثم علم الأدب آخرا"[2]فتقسيم ابن خلدون يوحي بأن علم البيان هو في المرتبة الثالثة في الأهمية بالنسبة لعلوم اللسان العربي، ولعل صنيعه هذا يعود لجعله علم البيان من العلوم "الحادثة في الملة بعد علم العربية واللغة "[3].

ولعلّمقصوده من عبارته هذه أنه حادث في التصنيف والتأليف والتقعيد، وإلا فإن هذا العلم سابق لعلمي النحو واللغة في الوجود،إذ كان يحتاجه الخطيب في خطبتهوالشاعر في بناء قصيدته، والمتحدث ليجلي كلامه،فعلم البيان أعظم قدرا، وأعلى منزلة من غيره من العلوم لعظم الحاجة إليه، كيف لا وهولا يستغني عنه أحد، وهذا ما أكّده علماء العربية،فنجد الإمام عبد القاهر الجرجاني في مقدمة كتابه،يُشيد بفضيلة البيان حينما قال:" اعلم أن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها،ويبيِّنمراتبها،ويكشف عن صورها،ويجني صنوف ثمرها،ويدل على سرائرها،ويبرز مكنون ضمائرها، وبه أبان الله تعالى الإنسان عن سائر الحيوان،ونبَّه فيه على عظم الامتنان،فقال عز من قائل

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ **الرحمن**:1-3 ، فلولاه لم تكن لتتعدى فوائد العلم عالمه،ولا صحَّ عن العاقل أن يفتق عن أزاهير العقل كمائمه،ولتعطلّت قوى الخواطر والأفكار من معانيها، واستوت القضية في موجودها وفانيها.... ومن هاهنا

[1]- ابن خلدون: عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ط2 2009م، دار صادر،بيروت،ج1/ 441

[2] - المرجع نفسه، ص 441

[3] - المرجع نفسه، ص 445

يتبين للمحصل،ويتقرّرفي نفس المتأمِّل، كيف ينبغي أن يحكم في تفاضل الأقوال، إذا أراد أن يقسِّم بينها حظوظها من الاستحسان،ويعدل القسمة بصائب القسطاس والميزان "[1].

ثم يقرّر في موضع آخر قيمة علم البيان على العلوم الأخرى بقوله:"ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأبسق فرعا وأحلى جنى،وأعذبوردا،وأكرمنتاجا،وأنور سراجا من علم البيان، الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ويصوغ الحلي،ويلفظالدر،وينفثالسحر،ويقريالشهد،ويريك بدائع من الزهر،ويجنيك الحلو اليانع من الثمر،والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها وتصويرها إياها، لبقيت كامنة مشورة،وما استبنت لها يد الدهر صورة، ولاستمرالسرار بأهلتها،واستوى الخفاء على جملتها،إلى فوائدلا يدركها الإحصاء،ومحاسن لا يحصرهاالاستقصاء"[2].

كما تتأكد أهمية علم البيان بشرف مقصوده،وعظم ثمرته "فإن من مقاصده هو الإطلاع على معرفة إعجاز كتاب الله،ومعرفة معجزة رسول الله . صلى الله عليه وسلمإذ لا يمكن الوقوف على ذلك إلا بإحراز علم البيان والاطلاع على غوره،فإن هذا العلم على أشرف العلوم في المنقبة وأعلاها في المرتبة،وأنورها سراجاوأوضحها منهاجا،وأجمعها للفوائد وأحواها للمحامد"[3] .

ولو تأمّلنا في أقوال رسولنا الكريم،لا نجده يفتخر بشيء قدر افتخاره بما كرّمه الله به من علم الفصاحة والبلاغة، فقال عليه الصلاة والسلام: " أوتيت جوامع الكلم"[4].

ومن أجل ذلك جعل الله إعجاز أفضل كتبه المنزّلة على أفضل أنبيائه متعلقا بعلم البيان،فإن القرآن إنما كان معجزا بما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة،ولم يكن إعجازه بما اشتمل عليه من أنباء الغيب،ولا من الحكم والمواعظ وغيرها من الأوجه،وكان الإعجاز بالفصاحة والبلاغة لأنه وقع بهما التحدي .

وفي هذا الصدد قال ابن خلدون:"واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن،لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها

---

[1] - الجرجاني:عبد القاهر، أسرار البلاغة،دار المدني بجدة،مطبعة المدني بالقاهرة،ص 34

[2] - الجرجاني:عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ط5،2004م، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص 6

[3] - أحمد رضا الحسن: الاتجاه البياني في تفسير القرطبي، رسالة ماجيستير،2003 م، الأردن،ص04

4- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، الطبعة التركية، كتاب المساجد ومواضع الصلاة،باب ابتناء مسجد النبي(صلى الله عليه وسلم)، مج2 ص65

وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه،وإنما يدرك بعض الشيء منه، من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته،فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه، فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلّغه أعلىمقاما في ذلك لأنهم فرسان الكلام وجهابذته،والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحه،وأحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون،وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير ،وتتبعآي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير،لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة..."[1].

ومن قوله السابق الذكر يمكننا أن نستشف أهمية البيان في التفسير، فلقد عوّل المفسرون عليه كثيرا، فاتخذوا منه أداة لتوضيح آيات القرآن الكريم، وبذلك كان علم البيان أصلا من الأصول التي بنيت عليها التفاسير فتصدّر ساحة التفسير فأخذ منها بحظ وافر ،بدليلأنه ما خلى منه تفسير من التفاسير – خاصة المتأخرة منها– إذ يتعرض له لتوضيح جانب من جوانب النص القرآني لينفك به اللفظ،وينجلي به المعنى فضلا على أنه يبرز جماليات النص القرآني ،وما يحمله من إعجاز بياني تتجلى مظاهره في الحرف والكلمة والجملة القرآنية .

ومن هذا وذاك تتجلى لنا أهمية البيان في التفسير،فلقد عض المفسرون عليه بالنواجذ واهتموا به اهتماما بالغا لكونه الكاشف عن سر إعجاز هذا الكتاب الخالد،وهذا ما يؤكد العلاقة الوطيدة بين علم التفسير والبيان ، وهوما سنحاول إبرازه والوقوف عليه من خلال المطلب الموالي .

المطلب الثاني: مسار التفسير البياني

إن البيان القرآني يتميز بنظمه الفريد العجيب الحسن المخالف لأساليب العرب،و الصور البيانية، التي تؤلف أبدع تأليف بين أفصح الألفاظ الجزلة وأصح المعاني الحسنة، هذه الأمور هي التي اتجهت إليها طائفة من المفسرين، وأولوها اهتماما بالغا،واتسعت الدراسات حولها وكثرت، ولئن كان للعصر الحديث منها نصيب كبير، فإن جذورها تمتد إلى عصر نزول القرآن الكريم.

[1]- ابن خلدون : عبد الرحمن ،مقدمة ابن خلدون ، المرجع السابق،ص447

وقد ظن بعض المؤرخين للمنهج البياني في التفسير، خلّو صدر الإسلام منه وتجاوزه إلى ما بعده، حين ظهرت المصطلاحات البلاغية في صدر العصر العباسي، وهم يحسبون أن معرفة البيان القرآني فرع عن معرفة (المصطلاحات البلاغية) وفاتهم أن قوم الفطرة قد درسوا القرآن دراسة من يعرف مناحي البيان، وإن فاتهم معرفة مصطلاحاته التي ظهرت فيما بعد، فهم يعرفون مناحي الإيجاز والإطناب، ومواضع الحقيقة والمجاز،وقد كفانا الجاحظ مؤونة الرد على من أنكر ذلك فقال: " فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل، ولا بينهم في ذلك تفاوت، فلم ذكروا العي والبكئ والحصر والمفحم،والخطل، والمسهب والمتشدق،والمتفهقوالهمازوالثرثاروالمكثاروالمهماز؟ ولمِّ ذكروا الهُجر والهَذروالهذيان والتخليط؟ وقالوا رجل تلفاعةوتلهاعة، وفلان يتلهيع في خطبته،وقالوا فلان يخطئ في جوابه،ويحيل في كلامه،ويناقض في خبره،ولولا أن هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمى ذلك البعض و البعض الآخر بهذه الأسماء"[1].

" لا شك أن هذه الأوصاف والمسميات التي ذكرها الجاحظ ترسم الجو البلاغي الذي تنفّست فيه المعاني البيانية،قبل أن تَرسُمها المصطلاحات البلاغية المُحدثة،وفي ذلك ما يدفعنا إلى تلمس الأصول الأولى للتفسير البياني للقرآن الكريم لدى الأوائل من سامعيه "[2] وإذا تأمّلنا فإننا سنجد في تفسير الرسول . صلى الله عليه وسلم . ما يؤيد كلامنا،مثاله في ذلك بيانه عليه الصلاة والسلام للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى:

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ البقرة: 187،"ببياض النهار وسواد الليل "[3]،منتقلا بالمعنى من الحقيقة إلى المجاز، وفي تفسير الصحابة (رضوان الله عليهم)، نجد جذور التفسير البياني للقرآن الكريموبذوره،وأشهر من عُرف عنه هذا اللون من التفسير حِبر هذه الأمة عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) "ولذا اعتبر المؤرّخون للتفسير، أنه صاحب الرأي الخاصّ بتفسير القرآن تفسيرا لغويا، يرجع فيه إلى شعر العرب،لمعرفة ما قد يغمض من الألفاظ والتراكيب"[4] فتاريخ التفسير يحدّثنا مرارا عن لقاء نافع بن الأزرق بابن عباس(رضي الله عنهما).

---

[1]- الجاحظ:البيان والتبيين، المصدر السابق، مج 135/1

[2]- البيومي: محمد رجب، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم،1391هـ/ 1971، ص 11

[3]- البخاري:محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح للبخاري، تح:محب الدين الخطيب، كتاب التفسير، ط1، المطبعة السلفية،مج 198/3

[4]- البيومي : خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم ،المرجع السابق،ص 14

جاء في الرواية" بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر،قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين،فقال ابن عباس : سلاني عما بدا لكما "[1] فسأله نافع عن أكثر من مئة وثماني وثمانين مسألة، أوردها السيوطي رحمة الله تعالى عليه في الإتقان، كما أوردتها بنت الشاطئ في كتابها (إعجاز القرآن ومسائل ابن الأزرق).

ويوجد كثير من الصحابة (رضوان الله عليهم)، من عرف عنهم هذا اللون،لكننا ذكرنا ابن عباس(رضي الله عنهما)، لأنه من أشهرهم، فاقتصرنا عليه،وقد ورّث ابن عباس (رضي الله عنهما) تفسيره طائفة من تلاميذه بما فيه من جذور التفسير البياني، فجاء تفسير مجاهد متأثرا بهذا اللون من التفسير، وقد ذكر الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي – رحمه الله – جملة منه في كتابه (معجم غريب القرآن).

كل هذا كان قبل عصر التدوين، ولعل هذا ما جعل كثيرا من المؤرخين، يتجاوزون هذه المرحلة، ويضربون عنها صفحا مبتدئين تاريخهم للتفسير البياني ببداية عصر التدوين.

وأول ما يصادفنا في عصر التدوين كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى – رحمه الله– المتوفى سنة(210 هـ)،"وذلك أنه حين يتعرض للنصوص القرآنية، يشير إلى ما تدل عليه من حقيقة أو مثل أو تشبيه أو كناية، وما يتضمن من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير، فوضع بذلك اللبنة الأولى في صرح الدراسات البلاغية للقرآن الكريم، وقد يكون في ذلك بعض التجوز في التحديد، ولكنه منهج مبدئي،وله بذلك موضعه من التقدير "[2].

---

[1]- فهد الرومي: إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة دكتوراء، 1404هـ/1405هاتجاهات ،ص 967-968

[2]- البيومي :خطوات التفسير البياني، المرجع السابق،ص 46

وجاء من بعده سيل من المؤلفين في هذا المضمار، فألّف الفرّاء كتابه (معاني القرآن) ومع أنه قال:" لو حمل إلي أبو عبيدة لضربته عشرين في كتاب المجاز"[1] إلا أن كتابه جاء على شاكلة كتاب أبي عبيدة فقد غلب النحو على منهجه.

"ودراسة الكتابين توحي بإتحاد المنحى لدى الرجلين في البدء بتفسير الآيات حسب ترتيبها في المصحف، وكذلك تَبعه في إيراد المسائل البيانية من كناية وتشبيه ومثل واستعارة ومجاز"[2]، "وأتبعه كظله في تذييل تفسيره بذكر الحديث،والأمثلة الشعرية والنثرية،لبيان المعنى وتوضيحه، ومع ذلك لا يفوته أحيانا أن يورد بعض المأثور عن الصحابة والتابعين" [3].

وجاء من بعدهم الجاحظ المتوفى سنة (225 هـ)، فألّف كتابه (نظم القرآن) ومع أن الكتاب مفقود إلا أن كتب الجاحظ نفسه والدارسين من بعده لا تخلو من الإشارة إليه وبيان غرضه.

ثم جاء ابن قتيبة المتوفى سنة (276 هـ)، الذي ألّف كتابه تأويل (مشكل القرآن) ردّ فيه على الطاعنين في بلاغته، "والجاحظ كما نعلم خطيب المعتزلة وابن قتيبة خطيب أهل السنة كما يقولون " [4].

ودخل القرن الرابع الهجري الذي اختار أصحابه لهذا اللون من التفسير عنوان إعجاز القرآن"[5]، فألّف فيه أبو الحسن علي بن عيسى الرماني–المتوفى (376 هـ)– كتابه (النكت في إعجاز القرآن) وألّف أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي–المتوفى(377 هـ)–(بيان إعجاز القرآن) ومن أعلام هذا القرن أيضا أبو بكر الباقلاني– المتوفى (403هـ)–الذي ألّف كتاب (إعجاز القرآن).

ثم جاء القرن الخامس الذي اشتهر فيه عبد القاهر الجرجاني– المتوفي (471هـ)بكتابه (دلائل الإعجاز) ورسالته التي سمّاها (الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم).

---

[1]- الحموي:ياقوت، معجم الأدباء،دار المأمون،مصر،1936 م، 159/9

[2]- البيومي: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، المرجع السابق ص 59

[3]- فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، المرجع السابق، ص 971

[4]- البيومي: خطوات التفسير البياني، المرجع السابق،ص 92

[5]-عبد الرحمن:عائشة، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف،مصر، 1919م، ص 17

وجاء القرن السادس ألّف فيه أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري – المتوفي (537 هـ)– كتابه تفسير الكشاف وحسبنا به في هذا اللون من التفسير، وفي أواخر هذا القرن ألّف فخر الدين الرازي – المتوفي(606 هـ) رسالته (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز).

وفي القرن السابع وضع أبو الأصبع المصري – المتوفي (654 هـ) كتابه (بديع القرآن)وكتابه(الخواطر السوانح في أسرار الفواتح).

وفي القرن الثامن وضع الإمام يحي بن حمزة العلوي – المتوفي (749 هـ) كتابه (الطراز) الذي أملاه على أصحابه بعد أن قرءوا تفسير الكشاف طلبواْ منه أن يملي عليهم في إعجاز القرآن كتابا فأملاه عليهم.

وفي القرن التاسع ألّف برهان الدين بن عمر البقاعي – المتوفي(875هـ)، كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)،وفي أواخر هذا القرن وبداية القرن العاشر، جاء الإمام جلال الدين السيوطي– المتوفي(911 هـ)، صاحب المؤلفات والمصنفاتفي هذا الموضوع وغيره، منها(تناسق الدرر في تناسب السور).

وفي القرنين الحادي عشر والثاني عشر لم يذكر كتابا أو تفسيرا من هذا اللون حسب ما جاء عند المؤرخين.

أما القرن الثالث عشر فقد ألّف فيه شهاب الدين السيد محمود الألوسي – المتوفي(1217 هـ) تفسيره (روح المعاني) حتى عدّه بعض المعاصرين" امتدادا لتفسير الكشاف للزمخشري، وذلك في الاهتمام بالمسائل البلاغية والنحوية"[1] .

هذه إشارة سريعة ولمحة موجزة لم نقصد بها استيفاءًاولا شمولا، وإنما قصدنا بها الإشارة إلى وجود الدراسات البيانية للقرآن الكريم عند الأقدمين وتسلسلها عبر القرون ، واتصالها وترابطها مع بعضها من عصر نزول القرآن الكريم حتى القرن الرابع عشر الهجري، الذي تأصّل فيه ذلك المنهج البياني وتطور إلى أن اِستوى على سوقه، وظهر بمصطلح جديد وهو ما عرف بالتفسير البياني في العصر الحديث، وعليه يمكننا أن نقول أن المنهج البياني في التفسير، ظهر بنزول القرآن ،وظهر عند البيانيين القدماء كممارسة وتطبيق لبيان إعجازية القرآن الكريم.

[1]- فهد الرومي، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، المرجع السابق،ص 973

أما في العصر الحديث فقد اتخذ منحى جديدا وبرز بلون جديد، فأغلب تفاسير هذا العصر لا تخلو من المنهج الأدبي،وأول ما يطالعنا فيه(تفسير الظلال) سيّد قطب رحمة الله عليه، فهو في رأينا سيد التفاسير الأدبية، لأنه تعامل مع النص القرآني بذوق جديد،فأعطاه طعما آخر، ولا ننسى جهود الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله– في تفسيره(نظرات حول القرآن)، والذي يغلب عليه الطابع البياني.

أما في عصرنا الراهن فيوجد روادٌ في هذا المجال،أمثال الدكتور فاضل السامرائي الذي صبّ كل جهوده في الجانب البياني، فكان بحق رائد هذا المنهج،فله عدّة مؤلفات لا تكاد تخلو من الجانب الأدبي مثل(من أسرار البيان القرآني)و(لمسات بيانية)و(التعبير القرآني)... إلخ

وكذلك لا ننسى جهود بنت الشاطئ –عائشة عبد الرحمن– والتي قدمت نهجا رائعا في التحليل والتطبيق من خلال كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم)فكان بحق كتاب ممتاز في الجانب البياني.

والمؤلفات كثيرة في هذا المضمار، كما قال الدكتور محمد رجب البيومي في آخر كلامه:" وكان عليّ أن ألمّ ببعض رسائل الماجيستير والدكتوراه، وما ينحو نحوها ممّا أخرجته المكتبة الحديثة لمن أشبعواْ القول في بعض النواحي البيانية للقرآن...ولكن يمنع من هذا الإلمام أن لدينا كتبا معروفة كشفت البيان القرآني على أكمل وجه وأبهاه... ولن يكون الحديث أمينا صادقا عن التفسير البياني المعاصر، إلا إذا عرف الآخذ والمأخوذ،ورجع كل حق إلى صاحبه دون انتقاص"[1].

المطلب الثالث : مباحث البيان وأثرها في إجلاء المعنى:

تتنوع طرق التعبير عن المعنى المراد في علم البيان بين التشبيه والمجاز والكنايةولكل طريق من هذه الطرق المتعددة ما يميِّزها عن غيرها، وستتضح هذه الطرق وتظهر بلاغتها من خلال الوقوف عليها بأمثلة قرآنية.

أولا:التشبيه:

[1]- البيومي: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم،المرجع السابق،ص 341

جاء في لسان العرب "مادة شبه":[1]الشبه والشَّبه والتشبيه: المثل،والجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيءماثله،والتشبيه: التمثيل، وعليهفأصل هذه المادة تدور حول تشابه الأشياءوتشاكل بعضها مع البعض الآخر في صفات معينة.

ومن المعنى اللغوي لهذه المادة جاء تعريف التشبيه لدى علماء البلاغة،فقد عرّفه الخطيب القزويني بقوله: " التشبيه الدلالة على مشاركة أمر للآخر في معنى"[2] .

وأوضح من هذا التعريف ما ذكره الطوفي في كتابه (الإكسير) فقد عرّف التشبيه أنه:" إلحاق أدنى الشيئين بأعلاهما في صفة اشتركا في أصلها،واختلفا في كيفيتها قوة وضعفا"[3].

فالتشبيه إذن هو إلحاق أمر بأمر آخر، في وصف بأداة لغرض،سواء كان إلحاق أدنى بأعلى أو العكس.

ومهما اختلفت عبارات البلاغيين في تعريفه، إلا أنهم أجمعوا على أهميته وأثره في الكلام، فقد اتفقوا على شرف قدره وفخامة أمره، لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب،وفي كونه يزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويكسبها توكيدا، وفضلا، ويكسوها شرفا ونبلا، ولعبد القاهر الجرجاني كلام في التشبيه، يبيّن فيه مكانته ومنزلته في البلاغة:" واعلم أنّ ممّا إتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني،أو برزت هي باختصار في معرضه،ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته،كساهاأبّهة،وكسبهامنقبة،ورفع من أقدارها،وشَب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها،ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا،وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"[4].

وهنا يظهر أثر التشبيه في الكلام بصفة عامة في فن البلاغة،أما تشبيهات القرآن فقد تفرّدت عن غيرها وتميزت بعدة خصائص،وذلك"أن لها مقاصد عظيمة،ومضّمنة لأغراض

---

[1] - ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، مادة شبه،ج7، ص19

[2]- القزويني:الخطيب،الإيضاح في علوم البلاغة،دار الكتب العلمية،بيروت ـ لبنان،مج 2/ 217

[3]- عبد العزيز بن صالح العمار: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، جائزة دبي للقرآن الكريم، ط1، 1427هـ/2006م،ص13

[4]- الجرجاني: عبد القاهر، أسرار البلاغة،تعليق:محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة،دار المدني بجدة،ص 115

جليلة،يعقلها من ظفر في هذه الصناعة بأوفر حظ،وكان له فيها أدنى ذوق،وحام حول تلك الدقائق بذهن صاف عن كدود البلادة"[1].

وسيتّضح أثر التشبيه وبلاغته من خلال المثال القرآني لنرى أسراره البلاغيةوالجمالية،يقول الله تعالى مبيّنا موقف المشركين من القرآن، مصورا إعراضهم عنه،واستكبارهم عما جاء فيه،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾المدثر ،49-52

بدأت الآية بالاستفهام الإنكاري لحالهم وواقعهم مع القرآن الكريم وتعجبا من الإعراض عنه،يدل على هذا الاستفتاح صيغة(فمالهم)التي تدل على التعجب والإنكار،والمراد منها التعجب من إصرارهم على باطلهم ومن إعراضهم عن الحق والذكر،وقد زاد هذا الاستفهام تعجبا وإنكارا أن الذي أعرضوا عنه تذكرة لهم جاء لهدايتهم وصلاحهم ودعوتهم إلى كل ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ..."[2].

"وقد تقدم الجار والمجرور (عن التذكرة)على متعلقه(معرضين)وفي هذا بيان للأمر الذي أعرضوا عنه،ومبادرة في ذكره،والكشفعنه،كما أن فيه اهتماما بالمقدم وعناية به عناية بالغة،فيكون في هذا التقديم دعوة لهم إلى الإيمان به والإقبال عليه وعدم الإعراض عنه، وفي مجيء لفظة (معرضين)اسما، دلالة على ثبوتهم ودوامهم على هذا الإعراض،وفيه دلالة على الكفر المتأصِّل في قلوبهم،كما أن في هذه اللفظة تصوير وتجسيد لهذا العمل المشين،فقد رسمت هذه بظلالها،وبما تلقيه في خيال السامع صورة هؤلاء القوم، فكأنك تراهم شخوصا ماثلة أمام العين، وهم يعرضون عن القرآن ولك أن تسرح طرفك في هذه اللفظة، وتمعن النظر فيها لتتبدى لك منها كثير من المعاني التي تدل على هذه الصفة وتؤكدها"[3].

إذن فهذه هي حالتهم مع القرآن وذلك موقفهم منه،ولإيضاح صورة هذا الإعراض وبيانه أتم بيان ذكر –سبحانه– تشبيه هؤلاء المعرضين عن القرآن بالحمر في قوله:

---

[1]- العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية،بيروت، 330/3

[2]- عبد العزيز بن صالح العمار: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، المرجع السابق،ص 20

[3]– المرجع نفسه، ص21

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾أي كأن هؤلاء القوم في إعراضهم عنه ونفارهم منه كالحمر حين تفر ممن يريد صيدها والفتك بها،فانظر إلى هذه الصورة البيانية الرائعة التي صورت حال القوم،وهم يفرون من الداعي،ويعرضون عن الحق،بيد أن هذا الإعراض وذلك الفرار لا يزيدهم إلا حيرة واضطرابا،فما أشبههم بالحمر الوحشية النافرة الشاردة التي تهيم على وجهها فارة من أسد يريد افتراسها،وفي هذا التشبيه أسرار بلاغية جمة ونكت بيانية.

فقد شبّه القوم حين إعراضهم عن القرآن بالحمر وفي اختيار الحمر هنا دون سواها من الحيوانات، إشارة إلى بلوغهم الغاية القصوى في الجهل والبلادة والغباء، "إذ يضرب المثل بها في الحمق والبلادة"[1].

وهل ثمة أشد حمقا وغباءًاممن يعرض عمّا فيه نجاتهوفلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة،"كما يدل هذا التشبيه على شدة نفارهم وإعراضهم،إذ لا أشد نفارًا وأسرع عدوًا من حمر الوحش حين تشعر بصوت القانص لها،أو حين يهاجمها من يريد افتراسها "[2].

ومما يدل على شدة نفارها،وسرعة عدوها أن شبهت العرب الإبل بها في سرعة سيرها وخفتها،" فما أكثر ما جاء في شعر العرب تشبيه الإبل بالحمر بسرعة عدوها وشدة نفارها "[3]، وفي تشبيه هؤلاء القوم بالحمر في عدوها وخفتها دلالة على موقف أولئك المعرضين عن القرآن وتصوير دقيق لهم وقت سماعهم لتلك الآيات وتلاوتها عليهم، ولم يقتصر تشبيه هؤلاء القوم بالحمر،بل جاء تشبيههم بالحمر في أشد حالاتها خوفا وذعرا،فهي حمر مستنفرة قد راعها وأذهلها مهاجمة الأسد لها ومطاردته، وهذا سر من أسرار القرآن الكريم وخاصية من خصائص تشبيهاته، وهي تلك القيود التي يجعلها في المشبه به،وهذا ما يجعلها معبرة تعبيرا دقيقا عن الغرض المسوقة فيه،فهذه الحمر التي شبه الله – تعالى – هؤلاء القوم بها هي حمر مستنفرة .

وفي مجيء لفظة (مستنفرة) بهذه الصيغة دون (نفرت) مبالغة في إثبات هذه الصفة لها وتعجبا من سرعة عدوها ونفارها،"يدل على هذا المعنى ويشير إليه السين والتاء في

---

[1]- ابن عطية: المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد،ط1، دار الكتب العلمية،لبنان، 399/5

[2] - ابن عاشور: الطاهر، التحريرو التنوير،الدار التونسية للنشر، 329/29

[3] - أبي حيان الأندلسي،البحرالمحيط ،ط 1،1413هـ/1993م،دار الكتب العلمية،لبنان، 372/8

صياغة هذه اللفظة،ففيها دلالة على المبالغة في إثبات هذا النفور"[1]، فاللفظة التي جاء بها القرآن أبلغ وآكد في إثبات هذا المعنى المراد تحقيقه.

وللأستاذ أحمد بدوي وقفة نفيسة مع هذا التشبيه،ومع هذه الصورة المتكاملة،يقول:"ربما بدا أنه يكفي في تصوير إعراضهم وصفهم بأنهم كالحمير، ولكنه في دقته لا يكتفي بذلك،فهو يريد أن يصور نفورهم من الدعوة،وإسراعهم في إبعاد أنفسهم عنها،إسراعا يمضون فيه على غير هدى،فوصف الحمر بأنها مستنفرة تحمل نفسها على الهرب،وتحثها عليه،يزيد في هربها وفرارها أسد هصور يجري خلفها،فهي تتفرق في كل مكان،وتجري غير مهتدية في جريها، أو لا ترى في صورة هذه الحمر وهي تجدُ في هربها لا تلوي على شيء تبغي الفرار من أسد يجري وراءها،ما ينقل إليك صورة هؤلاء القوم معرضين عن التذكرة،فارين من الدعوة لا يلوون على شيء،سائرين على غير هدى،ثم ألا تبعث فيك هذه الصورة الهزء بهم والسخرية"[2].

بعد أن بيَّن – سبحانه– موقف القوم من هذه التذكرة وما هم فيه من الإعراض عنها،ذكر سبحانه السبب الذي جعل هؤلاء القوم يعرضون عن القرآن في

قوله﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ٥٢﴾يخبر سبحانه أن هؤلاء القوم ما أعرضوا عن القرآن جهلا منهم به،فهم يعلمون أنه نازل من عند الله،ويقرّون بما جاء فيه، لكن طغيانهم وتجبرهم هو الذي يحول بينهم وبين الإيمان به والإقبال عليه،ذلك أنهم يريدون أن ينزل على كل واحد منهم كتاب من السماء باسمه،يخصه دون غيره ،زعما منهم أنهم لا يؤمنون إلا بنزول هذه الكتب عليهم، وقد كذبوا فيما زعموا وإلا فقد جاءتهم الآيات البيّنات التي تبيِّن الحق وتوضحه، لكنهم لم يؤمنوا وأعرضوا عنه إعراضا شديدا...

وقد أفاد الحرف (بل) الإضراب والانتقال،فقد أضرب– سبحانه– عن جواب الاستفهام في قوله{فما لهم عن التذكرة معرضين} فكأنه يقول: لا جواب لهم عن هذا السؤال ولا حجة لهم لهذا الإعراض،ولكن يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشَّرة،فيكون في هذا

[1]– ابن عاشور: التحرير والتنوير،المرجع السابق، 329/29

[2]– أحمد بدوي:من بلاغة القرآن،2005م ،ص 154

الإضراب انتقال لذكر حالة أخرى من أحوال عنادهم،وبيان تعنتهم في طلب الآيات على وجه السخرية والاستهزاء"[1].

ثانيا– الاستعارة:

الاستعارة في اللغة:[2] رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر ،ومن ذلك قولهم:استعار فلان سهما من كنانته،أي رفعه وحوَّله منها إلى يده،فهي مأخوذة من العارية،وهي نقل الشيء من شخص إلى آخر.

ومن هذه المعاني اللغوية جاء تعريف الاستعارة لدى علماء البلاغة والبيان،فقد جاء تعريفهم لها بقولهم أنها: " اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة،مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"[3].

فهذا هو حد الاستعارة، ولا نَعدواْ الحقيقة إذا قلنا:"إن الاستعارة هي من أدق أساليب البيان تعبيرا،وأرّقِهاتأثيرا،وأجملهاتصويرا،وأكملها تأدية للمعنى"[4]، على حدِّ تعبير عبد القاهر الجرجاني، عندما قال عنها أنها "تبرز هذا البيان في صورة متجسدة تزيد قدره نبلا،وتوجب له بعد الفضل فضلا،وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائدحتى تراها مكررة في مواضع،ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد،وشرفمنفرد،وفضيلة مرموقة"[5]، ثم بيّن سبب هذا الأمر وعلته قائلا:"وذلك أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ،حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر،وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر...كما أنك ترى بها الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحا،والأجسام الخرس مبينة،والمعاني الخفية بادية جلية،وإذا نظرت في المقاييس وجدتها ولا ناصر لها

[1]– عبد العزيزبن صالح العمار: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن،المرجع السابق،ص 28

[2]-ابن منظور: لسان العرب، المصدرالسابق، مادة عور، مج 8-9 ص 456-462

[3]- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المصدر السابق، 81/3

[4] - عبد العزيزبن صالح العمار: التصوير البيانيفي حديث القرآن عن القرآن،المرجع السابق،ص 72

[5]- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة،المصدر السابق،ص 42

أعز منها،ولا رونق لها لم تزنها،وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة مالم تكنها إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل،كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون..."[1].

أما الاستعارة في القرآن فقد بلغت حد الإعجاز فيه،فهي لون من ألوان التصوير،وأداة من الأدوات المفضلة إليه في التعبير عن معانيه،فهو"يعمد إلى هذه الصورة التي رسمها فيعطيها ألوانها وظلالها،ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة فالحوار،فإذا هي شاخصة تسعى"[2].

هذا و قد ورد في القرآن الكثير من الاستعارات بأقسامها،ولكننا سنقتصر على مثال واحد في الاستعارة المكنية ليتضح لنا أثرها في إجلاء المعنى.

1-<u>تعريف الاستعارة المكنية:</u>

هي التي حذف فيها المشبه به، واكتفي بشيء من لوازمه،كما ذكر الخطيب:" أن يضمر التشبيه في النفس،فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه،ويدل عليه بأن يثبت المشبه أمر مختص بالمشبه به "[3].

ومنشواهد هذه الاستعارةقَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾محمد: ٢٤

" في الآية أمر منه سبحانه بتدبر القرآن وتفهمه،والنهي عن الإعراض عنه،وقد بدأت الآية بالاستفهام الإنكاري التوبيخي الذي يكشف واقعهم مع القرآن ويبيّن حالهم معه "[4].فغرض هذا الاستفهام هو الدلالة على ما هم فيه من الإعراض عن القرآن،وما وصل إليه إعراضهم وهجرهم له من ترك تدبره،والنظر في معانيه،فهذا هو حالهم وواقعهم مع القرآن.

وفي مجيء لفظة(يتدبرون) بهذه الصيغة إشارة إلى أن المراد منهم صرف جميع همِّهم وهِمَمِهم إلى القرآن،وأن ينصرفوا إليه بقلوبهم،ليهتدوا بهديه من أجل الغوص في معانيه والوقوف على حكمه وأسراره لفهم مراد الله، ومجيئها فعلا مضارعا دلالة على أن المطلوب منهم تكرار هذا التدبر وتجدد حدوثه في كل وقت وآن .

---

[1]- المصدر نفسه،ص43

[2]- عبد العزيزبن صالح العمار: التصوير البياني، المرجع السابق،ص 67

[3]- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة،المصدر السابق، 137/3

[4]- عبد العزيزبن صالح العمار: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، المرجع السابق،ص 86

بعد أن ذكر– سبحانه وتعالى– حالهم وواقعهم مع القرآن،وما هم فيه من الإعراض عنه وترك تدبره وتأمله،بيَّن سبب هذا الإعراض في قوله{أم على قلوب أقفالها}ف(أم) هنا للإضراب الانتقالي،انتقال من ذكر واقعهم مع القرآن إلى بيان سبب الإعراض عن القرآن وترك تدبره"[1]، والهمزة فيه للتقرير،وفي ذلك شهادة عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يصل إليها القرآن،وفي تنكير هذه القلوب تهويل لحالها،وتفظيع لشأنها وذلك بإبهام أمرها في القساوةوالجهالة،فكأنه قيل: هي قلوب منكرة،لا يعرف حالها ولا يتبيّن كُنهها ولا يقادر قدرها في القساوة والإعراض"[2]، فيكون في هذا التنكير مزيد تحقير لهم ببيان عظم قسوة قلوبهم.

فتكمن بلاغة القرآن وإعجازه أن ذكر هذا المعنى بطريق الاستعارة المكنية،ففي قوله(أم على قلوب أقفالها)استعارة مكنية تخيلية،فقد شبهت قلوب هؤلاء بالأبواب والصناديق المغلقة،فحذف المشبه به،وأبقى شيء من لوازمه وهي الأقفال فهي مكنية لعدم التصريح بالمشبه به،وتخيلية لإضافة الأقفال إلى القلوب.

وتكمن بلاغة هذه الاستعارة وتظهر دلالتها في الإشارة إلى واقع هذه القلوب مع القرآن الكريم،"وذلك أن القفل مع الأبواب كالطبع على القلوب،فقلوب هؤلاء بمنزلة الأبواب المغلقة المحكم إغلاقها،وإنلم يرفع هذا القفل فلن يتمكن من فتح هذا الباب، وكذلك هذه القلوب إن لم يرفع عنها الطبع والختم فستظل على كفرها ونفاقها وإعراضها عن القرآن وترك تدبرها له،وأنّى للإيمان والقرآن أن يدخلا هذه القلوب،وهذه حالتها[3].

والباب إذا كان مقفلا،فكما لا يدخل فيه شيء فكذلك لا يخرج منه شيء،فستظل هذه القلوب على كفرها ونفاقها، وإعراضها عن كتاب ربها فلا الإيمان والقرآن يدخلان هذه القلوب ولا الشرك والإعراض عن القرآن يخرجان منها،وكأن في هذا إشارة إلى أنهم يستمرون على هذا الحال ويظلون عليه إلى أن يقبض الله أرواحهم وهم على شر حال من الإعراض عن القرآن والهجر له،وترك تدبره وتأمله،وحسبنا بهذا تحذيرا وتنفيرا من الإعراض عن القرآن وترك تدبره، كان هذا حاله،فسيكون مصيره الطبع على القلوب والختم عليها في الدنيا والعذاب الشديد في النار يوم الآخرة.

---

[1]- الطاهرابن عاشور: التحرير والتنوير، المرجع السابق،113/26

[2]-أبو السعود:إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،دار إحياء التراث العربي،بيروت، 99/8

[3]- عبد العزيزبن صالح العمار: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن،المرجع السابق،ص89

وعليه فقد دلَّت الاستعارة المكنية على كل هذه المعاني،ومن هنا يتبين أثرها في إجلاء المعنى وتوضيحه وتوكيده في صورة محسوسة،فقد بيّنت حال من أعرض عن القرآن وترك تدبره، والواقع الذي يعيش فيه في الحياة الدنيا،والجزاء والمصير الذي ينتظره في الآخرة .

ثالثا- الكناية:

الكناية في اللغة:" أن تتكلم بشيء وتريد غيره،وكنى عن الأمر بغيره،يكنىكناية،يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه، وهي مأخوذة من الستر والتغطية،يقال كنيت الشيء إذا سترته،وسميت بهذا الاسم لأنها تستر معنى وتظهر غيره،ومنهالكنية،وذلك أن فيها سترا للاسم،وإظهارا لشيء آخر،وهي الكنية."[1]

ومن هذا المعنى اللغوي يتضح معناها في اصطلاح أهل البلاغة والبيان،فقد عرّفها عبد القاهر الجرجاني، بقوله:" الكناية:أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني،فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة،ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به،ويجعله دليلا عليه"[2].

ومن ثمّ عرفت الكناية بأنها:"لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة هذا المعنى نفسه"[3]،وبعبارة أخرى "لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي"[4].

ولأسلوب الكناية أثره الخاص الذي يميزه عن غيره من أساليب البيان،وتكمن بلاغتها في كونها تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها،وتذكر القضية وفي طياتها برهانها الشاهد عليها،فهي تمتاز بالإقناع والإمتاع،ومتى ما جاء المعنى مصحوبا بدليله كان أشد تأثرا وتأثيرا وأقوى إقناعا،وأوقع في النفس،وأعلقبالفؤاد،وآكدللمعنى،وأشد تأثيرا في النفوس"[5].

ولذلك فقد (أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح) كما ذكر ذلك عبد القاهر الجرجاني حين بيّن وجه حسنها وشدة تأثيرها قائلا:"ليس المعنى إذا قلنا:إن الكناية

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب،المصدر السابق، مادة كني، مج 12-168/13

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،المصدر السابق،ص 66

[3]- كرمة البستاني:البيان، مكتبة صادر- بيروت،ص79

[4]- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة،المصدر السابق،156/3

[5]- عبد العزيزبن صالح العمار: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، المرجع السابق، ص 97

أبلغ من التصريح أنك حين كنيت عن المعنى زدته في ذاته،بل المعنى أنك زدت في إثباته،فجعلته أبلغ وآكدوأشد،فليست المزية في قولهم (جم الرماد) أنه أدل على قرى أكثر،بل إنك أثبت له القرى الكثيرة من وجه هو أبلغ،وأوجبته إيجابا هو أشد،وادعيته دعوى أنت بها أنطق وبصحتها أوثق"[1].

أما الكناية في القرآن فإنها "فوق طاقة بني الإنسان، فيها من روعة التعبير،وجمال التصوير وألوان الأدب والتهذيب،مالا يستقل به بيان،ولا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن"[2].

فلا تجد معنى من المعاني في القرآن جاء بهذا الأسلوب الكنائي إلا وفيه نكت بيانية،وأسراربلاغية، ما كانت لتكون لو جاء الأسلوبعلى حقيقته،وسيتضح هذا الأسلوبمنخلالالآيةالآتية،قَالَتَعَالَى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾البقرة: ١٧٤

يذكر – سبحانه– في هذه الآية أحوال علماء اليهود وأحبارهم مع القرآن الكريم،مبيّنا موقفهم منه،من كتمانهم له،وإخفاء ما جاء فيه من البيّنات والهدى، "وذلك أنهم كتموا أمر محمد . صلى الله عليه وسلم . ونبوته،وما يجدونه عندهم مكتوبا في التوراة،وقد جاء الخبر مؤكدا بـ (إن)وذلك تقرير لمضمون ذلك الخبر،وتأكيدله،وقد جاء تعريفهم بطريق الموصول وذلك لإظهار ما تضمنه صلة الموصول،وإبرازه وهو الكتمان،كما أن مجيء لفظة(يكتمون)فعلا مضارعا دلالة على تجدد هذا الفعل منهم،وتكرر حدوثه فهذا دأبهم مع ما أنزل الله،كما أن في الموصول إيماء إلى سبب الخبر وعلته،وإلى العذاب وسببه فقد استحقوا العذاب العظيم بسبب كتمانهم للقرآن،وما أنزل الله من البيّنات والهدى"[3].

وفي قوله{مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ}مزيد تشنيع عليهم في هذا العمل،وإنكار لحدوثه وصدوره منهم ،لأن الذي كتموه هو ما أنزل الله،فإسناد الإنزال إلى الله دلالة على عظم القرآن ومكانته،وأنه ما نزل إلا لإظهاره للناس وبيانه.

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، المصدر السابق،ص 70-71

[2]- عبد العزيزبن صالح العمار: التصوير البياني، المرجع السابق، ص 99

[3]- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط،المصدر السابق، 122/2

ولمّا أخذوا عن هذا الكتمان شيئا من حطام الدنيا أطلق على الفعل الصادر منهم شراء في قوله تعالى﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾فقد أشبه هذا العمل البيع والشراء،وذلك لاشتماله على عوض ومعوض عنه"[1] ،وفي تنكير لفظة (ثمنا) دلالة على حقارته ومهانته،ثم بيّن – سبحانه– مصيرهم وما ينتظرهم من العذاب والنكال في الآخرة في قوله﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

وفي الإشارة إليهم دلالة على وضوح أمرهم،واشتهارهم بهذا الصنيع،وفي هذا تجلية لأمرهم،وإيضاح لها حتى لا يخفى على الناس،وفيه تشهير بهم،ووصمهم بهذا العمل،وذكره على رؤوس الخلائق "[2].

وفي قوله ﴿مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾عدة لطائف بلاغية ونكت بيانية،منها:

1- أن الله – سبحانه وتعالى– عبّر عن انتفاع أولئك الأقوام الذين يكتمون ما أنزل الله بما يأتيهم من الأموال والرشوة بالأكل،وسر التعبير بها لكون الأكل من أعظم المنافع التي تصرف فيه الأموال وتبذل،فجاء التعبير بالأكل هنا دلالة على المعنى "[3].

2- يدل على هذا المعنى ويؤكده، قوله ﴿فِي بُطُونِهِمۡ﴾ومعلوم أن الأكل لا يكون إلا في البطن،وهذه هي اللطيفة الثانية،وسر ذكر البطون هنا في هذا المقام لرفع توهم المجاز،إذيقال:أكل فلان ماله إذا ضيعه وأهدره،وإن لم يأكله،ففي ذكر البطونإشارة إلى حقيقة معنى الأكلومنعتجوزه،إذ قد يستخذم الأكل مجازا "[4].

[1]- أبو السعود:إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،المرجع السابق، 66/1
[2]- طاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، المرجع السابق،132/2
[3]- أبو حيان الأندلسي :البحر المحيط،المصدر السابق، 667/1
[4]- ابن عطية: المحررالوجيز، المصدر السابق، 241/1

بيد أن السر الكامن في ذكر البطون هنا هو ذمهم،والتنقصمنهم،والحط من شأنهم،في كونهم باعوا آخرتهم بحظهم من المطعم الذي لا خطر له ولا شأنفيكون في هذا التعبير مزيد تشنيع عليهموتثريب،لإقدامهم على هذا الجرم العظيم.

3- المتأمل لهذه الآية يجد أن الله – سبحانه وتعالى – جعل هذا المأكول نارا،وفي هذا التعبير مجاز مرسل بعلاقة المسببية،فقد أطلق المسبب وأريد به السبب، وذلك أن المأكول هو الرشوة التي يأخذونها،بسبب كتمانهم ما أنزل الله،بيد أن النظم القرآني لم يذكر هذا المعنى، بل ذكر ما يتسبب على أخذ هذه الرشوة وأكلها،وهي النار، وذلك أن معنى الآية: أن الذين يأكلونه يعذبون به،أي: بسببه،فكأنهم إنما يأكلون النار،وذلك أنه هو الذي أفضى بهم إلى النار"[1].

وقيل إن علاقة هذا المجاز اعتبار ما سيكون[2] وذلك لكون هذا المأكول يؤول إلى نار يحرقون بها ويعذبون، وأيا ما كانت علاقة هذا المجاز إلا أن في هذا التعبير تنفيرا من هذا العمل،الذي يؤول بصاحبه إلى شر مآل ومصير، ثم ذكر المولى عز وجل مزيدا من عذابهم وآلامهم في الآخرة في قوله ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾وليس المراد من هذا نفي أصل الكلام عنهم،وذلكلورود آيات في القرآن تدل على أنه – سبحانه– يكلم الكافرين يوم القيامة،ومن ذلك قوله :قَالَ تَعَالَى:﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾المؤمنون: ١٠٨،" إذن فقد أريد من هذا اللفظ (ولا يكلمهم) لازم معناه، وليس معناه الحقيقي،وهو مطلق الكلام، فعدم تكليمه – سبحانه – لهم كناية عن شدة غضبه عليهم،وإعراضهعنهم،يدل على هذا المعنى الكنائي قول العرب: فلان لا يكلم فلانا،يريدون بذلك بيان شدة غضبه عليه"[3].

وذلك أن من يغضب على شخص يصرمه،ويقطعمحادثته،والكلاممعه،دلالة على شدة بغضه له،ومقته إياه "[4].

وتكمن بلاغة الكناية في هذه الآية،وفي هذا السياق أنّ فيها دلالة على عظم الجرم الذي أقدم عليه هؤلاء الذين كتموا ما أنزل الله،فلما كان جرمهم عظيما استحقوا هذا الجزاء

---

[1]- التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، المرجع السابق، ص 103

[2]- ابن عطية: المحرر الوجيز، المصدر السابق،241/1

[3]-الزجاج: معاني القرآن وإعرابه،ط1،1414هـ ، دار الحديث،القاهرة، 245/1

[4]- الزمخشري: جار الله، الكشاف، مكتبة العبيكان، ط1،1418هـ/1998م ،الرياض، 329/1

العظيم،وأي عذاب أشد من إعراض الله عنهم،وترك مخاطبتهم، والحديث معهم في ذلك اليوم العصيب الذي هم فيه أحوج ما يكونون إلى رحمته ولطفه.

ففي هذه الكناية إشارة إلى انحطاط قدرهم ومنزلتهم،فلا كرامة لهم ولا شأن، فلا يلتفت إليهم يوم القيامة ولا يعتد بوجودهم،فهم والعدم سواء،جزاء ما اقترفوه،وأقدمواعليه، ولم يقف عذاب هؤلاء عند هذا،بل إنه مع ذلك ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾فلا يطهرهم من دنس ذنوبهم وآثار كفرهومن كان هذا حاله وشأنه يوم القيامة، كان جديرا ألا يكلمه الله – سبحانه– وألا يلتفت إليه،وفي تقديم الجار والمجرور(**وَلَهُمْ**) على (**عَذَابٌ أَلِيمٌ**) دلالة على اختصاص هؤلاء بهذا العذاب،واستحقاقهمإياه،فقد استوجبوا على أنفسهم العذاب بما ارتكبوا من الآثام وبما أجرموا في حق هذه الآيات بسبب كتمانها وإخفاء ما جاء فيها.

وفي تنكير لفظة (عذاب) دلالة على فظاعة هذا العذاب وشدته وأنه لا طاقة لهم به،وفي تعظيم العذاب دلالة على عظم جرمهم،وشناعةصنيعهم،كما أن فيه دلالة من طرف خفي على عظم القرآن،وعلومنزلته،وجلالةقدره،فالجزاء من جنس العمل،فلما كتموا أمرا عظيما أنزله الله من أجل إظهاره،وبيانه،عاقبهم – سبحانه – بهذا العذاب العظيم جزاء وفاقا دل على عظم العذاب وشدته،وصفه بلفظة (أليم) فهو عذاب موجع متمكن منهم، يشعرون بشدته ووجعه في كل موضع من جسدهم"[1].

وعليه فقد جاءت الكناية مشيرة إلى هذه المعاني كلها،ودالةعليها،ومن هنا تتجلى بلاغة الكناية، وأثرها في إجلاء المعنى من خلال ذكر موقف من يكتم القرآن أو يحرفه،وذكرجزائه،وما أعد الله له من العذاب والنكال في الآخرة .

[1]-عبد العزيز بن صالح العمار: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، المرجع السابق، ص 105-106

المبحث الثاني: مفهوم التفسير البياني وخطوات السير عليه

المطلب الأول: تعريفه وتطوره

المطلب الثاني: تأصيل هذا المنهج

المطلب الثالث: خطوات السير على المنهج البياني في التفسير

المبحث الثاني: مفهوم التفسير البياني وخطوات السير عليه

المطلبالأول:تعريفه وتطوره

أولا: تعريف التفسير البياني:

1-التفسير:

جاء في لسان العرب مادة فسر، " فسر، الفسْرُ: البيان، فسر الشيء يُفسِره بالكسر ويفْسُره بالضم فسْرا وفسَّره : أبانه،والتفسير مثله، والفَسْرُ كشف المُغطّى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المُشْكَل،واستفسرتهكذا أي سألته أن يفسِّر لي "[1].

" قال تعالى:﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾أي بيانا وتفصيلا"[2].

أما اصطلاحا فعرَّفه الإمام الزركشي،بقوله: " هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها،والإشارات النازلة فيها،ثم ترتيب مكيّها ومدنِّيها، ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسّرها"[3].

أما الشيخ عبد العظيم الزرقاني، فعرَّفه بقوله: " علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية " [4].

أما البيان فقد أوردنا تعريفه من قبل[5]، وعليه فالتفسير البياني هو:

---

[1]- لسان العرب،المصدر السابق 249/10

[2]- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن،مكتبة وهبة،ط7،ص 316

[3]-الزركشي :البرهان في علوم القرآن،مكتبة دار التراث،ص 148

[4]- عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن،دار الكتاب العربي،1415هـ/1995م، 6/2

[5]- جاء تعريفهفي هذا الفصل، ص10

2-**التفسير البياني:**

عرَّفه الدكتور فاضل السامرائي،بقوله:"هو التفسير الذي يبيِّن أسرار التركيب في التعبير القرآني،فهو جزء من التفسير العام، تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية،كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك ممّا يتعلق بأحوال التعبير"[1].

أما بنت الشاطئ، فقدجاء تعريفها في معرض كلامها عن الأصل في منهج هذا التفسير، قالت:" هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه،فيجمع كل ما في القرآن منه،ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب،بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك...وهو منهج يختلف تماما والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة،ويؤخذ اللفظ أو الآية فيه،مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله،مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه،أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية"[2].

مما سبق يمكننا القول أن التفسير البياني بكل اختصار هو التعامل مع النص القرآني برؤية خاصة تركِّز على إبراز جوانبه البيانية وتكشف عن دُررِه البلاغية.

ثانيا-تطور التفسير البياني:

بعدما تاه العالم الإسلامي في ظلمات الجمود الفكري والنكوص الحضاري،أضاء فجره الذي كان لابد له أن يضيء،وبزغت شمسه التي كانت لابد لها أن تشرق من جديد.

كان ذلك عندما تعالت صيحاتالأفغاني – رحمه الله- ودوت في الأفق مشيرة للاعتصام بجوهر الإسلام ألا وهو القرآن...

" فكما استطاع هذا القرآن التليد أن ينقذ العالم في جاهليته الجاهلة حين أشرق وكلّ بيئة وثنية وإشراك،أما يستطيع مرة أخرى أن يوقظ النوام من مضاجعهم الهامدة، وبيئته لا تزال تؤمن به وإن حجبت عن نوره،وتتفانىفيه،وإن جهلت سناه "[3].

نادى –رحمه الله – بتفسير حي يكون معجزة الإنقاذ...وجاء اليوم الذي تحقّق فيه ما كان يطمح إليه،عندمالاح في الأفق نجم الشيخ محمد عبده – رحمه الله – ودوّت شهرته

---

[1]- فاضل السامرائي :على طريق التفسير البياني، النشر العلمي،جامعة الشارقة،1423هـ/2002م، 7/1

[2]- عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم ،المرجع السابق،1/ 17- 18

[3]- البيومي: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم،المرجع السابق،ص 286

كل مكان بتفسيره الذي كان نور الشروق في دنيا الغافلين،فكانت دروسه نبراسا للسامعين ولم يسطّرها في عزلة للقارئين، فكانت بحق طريقا للوصول إلى العقل والقلب معا.

وهاهوالشيخ مصطفى المراغي يتحدّث عن دروس شيخه – محمد عبده – قائلا:" كانت دروس الشيخ كالغيث أمّا البلد الطيّب فقد خرج نباته بإذن ربّه،وأما البلد الخبيث فقد خرج نباته نكدا،وكانت دروسه مثلا عاليا في طريقة الإلقاء والتفهيم،وفي العبارات الفصيحة المتخيرة النافذة إلى القلوب وكانت دائرة معارف يجد اللغوي فيها حاجته؛والفقيه رغبته والمتكلم بغيته،ويجد علماء الاجتماع فيها تطبيق آي القرآن على معارفهم،وكانت صرخاته المدوية منبهة للغافل،ومحركةللجامد،وكانت عاصفة قوية هزت الأشجار الباسقة القوية فسقطت أوراقها الذابلة ثم أورقت،أما الشجيرات الضعيفة؛والحشائش الدنيئة فأفلتت منها ولم تنتفع بها "[1].

وعليه إذا كانت دروسه القرآنية دائرة معارف تلبي حاجة اللغوي... فمن دون شك أن لها أثرها الأدبي في حقل البيان العربي، وهنا يمكننا القول أن الله قد أذِن للتفسير البياني أن تسطع أشعته على يدي الشيخ،فكانت تلك هي الخطوة الأولى لهذا اللون من التفسير الذي كان أحد عناصر التجديد الأدبي المعاصر، حيث تطالعك فيه روح البلاغة وجوهرها،ولقد حذا حذوه تلاميذه وتمسكواْ بنهجه، وارتضوا طريقته وأصبح لدينا من التفسير البياني المعاصر آثار رائعة تستحق البحث والدراسة.

ولقد قرّر الشيخ محمد عبده – رحمه الله – في بداية درسه للقرآن الكريم الأمور التي يجب أن يلتزمها المفسر نقلها لنا تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا:" للتفسير مراتب:أدناها:أن يبيِّن بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله وتنزيهه،ويصرف النفس عن الشر ويجذبهاإلىالخير وهذه هي التي قلنا أنها متيسرة لكل أحد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾القمر: ١٧وأما المرتبة العليا فهي لا تتم إلا بأمور:

(أحدها) "فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة، غير مكتف بقول فلان وفهم فلان،فإن كثيرا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد... إلى

[1]- محمد عبده: تفسير المنار،دار المنار،ط2،1336هـ/1947م،ص21

أن قال... يجب على من يريد الفهم الصحيح، أن يتتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملة،ليفرق بينها وبين ماورد في الكتاب،فكثيرا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى،فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله،والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه،وينظرفيه،فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ الهداية... ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه،وقد قالوا أن القرآن يفسّر بعضه ببعض،وأن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ:موافقته لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته.

(ثانيهما): الأساليب فينبغي أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة،وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ،ومزاولته مع التفطن لنكته ومحاسنه والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه،نعم أننا لا نتسامى إلى فهم مراد الله تعالى كله على وجه الكمال والتمام،ولكن يمكننا فهم ما نهتدي به بقدر الطاقة،ويحتاج في هذا إلى الإعراب وعلم الأساليب(المعاني والبيان)ولكن مجرد العلم بهذه الفنون وفهم مسائلها وحفظ أحكامها لا يفيد المطلوب...

(ثالثها)علم أحوال البشر.

(رابعها)العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن،فيجب على المفسر القائم بهذا الفرض الكفائي: أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم ،لأن القرآن ينادي بأن الناس كلهم كانوا في شقاء وضلال، وأن النبي"صلى الله عليه وسلم" بعث به لهدايتهم وإسعادهم وكيف يفهم المفسر ما قبّحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفا بأحوالهم وما كانوا عليه ؟....

(خامسها) العلم بسيرة النبي "صلى الله عليه وسلم" وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون دنيويهاوأخرويها" [1].

ونجد أيضا تلميذه ينقل عنه في موضع آخر قوله:" لا يتعظ الإنسان بالقرآن فتطمئن نفسه بوعده وتخشع لوعيده، إلا إذا عرف معانيه وذاق حلاوة أساليبه، ولا يأتي هذا إلا

[1]-محمدعبده: تفسير المنار،24/1 ، باختصار

بمزاولة الكلام العربي البليغ مع النظر في بعض النحو،كنحو ابن هشام وبعض فنون البلاغة كبلاغة عبد القاهر،وبعد ذلك يكون له ذوق في فهم اللغة يؤهله لفهم القرآن " [1].

ولمزيد من الإيضاح نورد مثالا نستدل به علىوجودالتفسير البياني عند الشيخ:لقد وقر عند الشيخ أن كل كلمة في القرآن ثبتت في موضعها الصحيح، فلا يجوز أن يقال إن لفظا قدم على لفظ لرعايته الفاصلة، وهذا ما قاله الإمام الباقلاني ومن نحا نحوه من السابقين، يذكر في قوله تعالى { إن الله بالناس لرؤوف رحيم} ما يدل على أن الرأفة شدة الرحمة، وكان الأصل أن يجئ النص هكذا {إن الله بالناس لرحيم رؤوف} لكن القرآن قدم الرأفة على الرحمة رعاية لبلاغة الفواصل.

لقد أنكر الإمام هذا بعقليته المنطقية وفكرته الأدبية التي ترى أن رعاية الفواصل ضرورات يلجأ إليها العاجز غير المتمكن، أما القرآن البليغ فقد جاءت فواصله في مواضعها الحقيقية التي يتطلبها المعنى دون تقديم وتأخير، إذ ليس القرآن شعرا يلتزم قافية أو سجعا يخضع لضرورة، وإنما قدمت الرأفة على الرحمة في منطق الإمام لأن الرأفة أخص من الرحمة، ولا تستعمل إلا في حق من وقع في البلاء، والرحمة أعم لأنها تشمل من وقع في البلاء ومن لم يقع[2].

ولا ننسى أن نذكر أن الإمام قد نصّ في مقدمة تفسيره على الهدف الذي يرمي إليه، فقال: " والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا، وحياتهم الآخرة فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله"[3].

هذه بعض النصوص التي جاءت في تفسير المنار، ولقد أوردناها لنشير بها إلى أن نواة التفسير البياني في العصر الحديث،تبلورعلى يدي الشيخ محمد عبده – رحمه الله– وإن كان خطّ أهم قواعد هذا المنهج، إلا أنه لم يلتزم منهجا أدبيا واضحا يمكن أن ينسب إليه،"وإنما غلب عليه طابع الإصلاح الاجتماعي كما قال الدكتور كامل سعفان"[4].

المطلب الثاني: تأصيل هذا المنهج

[1]- المرجع نفسه،182/1

[2]- محمد عبده، تفسير المنار، المرجع السابق،12/2

[3]-المرجع نفسه، 17/1

[4]- فهد الرومي:إتجاهات التفسير البياني في القرن الرابع عشر الهجري، المرجع السابق، ص980

عندما ذكرنا سابقا أن التفسير البياني خاص بالقرن الرابع عشر الهجري،فإننا لا نعني أبدا نفي الدراسات البيانية في القرون الماضية، بدليل أننا أشرنا إلى وجود ذلك،وعرّجنا باختصار عليها فيما سبق،وإنما نعني أن الدراسات السابقة اختلفت عن الدراسات الحديثةفي مقصدها وفي المنهج المتبع.

فلقد كان هدف الدراسات السابقة يتمثل كما قلنا في الهدف الذي ذكرناه في تفسير الشيخ محمد عبده – رحمه الله–وهذاما لاحظه الدكتور حفني محمد شرف،بعد أن درس(إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق) حيث انتهى به المطاف إلى ملاحظة هامة ذكرها في خاتمة رسالته حين قال:"والذي لاحظته أثناء هذا التطواف،وتلك المقابلات أن أكثر علماء الإعجاز درسوا البلاغة العربية وأرَخوا لها وطوروا دراستها لأنهم كانوا مؤمنين بأن دراسة البلاغة وسيلة لغاية أسمى،وهي إعجاز القرآن البياني،ويمكن التأكد من هذا بالرجوع إلى مقدمات مؤلفاتهم في البلاغة التي كثيرا ما يصرحون فيها بهذه الملاحظة التي أشرت إليها"[1].

قال الباحث (فهد الرومي)معقِّبا على هذا الكلام:"بمعنى آخر أن الدراسات السابقة كانت وسيلة وليست غاية،أما الدراسات هذه التي نريد جلاءها فهي غاية تدرس النص القرآني،وقصدهاالأول"أدبي محض صرف غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك...وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد إليه"[2].

إذا فالدراسات الحديثة أصّلت الدراسة البيانية للقرآن الكريم،وخطت به خطوة جديدة جعلته لونا جديدا من ألوان التفسير المعاصر،ولنبدأ بتقديم الدكتورة عائشة عبد الرحمان لتوضح لنا بداية هذا التأصيل .

تقول بنت الشاطئ " لكل لغة روائع من آدابها،تعتبرها النماذج العالية لذوقها الأصيل والمثل الرفيعة لفنها القولي،وقد غبرت الأجيال منا تتجه إلى نصوص مختارة من شعر العربية ونثرها،تضعها بين أيدي القراء أو تقدمها إلى التلاميذ والطلاب،وشغلنا نحن أصحاب الدرس الأدبي،أو شغلت الجمهرة منا بالمعلقات والنقائض والمفضليات،ومشهور الخمريات والحماسيات والمراثي والمدائح والغزليات،ومأثور الرسائل والأماليوالمقامات،شغلنا بهذا ومثله عن الاتجاه إلى القرآن الكريم الذي لا جدال في أنه

[1]- عائشة عبد الرحمن: إعجاز القرآن البياني ومسائل ابن الأزرق، المرجع السابق، ص 375
[2]- فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجري، المرجع السابق، ص 981

كتاب العربية الأكبر ومعجزتها البيانية الخالدة،ومثلها العالي الذي يجب أن يتصل به كل عربي أراد أن يكسب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها، ويستشف أسرارها في البيان،وخصائصها في التعبير والأداء،مسلما كان أو غير مسلم، ونحن في الجامعة نترك هذا الكنز الغالي لدرس التفسير،وقل فينا من حاول أن ينقله إلى مجال دراسات العربية التي قصرناها على دواوين الشعر ونثر مشهوري الكتاب وكان المنهج المتبع في درس التفسير– إلى نحو ربع قرن من الزمان – تقليديا أثريا لا يتجاوز فهم النص القرآني على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم، حتى جاء شيخنا الإمام (الأستاذ أمين الخولي) فخرج به عن ذلك النمط التقليدي وتناوله لغويا بيانيا على منهج أصّله،وتلقاه عنه تلامذته وأنا منهم"[1].

ولنعود إلى ما كتبه الأستاذ بنفسه لبيان المراد من المنهج الذي أصّله،قال معقّبا على كلام الشيخ محمد عبده مبينا المقصد الحقيقي لتفسيره:" فالمقصد الحقيقي عنده هو:الاهتداء بالقرآن وهو مقصد جليل ولا شك... يحتاج المسلمون غلى تحقيقه لكن ليس بدعا من الرأي أن ننظر في هذا المقصد،لنقول:أنه ليس الغرض الأول من التفسير وليس أول ما يعنى به ويقصد إليه،بل إن قبل ذلك كله مقصدا أسبق وغرضا أبعد،تتشعب عنه الأغراض المختلفة،وتقوم عليه المقاصد المتعددة ولابد من الوفاء به قبل تحقيق أي مقصد آخر،سواء أكان ذلك المقصد الآخر،علميا أم عمليا،دينيا أم دنيويا...وذلك المقصد الأسبق والغرض الأبعد هو النظر في القرآن، من حيث هو كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم،فهو الكتاب الذي أخلد العربية وحمى كيانها وخلد معها فصار فخرها،وزينةتراثها،وتلك صفة للقرآن يعرفها العربي مهما يختلف به الدين أو يقترف به الهوى ما دام شاعرا بعربيته مدركا أن العروبة أصله في الناس وجنسه بين الأجناس وسواء بعد ذلك أكان العربي مسيحيا أو وثنيا أم كان طبيعيا دهريا،لادينيا،أم كان المسلم المتحنف،فإنه سيعرف بعروبته منزلة هذا الكتاب في العربية،ومكانته في اللغة،دون أن يقوم ذلك على شيء من الإيمان بصفة دينية للكتاب أو تصديق خاص بعقيدة فيه... وليس هذا شأن العرب فحسب،بل أن الشعوب التي ليست عربية الدم أصلا،ولكن وصلها التاريخ وسير الحياة بهذه العروبة فارتضت الإسلام دينا،أو خالطت العرب فساطت

[1]- عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، المرجع السابق،ص 13/1

دماءها بدمائهم ثم إتخذت العربية أصلا من أصول حياتها الأدبية... حتى ربطتها بالعربية الأواصر الوثقى،إلى أن صارت العربية عنصرا أساسيا وجانبا جوهريا من شخصيتها اللغوية الفنية،قد صار لكتاب العربية الأعظم وقرآنها الأكرم مكانه بين ما تعنى به وآثار فنية قولية، فألزمها كل أولئك تناول هذا الكتاب بدراسة أدبية، تتفهم بها أصول ما ورثت من تلك العروبة إن كانت عربية النَجار،أو كانت قد إتصلت بتلك العروبة إتصالا حيويا قويا دفع شخصيتها وسير وجودها ووجه حياتها فالعربي القح،أو من ربطته بالعربية تلك الروابط يقرأ هذا الكتاب الجليل،ويدرسه درسا أدبيا كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة،وتلك الدراسة الأدبية لأثر عظيم،كهذا القرآن هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولا وفاءا بحق هذا الكتاب ولو لم يقصدوا الاهتداء به أو الانتفاع بما حوى وشمل ؟؟ بل هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولا ولو لم تنطو صدورهم على عقيدة ما فيه،أوانطوت على نقيض ما يردده المسلمون الذين يعدونه كتابهم المقدس،فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس سواء أنظر إليه الناظر على أنه كذلك في الدين أم لا.

وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني،دون نظر إلى أي اعتبار ديني هو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربية أصلا والعربية اختلاطا،مقصدا أول وغرضا أبعد يجب أن يسبق كل غرض ويتقدم كل مقصد... ثم لكل ذي غرض أو صاحب مقصد بعد الوفاء بهذا الدرس الأدبي، أن يعمد إلى ذلك الكتاب فيأخذ منه ما يشاء ويقتبس منه ما يريد ويرجع إليه فيما أحب من تشريع أو اعتقاد أو أخلاق أو إصلاح اجتماعي أو غير ذلك، وليس شيء من هذه الأغراض الثانية يتحقق على وجهه إلا حين يعتمد على تلك الدراسة الأدبية لكتاب العربية الأوحد دراسة صحيحة كاملة مفهمة له،وهذه الدراسة هي ما نسميه اليوم تفسيرا،لأنه لا يمكن بيان غرض القرآن ولا فهم معناه إلا بها، فجملة القول:أن التفسير – فيما أفهمه– هو الدراسة الأدبية الصحيحة المنهج الكاملة المناحي،المتسقةالتوزيع،والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف غير متأثر بأي اعتبار،وراء ذلك ... وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد إليه... هذه هي نظرتنا إلى التفسير اليوم وهذا غرضنا منه "[1].

[1]- فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجري، المرجع السابق،ص 984

نقلنا هذه النصوص لما فيها من بيان نظرة الأستاذ أمين الخولي إلى التفسير ولما فيها من ذكر غرضه ومقصده، ومما يجدر بنا الإشارة إليه هاهنا، ما لاحظناه من النقد المبالغ فيه من الأستاذ فهد الرومي في رسالته (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري) مع أننا استسغنا بعضا ممّا قاله، لأن التعامل مع النص القرآني كنص أدبي محض، هو في نظرنا ترديد لنظرة المستشرقين للقرآن فهو لا يتعدى كونه قطعة أدبية راقية في نظرهم.

وعليه فقول الأستاذ أمين الخولي يحتاج لمزيد نظر، ليوضع في إطار معين لنعلم مقصده الحقيقي من وراء كلامه.

المطلب الثالث:خطوات السير على المنهجالبيانيفي التفسير

سنتحدث في هذا المطلب عن المراحل التي يمر بها المفسِّر في العصر الحديث،لتطبيق المنهج البياني في التفسير، كما بسطها صاحبها الأستاذ أمين الخولي،ولئن كان هو لم يوردها مسلسلة مرتبة؛إلا أن الأستاذ فهد الرومي قد حصرها بأربع أو خمس مراحل،هذا هو بيانها وترتيبها في نظره:

المرحلة الأولى: التفسير الموضوعي

وهي المرحلة التي أشار إليها الأستاذ الخولي،على أنها النظر بين يدي الخطة حيث قال: " والقرآن كما هو معروف لم يرتب على الموضوعات والمسائل فيفرد كل شيء منها بباب أو فصل يجمع ما ورد فيه عن هذا الموضوع أو تلك المسألة،فليس على ترتيب كتب العقائد مع ما فيه من أصول العقيدة،وليس على ترتيب كتب التشريع مع ما فيه من أصول التشريع، ولا هو كذلك على نسق كتب الأخلاق أو التاريخ ولا القصص ولا غير ذلك،بل ليس على ترتيب بعض كتب الدين حين أفردت أحداث الحياة بأسفار عنونت كل سفر منها بحادث،أو حين جرت على تسلسل حياة فرد خصت كل حين منها بقسم، كما لم يرتب على شيء من تاريخ ظهور آياته إنما جرى القرآن على غير هذا كله، فعرض لكثير من الموضوعات ولم يجمع منها واحدا بعينه فيلتقي أوله بآخره، ويعثر به في مكان معين... وإنما نثر ذلك كله نثرا وفرقه تفريقا فالحكم التشريعي في أكثر من موضع والأصل الإعتقادي قد عرض له غير مرة والقصة قد وزعت مناظرها ومشاهدها في جملة

أماكن،وهكذا تقرأ في السورة الواحدة فنونا من القول وتمر بألوان من الأغراض المختلفة تعرض لها سورة أخرى فيتكامل العرضان،وتتم الفكرة بتتبعها في مواطن متعددة وذلك لحكمة ومرمى "[1].

ومن قوله هذا يمكننا أن نلخص رؤيته للمرحلة الأولى في التفسير البياني،وهو أن التفسير لا يكون إلا بأسلوب التفسير الموضوعي الذي يجمع الآيات ذات الموضوع الواحد من أماكنها المتفرقة وينظر إليها نظرة واحدة وبهذا يكون الفهم الصحيح...حيث أنه أكد رؤيته تلك بالمثال الآتي :" فالناظر في سورة البقرة مثلا يجد من الحديث عن المؤمنين وحالهم ما أحسب أنه يفهم الفهم الصحيح إذا ما قورن بما في سورة (المؤمنون) من الجزء الثامن عشر ثم هو واجد في سورة البقرة عن المنافقين وحالهم مالا يفهم وجهه إلا مع سورة (المنافقون) في الجزء الثامن والعشرين...وقصة آدم في البقرة، إنما تفسر مع ما ورد عنها في سورة الأعراف والحجر والكهف وغيرها "[2].

وعليه فهذه هي الخطوة الأولى التي يجب على المفسر تفسيرا بيانيا أن يسير وفقا لمقتضاها،وهذا على حسب نظر الأستاذ أمين الخولي، وهو محق في وجهة نظره تلك، فعلى المفسر أن ينظر للآية في كل سياقاتها القرآنية، فكل موضع منه يضيف معنًا جديدًا لم يعطه الموضع الآخر.

المرحلة الثانية: وتتمثل في الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد،وهي ذات صلة وعلاقة قوية بالمرحلة السابقة حتى وكأنهما خطوة أو مرحلة واحدة، تلكم المرحلة هي مراعاة الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد، ويقصد بها أن المفسر بعد أن يجمع آيات موضوع بعينه، يجب أن يخطو الخطوة الثانية فيرتب هذه الآيات حسب ترتيب نزولها،وأكد هذا الأستاذ أمين الخولي حين قال:" وترتيب القرآن لم يرع شيئا من تقدم الزمن وتأخره فمكيه يتخلل مدنيه ويحيط به ومدنيه يتخلل مكيه ويحيط به ، وهكذا ترى من النظر في ترتيب القرآن على سوره – أي ترتيب كان في المصاحف المختلفة – ما لا يساير حاجات مفسره المتفهم له،بل يقضي ما كان من أمر الترتيب:– بالنظر الجديد والترتيب الخاص لآي الموضوع بحيث يكشف هذا الترتيب لنا عن تلك النواحي

[1]- فهد الرومي :اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، المرجع السابق، ص 986
[2]- المرجع نفسه، ص987

التي عرفت أن المفسر المتفهم مضطر إلى مراعاتها وتقديرها توصلا إلى الفهم الصحيح والمعنى الدقيق " [1].

وبالتالي فهو يرى وجوب ترتيب آي الموضوع الواحد ترتيبا خاصا بحيث يكشف هذا الترتيب عن النواحي التي يحتاجها المفسر للوصول إلى الفهم الصحيح، ثم أجمل الأستاذ أمين القول في المرحلتين السابقتين بقوله:

" فجملة القول أن ترتيب القرآن في المصحف قد ترك وحدة الموضوع لم يلتزمها مطلقا،وقد ترك الترتيب الزمني لظهور الآيات لم يحتفظ به أبدا،وقد فرَق الحديث عن الشيء الواحد والموضوع الواحد في سياقات متعددة،ومقامات مختلفة ظهرت في ظروف مختلفة وذلك كله يقضي في وضوح:

– بأن يفسر القرآن موضوعا موضوعا وأن تجمع آيه الخاصة بالموضوع الواحد جمعا إحصائيا مستقصى ويعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحافة بها ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى وأوثق في تحديده "[2].

المرحلة الثالثة: الدراسة

وتعتبر المرحلتان السابقتان تمهيدا وتوطئة للمرحلة الثالثة، إذ أن هذه الأخيرة هي جسد التفسير البياني، وأن المرحلتين السابقتين هما القاعدة لهذا الجسد، حيث أن الأستاذ أمين الخولي يقسم هذه الدراسة إلى صنفين هما:

1–دراسة حول القرآن

2– دراسة في القرآن

أولا: دراسة ما حول القرآن

وقسمها أيضا إلى قسمين دراسة خاصة ودراسة عامة،وقال عن أولاهما:" والدراسة الخاصة هي ما لابد لمعرفته،مما حول كتاب جليل كهذا الكتاب: ظهر في نحو عشرين عاما أو كذا وعشرين عاما ثم ظل مفرقا سنين حتى جمع في أدوار مختلفة وأحوال مختلفة وكان جمعه وكتابته عملا ساير الزمن طويلا،وناله من ذلك ما ناله، ثم هناك قرآءته ومسايرة هذه القراءة للتطور اللغوي الذي تعرضت له اللغة العربية بفعل النهضة الجادة التي أثارتها الدعوة الإسلامية والدولة الإسلامية، فقد كانت هذه القراءات عملا ذا

[1] - فهد الرومي:اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري ،المرجع السابق،ص 988

[2] - المرجع نفسه،ص 989

أثر واضح في حياة الكتاب وفهمه، وتلك الأبحاث من نزول،وجمع،وقراءة،وما إليها– هي التي عرفت اصطلاحيا – منذ حوالي القرن السادس الهجري باسم علوم القرآن بعد ما تناولها المفسرون المختلفون قبل ذلك بالبحث المجمل،والبيان المتفاوت في الاستيفاء حسب عناية المفسر واهتمامه،ومثل تلك الأبحاث جد لازمة في نظر دارسي الآثار الأدبية ولابد منها لفهم النصوص المدروسة والاتصال بها اتصالا مجديا، إلى أن قال " وهي دراسات ضرورية لتناول التفسير ... حتى ما ينبغي مطلقا أن يتقدم لدرس التفسير من لم ينل حظه من تلك الدراسة القريبة الخاصة حول القرآن،ليستطيع فهمه فهما أدبيا صحيحا مسترشدا بتلك الملابسات الهامة في فهم القرآن " [1].

خلاصة الأمر أن الأستاذ أمين الخولي يشترط للتفسير الأدبي دراسة خاصة حول القرآن الكريم،نحو دراسة تاريخه ونزوله وجمعه وترتيبه... وبعبارة أدق يشترط على المفسر أن يكون ملما بالعلوم التي تتصل بالقرآن،ومن المعلوم أن علماءنا السابقين تحدثواْ عن هذا الأمر، واشترطوه أيضا على المتصدي للتفسير، والدليل أن معظم المفسرين جعلواْ مؤلفاتهم في علوم القرآن مقدمة لتفاسيرهم والشاهد على ذلك كتاب (الإتقان في علوم القرآن) للإمام السيوطي والذي جعله مقدمة لتفسيره كما قال هو بنفسه.

"وعليه فالأستاذ مسبوق بهذا الشرط وبهذه الدراسة الخاصة "[2]، كماذكر ذلك الباحث فهد الرومي .

وأما الدراسة العامة لما حول القرآن الكريم،فقال عنها الأستاذ أمين " وأما ما حول القرآن من دراسة عامة فهو ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية، التي ظهر فيها القرآن وعاش،وفيها جمع وكتب وقرئ وحفظ وخاطب أهلها أول من خاطب وإليهم ألقى رسالته لينهضوا بأدائها،وإبلاغها شعوب الدنيا،فروح القرآن عربية،ومزاجهعربي،وأسلوبه عربي{ قرآنا عربيا غير ذي عوج}والنفاذ إلى مقاصده إنما يقوم على التمثل الكامل والإستشفاف التام لهذه الروح العربية وذلك المزاج العربي،والذوق العربي ومن هنا لزمت المعرفة الكاملة لهذه البيئة العربية المادية أرضها بجبالها وحرارها وصحاريها وقيعانها وسمائها ... إلى أن يقول" فكل ما يتصل بتلك الحياة المادية العربية وسائل ضرورية لفهم هذا القرآن العربي المبين...مع هذا ما يتصل بالبيئة المعنوية بكل ما تتسع له هذه الكلمة من ماض

[1]- فهد الرومي:اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري،المرجع السابق، ص990

[2]- المرجع نفسه،ص 991

سحيق،وتاريخ معروف ونظام أسرة أو قبيلة،وحكومة في أي درجة كانت وعقيدة بأي لون تلونت،وفنون مهما تتنوع،وأعمال مهما تختلف وتتشعب،فكل ما تقوم به الحياة الإنسانية لهذه العروبة، وسائل ضرورية كذلك لفهم هذا القرآن العربي المبين...

وإذا جهدت الدراسة الأدبية في أن تعرف عن تلك العربية والعروبة أكثر وأعمق وأدق ما يعرف تبتغي بذلك درس أدبها درسا صحيحا،فإن هذا القرآن رأس هذا الأدب وقلبه الخافق، ولن يدرس درسا أدبيا صادقا يفي بحاجة المتعرض لتفسيره إلا بعد أن تستكمل كل وسائط تلك المعرفة للبيئة العربية مادية ومعنوية.

أما ما دمنا نقرأ التشبيه العربي القرآني،أو التمثيل العربي القرآني فإذا مادته الأضواء العربية،والظواهر الجوية العربية والحيّ أو الجماد المشهود في بلاد العرب لا نعرف عنه شيئا وليس عندنا عنه صورة خاصة، فما يحق لنا – مع هذا– أن نقول أننا نفسر هذا القرآن أو نمهد لفهمه فهما أدبيا،يهيئ للانتفاع به في نواح أخرى.

وما دمنا نذكر الحجرَ ،والأحقاف،والأيكة،ومدين،ومواطن ثمود ومنازل عاد،ونحن لا نعرف عن هذه الأماكن إلا تلك الإشارات الشاردة،فما ينبغي أن نقول أننا فهمنا وصف القرآن لها ولأهلها أو أننا أدركنا مراد القرآن من الحديث عنها وعنهم،ثم لن تكون العبرة بهذا الحديث جلية ولا الحكمة ولا الهداية المرجوة مفيدة مؤثرة " [1].

وخلاصة الأمر أن الأستاذ الخولي يشترط على المفسر الإحاطة العامة لما يتصل بالبيئة التي نزل بها القرآن، سواء ما تعلق بالبيئة المادية التي تتمثل في الظواهر الطبيعية،أو كانت تتعلق بالبيئة المعنوية كتاريخ الأمة العربية وثقافتها وأعرافها .

وبعد إستيفاء ذلك يكون التقدم إلى دراسة القرآن نفسه،بحسب رأيه.

ثانيا: دراسة القرآن نفسه

دراسة النص نفسه تقسم كما يريد الأستاذ أمين إلى قسمين:

1–دراسة في المفردات،من ناحيتين: –من ناحية معناها اللغوي

– من ناحية معناها القرآني

2 . دراسة في المركبات

[1]- فهد الرومي:اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، المرجع السابق،ص 992

قال الأستاذ الخولي في بسط النظر في المفردات:" وهي تبدأ بالنظر في المفردات، والمتأدب يجب أن يقدر عند ذلك تدرج دلالة الألفاظ،وتأثرها في هذا التدرج يتفاوت ما بين الأجيال، وبفعل الظواهر النفسية و الاجتماعية،وعوامل حضارة الأمة وما إلى ذلك مما تعرضت له ألفاظ العربية في تلك الحركة الجياشة المتوثبة التي نمت بها الدولة الإسلامية،والنهضة الدينية والسياسية والثقافية التي خلفت هذا الميراث الكبير من الحضارة... وقد تداولت هذه اللغة العربية في تلك النهضات، أفواه أمم مختلفة الألوان والدماء والماضي والحاضر، فتهيأت من كل ذلك خطوات تدريجية فسيحة متباعدة في حياة ألفاظ اللغة العربية حتى أصبح من الخطأ البيّن أن يعمد متأدب إلى فهم ألفاظ هذا النص القرآني الأدبي الجليل، فهما لا يقوم على تقدير تام لهذا التدرج والتغيير الذي مس حياة الألفاظ ودلالتها،وعلى التنبه إلى أنه إنما يريد ليفهم هذه الألفاظ في الوقت الذي ظهرت فيه، وتليت أول ما تليت على من حول تاليها الأول عليه السلام ... وإذا كان هذا هو الأصل الأول في فهم دلالة ألفاظ القرآن فمن لنا به مع أن معاجمنا لا تسعف عليه ولا تعين"[1].

ثم انتقل الأستاذ أمين الخولي للحديث عن المعاجم اللغوية،والتي هي على حسب رأيه لم تف بهذا الغرض الذي يدعوا إليه بعد أن قدم نماذج لذلك كمعجم لسان العرب والقاموس المحيط،ثم قال:" معاجمنا لا تسعف على شيء من تحقيق هذا الأصل الثابث في تدرج الألفاظ ...فليس أمام مفسر القرآن حين يبتغي المعنى الأول لألفاظه إلا أن يقوم بعمل في ذلك مهما يكن مؤقتا وقاصرا فإنه هو كل ما يمكن اليوم وإلى أن نملك قاموسا اشتقاقيا تتدرجفيه دلالات الألفاظ وتتمايز فيه المعاني اللغوية على ترتيبها عن المعاني الاصطلاحية على ظهورها " [2].

وعليه فالأستاذ الخولي يرى أن النظر في المفردات هي الخطوة الأولى في دراسة النص نفسه،وذلك بوضع ترتيب زمني لتدرج دلالات الألفاظ ليعرف معنى اللفظة الواحدة وقت نزول القرآن الكريم ومعناها بعد أن تداولتها أفواه أمم مختلفة الألوان والدماء من أجل التمييز بين المعنى اللغوي والمعنى القرآني،ويرى كذلك أن المعاجم لم تف بهذا الغرض،وبالتالي فعلى المفسر أن يتحمل عبء متابعة تدرج اللفظ ومن ثم اختيار ما يراه

[1]- فهد الرومي:اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، المرجع السابق،ص995

[2]- المرجع نفسه،ص 995

مناسبا للفظة القرآنية وقت نزول القرآن الكريم من معاني أخرى،وعليه أن ينظرللألفاظ القرآنية من ناحيتين:

أ- " النظر في المادة اللغوية للفظ الذي يريد تفسيره،لينحِّي فيها المعاني اللغوية عن غيرها،ثم ينظر في تدرج المعاني اللغوية للمادة نظرةً تُرَتِّبهاعلى الظن الغالب فتقدم الأسبق الأقدم منها على السابق حتى يطمئن – ما استطاع – إلى شيء في ذلك ينتهي منه إلى ترجيح معنى لغوي للكلمةكان هو المعروف حين سمعتها العرب في آي الكتاب...والمفسر في هذا التمييز والنظر مُلِمَّ – ما أمكن – بمُحْدَثِ الدراسة في أنسب اللغات وصلة ما بينها،ليطمئنكذلك إلى أن الكلمة عربية أصيلة،أوهيدخيلة،وإن كانت فما بيئتها ؟ وما معناها الأول؟ ثم هو محاذر كذلك من اندفاع معاجمنا في رد الكلمات إلى أصل عربي يشابهها في اللفظ،مع التكلف في الاشتقاق والربط.

ب-وإذا ما فرغ من البحث في معنى اللفظة اللغوي انتقل بعده إلى معناها الإستعمالي في القرآن يتتبع ورودها فيه كله،لينظر في ذلك فيخرج منه برأي عن استعمالها:هل كانت له وحدة اطردت في عصور القرآن المختلفة ومناسباتها المتغيرة؟ وإن لم يكن الأمر كذلك فما معانيها المتعددة التي استعملها فيها القرآن؟ وبذا يهتدي بمعناها أو معانيها اللغوية إلى معناها أو معانيها الإستعمالية في القرآن،وهو بما ينتهي إليه من كل أولئك يفسرها مطمئنا في موضعها من الآية التي جاءت فيها "[1].

وكما بيّن الأستاذ الخولي خُلُوَّ الساحة من معجم للترتيب الزمني لتداول الألفاظ العربية،أكّد أيضا خلوها من معجم يعنى بمفردات القرآن ويتتبع الألفاظ فيه، ومع أنه أشار لقاموس الراغب الأصفهاني إلا أنه وصفه بقوله: " عانى فيها شبيها بما وصفنا أو بشيء من أصل فكرته، ولكنه لم يتم التعقب اللغوي ولم يستوف التتبع القرآني وفاته مع ذلك كله فرق ما بين عصره وعصرنا في دراسة اللغات وصلاتها إلا أنه في كل حال نواة تخجل من بعده وبخاصة أهل هذا العصر الطموح، فيؤلمهم ألاّ يملكوا إلا هذا القاموس القرآني

[1]- فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، المرجع السابق،ص996

الناقص بل البدائي، وبإلتزام هذا المنهج الأدبي يرجى كمال هذا القاموس وقواميس أخرى تتطلبها حياة القرآن– كتاب العربية الأعظم " [1].

ومما يجدر بنا الإشارة إليه أن الأستاذ الخولي عالج تطبيقيا بعض الأحرف الهجائية على الطريقة التي أشار إليها في معجم ألفاظ القرآن الكريم،"وهو وإن لم يتمه إلا أنه مَثَّل عملي لما يمكن أن يقوم به المفسر الأدبي بجهده الذاتي في غيبة المعجم المطلوب ولا شك أيضا أنه مهد الطريق الوعر في هذا المقام لمن أراد أن يسلك سبيل المعجم التاريخي لألفاظ القرآن الكريم "[2].

وعليه يمكننا القول أن الأستاذ الخولي أوجب على المفسر النظر في مفردات القرآن من ناحيتين هما الناحية اللغوية وناحية الاستعمال،لينتقل المفسر الأدبي بعد هذا إلى النظر في المركبات.

2 –دراسة في المركبات:

بيّن الأستاذ الخولي أصول هذه النظرة بقوله:" ثم بعد المفردات يكون نظر المفسر الأدبي في المركبات وهو في ذلك – ولا مِرْيَة – مستعين بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة...ولكن لا على أن الصنعة النحوية عمل مقصود لذاته،ولا لون يُلّون التفسير كما كان الحال قديما... بل على أنها أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده،والنظر في إتفاق معاني القراءات المختلفة للآيات الواحدة والتقاء الاستعمالات المتماثلة في القرآن كله.. ثم على أن النظرة البلاغية في هذه المركبات ليست هي تلك النظرة الوصفية التي تعنى بتطبيق اصطلاحي بلاغي بعينه،وترجيح أن ما في الآية منه هو كذا لا كذا،أو إدراج الآية في قسم من الأقسام البلاغية دون قسم آخر،كلا بل على أن النظرة البلاغية هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني وتستبين معارف هذا الجمال وتستجلي قسماته في ذوق بارع قد إستشف خصائص التراكيب العربية مُنْضَّماً إلى ذلك التأملات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية لمعرفة مزاياها الخاصة بها بين آثار العربية،بل لمعرفة فنون القول القرآني وموضوعاته فَنَّاً فَنّاً، وموضوعا موضوعا، معرفة تبين خصائص القرآن في كل فن ومزاياه التي تجلو جماله "[3].

---

[1]- فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري،المرجع السابق ،ص 997

[2]- المرجع نفسه، ص998

[3]- فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري،المرجع السابق ،ص999

لا شك أن هذا المنهج الأدبي في التفسير بتلك الأصول التي أوجب الأستاذ الخولي السير عليها،في حقيقة الأمر هي خطوات شاقة حتى وإن كانت ممكنة،بدليل أنه شعر بهذا العبء واعترف قائلا:" ولئن كان مثل هذا ممايطلب أو يوصف في قليل من الجمل أو الأسطر فإن تحقيقه ليس بهذه السهولة والقرب،وإنما يقوم على إصلاح أدبي بلاغي أحسب أن الحياة الأدبية اليوم تحاوله وهي بالغة منه إن شاء الله مبلغا حسنا،ومستفيدة به في التفسير الأدبي للقرآن كما تستفيد هذه المحاولة الإصلاحية نفسها بمزاولتها للتفسير القرآني" [1].

زد على هذا أنه يشترط في التفسير الأدبي مراعاة أمر في غاية الأهمية هو:

التفسير النفسي:

قال الأستاذ الخولي في هذا الصدد: " لأن ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس، قد مهد السبيل إلى القول بالإعجاز النفسي للقرآن،كما كشف عن وجه الحاجة إلى تفسير نفساني للقرآن يقوم على الإحاطة المستطاعةبما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الميادين،التي تناولتها دَعَاوَة القرآن الدينية،وجدلهالإعتقادي،ورياضتها للوجدانات والقلوب واستلاله لقديم ما اطمأنت إليه،وتوارثته عن الأسلاف والأجيال،وتزيينها بما دعا إليه من إيمان،ينقض مبرم هذا القديم ويهدم أصوله...وكيف تلطف،القرآن لذلك كله،وماذا استخدم من حقائق نفسية في هذه المطالب الوجدانية والمرامي القلبية،وماذا أجدت رعاية ذلك كله في انجاح الدعوة وإعلاء الكلمة، فالتفسير النفسي يقوم على أساس وطيد من صلة الفن القولي بالنفس الإنسانية،وإن الفنون على اختلافها – ومن بينها الأدب – ليست إلا ترجمة لما تجده النفس "[2].

ولا ننسى أنه أكّد على أهمية التفسير النفسي عندما قال:" أن اللمحة النفسية في المعنى القرآني، ربما تكون أحسم لخلاف بعيد الغور كثير الشعب بين المفسرين... فالملاحظة النفسية حين تعلّل نسج الآية وصياغتها وتعرف بجو الآية وعالمها،ترفع المعنى الذي يفهم منها إلى أفق باهر السناء،وبدون هذه الملاحظة يرتد المعنى ضئيلا ساذجا لا تكاد النفس تطمئن إليه،ولاهو خليق بأن يكون من مقاصد القرآن"[3].

---

[1]-فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري المرجع السابق، ص999

[2]-المرجع نفسه، ص 1000

[3]- المرجع نفسه، ص 1001

هذه هي أبرز الخطوات التي رسمها الأستاذ الخولي لمنهج التفسير البيانيعلى حسب رأيه،والدافع من تأصيل هذا المنهج والدعوة إليه،هو إشارة القدماء إلى العلم الذي لم ينضج ولم يحترق بعد،وعدّوا منه علم البيان والتفسير،فكانت دعوته لهذا المنهج ومحاولة تطبيقه هوالسير بالتفسير نحو الأمام، وتجديده بروح تواكب روح العصر.

الفصل الثاني : الإتجاه البياني عند الشيخ الشعراوي

المبحث الأول: ملمحية التفسير البياني للمعاني القرآنية من خلال نماذج من السور القصار

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية تحليلية لنماذج من السور القصار

المبحث الأول: ملمحية التفسير البياني للمعاني القرآنية من خلال نماذج من السور القصار

المطلب الأول: خصائص العرض التفسيري في منهج الشعراوي

المطلب الثاني: مقارنة بين منهج الشعراوي والبيانيين

المطلب الثالث: التفسير البياني عند الشعراوي بين التقليد والتجديد

المبحث الأول: ملمحية التفسير البياني للمعاني القرآنية من خلال نماذج من السور القصار.

المطلب الأول: خصائص العرض التفسيري في منهج الشعراوي.

إن المتتبع لتفسير الشيخ الشعراوي– رحمه الله– يجده يتميّز بسمات خاصة تجعله يختلف عن غيره من التفاسير الأخرى، سواء في منهجه أو في طريقة تفسيره، وسنحاول عرض أهم ملامح منهجه التفسيري في العناصر الآتية:

أولا: خصائص المنهج العام:

1– تفسير القرآن بالقرآن: لقد اعتمد الشيخ الشعراوي في تفسيره للآيات القرآنية أولا، على تفسيرها من مواضع أخرى في القرآن الكريم، ومن المؤكد أن هذه أحسن طرق التفسير، قال الشيخ ابن تيمية في ذلك: "إن أحسن طرق التفسير أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في مكان آخر"[1].

ومن أمثلة ذلك نجد الشيخ الشعراوي في معرض تفسيره لسورة النبأ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ النبأ: ٤ – ٥

هنا يستعرض الآيات التي ترد على منكري البعث، و يذكر قول المفسرين في كلمة (كلا) كونها إذا تكررت فهي للتوكيد، ثم يقدم فيها لفتة بيانية رائعة حينما قال: " التوكيد عادة يأتي بغير عطف كلا سيعلمون كلا سيعلمون، أنا لا أقول زيد ونفسه، زيد نفسه لكن (ثم) هذه تدل على أن فيه حاجتين اثنتين، نقول:نعم لأن طريقة العلم لهم ستختلف... الذين كذبوا بيوم البعث، ويوم الدين، سيعلمون أنه الحق، ثم يعلمون أنه الحق"[2]، ثم يأتي ليشرح الآية بآيات سورة التكاثر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾ التكاثر: ٣ – ٦

وهنا يعرض لمراتب العلم الثلاث: علم اليقين، وعين يقين، وحق يقين، ليشرح بها الآية الكريمة، ونجده قد استشهد في معنى الآية بآية أخرى، بينما نراه في مواضع أخرى في تفسيره للآيات القرآنية المتشابهة أو التي تشترك في نفس الموضوع، يجمعها

[1]- ابن تيمية: التفسير الكبير، عبد الرحمان عميرة ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ص231

[2]- الشعراوي:المختار من تفسير القرآن الكريم، دار الشهاب، باتنة ـ الجزائر،ج2 /37

ويشرحها، حتى وإن وردت في سور متعددة، ليوضح المعنى الذي يغلب أن يكون هو المقصود منها، ومثاله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ النبأ: ٢٠

قال مفسرنا:" مسألة الجبال هذه آخذة حظا واسعا قي القرآن، لما تجد 29 آية متعلقة بهذه الجبال، منها11 آية متعلقة بأحوال الجبال في يوم القيامة، لكن مسألة التسيير ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ ومعنى السراب الشيء يتوهمه شيئا وليس بشيء، يعني أصبحت هباء، لم يعد لها وجود، هنا لما تتبعنا كلمة(سيرت) بالنسبة للجبال وجدنا أن قول الحق سبحانه وتعالى في سورة التكوير ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ التكوير: ١ – ٣

وبعدين في سورة الكهف أيضا تعرضت لهذه العملية،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧﴾ الكهف: ٤٧

وأيضا في سورة الطور، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ الطور: ٩ – ١٠

وكذلك في سورتنا هذه ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ كلمة تسيير الجبال وردت في أربع سور، إلا أنه في الثلاث سور لم تتعرض إلى ماذا تصير إليه بعد التسيير؟ لكن في سورة عم﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ يبقى كأن نتيجة التسيير أنها تصير سرابا، يبقى كأن فيه عمليتين: تحرك من أماكنها بالسير، ثم تصير سرابا"[1].

وهكذا نجد الشيخ ربط بين الآيات لتوضيح وتبيين المعنى في تلك الآية الكريمة.

2– تفسير القرآن بالسنة: وكما فسّر الشيخ الشعراوي القرآن بالقرآن، فقد فسّر القرآن بالسنة، وبذلك يكون قد ربط بين جناحي الشريعة الإسلامية.

ومن الأمثلة على تفسيره القرآن بالسنة، تفسيره لقوله تعالى ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ النبأ: ١

قال مفسرنا: "يوم ينفخ في الصور(هذه كأنها بداية يوم الفصل) {فتأتون أفواجا} يعني مثلما يقول {يوم يدعو كل أناس بإمامهم} أو أهل كل سيئة في صف لوحدهم: هؤلاء مثلا

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 65

هم الزناة، هؤلاء هم آكلوا الربا، هؤلاء هم آكلوا السحت، هؤلاء هم الجائرون، يعني كل جماعة وحدها.

ولذلك هناك حديث يرويه ابن مردويه عن معاذ بن جبل (إن معاذ بن جبل) حينما قرأ قول الله سبحانه وتعالى ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾سأل رسول الله عن ذلك

فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يا معاذ: سألت عن عظيم من الأمور، ثم أرسل بصره (يعني أرسل بصره إلى السماء) وقال: عشرة أصناف ميّزهم الله عز وجل من جماعة المسلمين فبدّل صورهم: فمنهم من هم على صورة القردة، ومنهم من هم على صورة الخنازير، ومنهم المنكسون، أي رجولهم فوق رؤسهم يسحبون منها، ومنهم العمي يتزوون، ومنهم الصم البكم لا يعقلون، ومنهم من يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا، ومنهم قوم قطعت أيديهم وأرجلهم، ومنهم قوم يصلبون على جذوع من نار، ومنهم قوم أشد نتنا من الجيفة يتقذرهم الجمع، ومنهم قوم يلبسون جلبابا من قطران لازقة بأجسادهم، أما الذين على صورة القردة، فهم القتات من الناس..."[1].

وهكذا نجد الشيخ قد استشهد بالحديث في تفسير الآية الكريمة، ومع ذلك فقد عقّب قائلا: "بهذا فسّر رسول الله–صلى الله عليه وسلم– كلمة أفواجا، وإن كان المدقّقون في تخريج الأحاديث قالوا: إن السياق يدل على أن الكلام فيمن أنكر البعث، ومنكر البعث أو المتشكك فيه كافر، وهذا الحديث إنما يتعرض لجماعة من المسلمين، لذلك ابن حجر قال: يخيّل إلي أن الحديث ليس في موضوعه أو هو موضوع، يعني استشهد به في غير موضعه أو هو موضوع"[2].

3– علوم القرآن: لقد تناول مفسرنا مسائل علوم القرآن بما يساعده على تجلية النص وتفسيره، كأسباب النزول، ووجه المناسبة بين السور والآيات القرآنية، وسنبيّن ذلك بأمثلة من تفسيره على سبيل المثال لا الحصر.

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم،ج2 /63
[2]- الشعراوي: المرجع نفسه،ج63/2

جاء في تفسيره لسورة الأعلى قوله:" نجد المناسبة وثيقة بين سورة الغاشية وبين سورة الأعلى، فسورة الأعلى تحدّثت حديثا عن الأشقى، وتحدّثت حديثا عمن تزكى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ الأعلى: ١٤ – ١٥

وتحدثت عن الأشقى، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ١٣﴾ الأعلى: ١٢ – ١٣

فكأنها تكلمت عن الإيمان وما ينتظر المؤمن من جزاء الله، وتكلمت عن الكفر وما ينتظر الكافر من عذاب الله، فجاءت السورة الثانية أيضا لتوضح هذا المعنى وتؤيده تأييدا في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢﴾ و ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨﴾"[1]

فهنا نرى الشيخ قد بيّن وجه المناسبة بين السورتين.

4- تفسير القرآن بعلوم اللغة: لقد اعتمد مفسرنا على العلوم اللغوية بشكل كبير، حتى ليخيّل إلينا أنه تفسير لغوي محض بلون عصري بديع، وسنكتفي بذكر بعض الأمثلة التي تجسد لنا استخدامه لعلوم اللغة في بسط معاني الآيات القرآنية للكشف عن أسرارها، أما التحليل فهو ما سنكل إلى المباحث الأخرى بيانه وتفصيله .

أ- ذكره للنواحي البلاغية :

الكناية: جاء في قوله تعالى في سورة المسد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾ المسد: ٤ – ٥

قال مفسرنا:" العلماء قالوا: إن الشيء قد يكون له حقيقة، وصحيح كانت هي تحمل الحطب وترميه، لأنهم كانوا جيران النبي –عليه الصلاة والسلام– وطبعا مجرد الحطب ليس فيه إيذاء،لازم يكون الحطب من نوع مخصوص، الشوك وحسك والثعبان، فكانت تحضره وتؤذى النبي، هذه العملية الحسية"[2].

ثم يورد لها تفسيرا آخر، فيقول: "المفسرين قالوا: إنها كانت مشهورة بشيء أخر مشهورة بالنميمة بين الناس، وعادة الحطب يأتي للنار، إذن الحطب، وأسباب إيقاد العداوة بين الناس، فتبقى النميمة التي تمشي في الناس كأنه الحطب، فقالوا لا مانع أن تكون قد

[1]- الشعراوي، المختار من تفسير القرآن الكريم، ج3 /36

[2]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، دار العودة ـ بيروت، 1981 ج 121/3

فعلت الحقيقة، وفعلت ما يكنى به عن الحقيقة يبقى حمالة الحطب لها حقيقة و كناية عن كونها نمامة"[1].

ب- ذكره لنواحي الإعراب:

جاء في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ النصر: ٣

قال مفسرنا:"عندنا في النحو يقول: المصدر هذا مضاف إلى الفاعل أم مضاف إلى المفعول؟ يعنى (حمد) لله فاعله، أم حمد لله هو المحمود فيه، يعنى يقع عليه الحمد {بحمد ربك} يعنى كن حامدا أنت لله هو المحمود {بحمد ربك} يعنى بحمد، ليس صادر من صيغته، لماذا لأن حمد المحمود يتطلب الإلمام بصفات الكمال له، لتستطيع أن تثني عليه بما هو أهله، ثم يقتضي القدرة على إيراد الأساليب التي تناسب ذلك المقام، ومن يستطيع من البشر أن يحيط بكمالات الله ؟ ومن من البشر إذا استطاع أن يحيط ببعض الكمالات؛ يستطيع أن يأتي بالأسلوب الذي يليق بمدح الله وحمده؟ لا أحد، فمن رحمة لله بالخلق أن علّمهم هو صيغة حمده، فقال لهم: قولوا {الحمد لله}وهذا الرب حمده مطلوب من الجميع، يقول الحق سبحانه وتعالى يتحمل عن البشر كلهم صيغة الحمد التي يحمدونه بها كلّهم، فرحمنا جميعا بهذا، إذن {فسبح بحمد ربك} أي بالحمد الصادر من ربك، ولذلك يقول رسول لله -صلى الله عليه وسلم- سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك "[2].

ج- ذكره للفروق اللغوية: من ذلك تفريقه بين المدح والحمد، قال:" إذن الحمد..يحمد المحمود لذاته، ولنعم سبقت ولنعم ترجى، ولخوف يكون، نأتي بالمدح..المدح هذا لا يكون إلا على شيء قد تعدى، وشيء قد لا يوجد بالاختيار، الحق سبحانه وتعالى إن شاء أنعم، وإن شاء لا ينعم...لكن صفات الجمال في أي شيء موهوبة في ذاته، ليس لها اختيار في أن توجد فيها أو لا توجد، إذن فيوجد لها مدح، ولا يوجد لها حمد"[3].

د- الاستشهاد بالشعر : نلاحظ أن مفسرنا استشهد بكثير من الأبيات الشعرية دون أن ينسبها إلى قائليها، مما يدل على أن مفسرنا أقام تفسيره على المخزون العقلي الذي احتفظ به طوال حصاده العلمي، وسنورد أمثلة على سبيل الحصر لا القصر.

---

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ص 122

[2]- المرجع نفسه، ص100

[3]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم، ج2/ 7

الشاعر يقول:

"وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغـــي العيـــش أكدح"[1]

"أعلّمه الرماية كل يـــــوم فلما اشتدّ ساعده رمـــــــــــاني"[2]

5- الإستدلال لقضية غيبية بقضية متفق عليها، ليجعل المنطلق من المتفق عليه إلى المختلف فيه: قال الشيخ الشعراوي: "هذه القضية شائعة في القرآن، ولعلنا عرضنا نماذج كثيرة منها، فمثلا قضية الحياة وكيف نشأنا وكيف خلقنا؟ هذا أمر لم نشهده، لم يشهد الإنسان كيف خلق؟ {ما أشهدتم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم} كيف نعرف كيف خلقنا؟ ممن خلق، هو الذي يقول لنا كيف خلقنا، إذن هذه مسألة وضع فيها الحاجز أمام النشاط الذهني العلمي في أن يعرف كيف بدأ الخلق؟ مسألة مفروغ منها في أنه لا يمكن أن نعرف علميا، علم تجريبي ليس ممكنا، ما لم يكن من خبر الخالق فلا علم لك بها، لا تقدر كيف خلقت السماء والأرض؟ ودعك من الضرب من الحدس ومن التخمين الذي يقع فيه القوم الذين يكلفون عقولهم فوق طاقتها، وفوق مجالها، العقل معمول لكي يبحث علما تجريبيا في مادة أمامه، أما علم لا يجري عليه تجربة لا يمكن يجيء فيه حقيقة علمية أبدا... فلما ربنا جاء يتكلم عن قصة الخلق حكى لنا وقال: الإنسان الأول خلقته من سلالة من طين، وبعدين مرة قال من تراب، ومرة من طين، ثم وصف الطين مرة وقال إنه حمأ مسنون، ثم قال مرة أخرى من صلصال كالفخار، فيجيء المستشرقون يتيهون عجبا ويقولون: القرآن فيه تعارض... نقول: وهل التنقل بين المراحل تضارب؟ التراب إذا جاء عليه الماء صار طينا، والطين إذا ظل مدة حتى ينتن ويعطب يبقى حمأ مسنون متغير الرائحة، وإذا ترك ليجمد يبقى صلصال كالفخار، فهذه مرحليات وليست تناقض، هذا الكلام لو كان الطين ليس من التراب، لو كان الحمأ مسنون ليس أصله الطين، إذن هذه مرحليات في فكرة الخلق فقط، تقول هذا أمر غيبي عنا، ربنا قصّ لنا ونحن صدقنا لأننا نوثق الله ونصدقه، إنه خلقنا من تراب، من طين، لكن الحق سبحانه وتعالى حينما يريد أن نعرف صدقه في هذه القضية، ماذا يفعل؟ يأتي بأمر محس ليجعله الدليل على الأمر الغيبي، نحن لا يمكننا أن نعرف كيف جاءتنا الحياة، ولكننا بالتأكيد نعرف كيف نموت؟ إذن فجعل الموت الذي هو ظاهرة حسية نراها وسيلة

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم، ج2 /150

[2]- المرجع نفسه، ج3 / 178

للتصديق بالظاهرة الغيبية التي لم نرها، إذا مات الإنسان ماذا يحصل؟ إذا مات الإنسان آخر حاجة تخرج روحه، وهي آخر شيء أودع فيه، قصة الحياة...صلصال كالفخار وبعدين نفخ فيه فصار حيا، إذن آخر شيء جاء له في إيجاد الحياة هو نفخ الروح، يبقى أول شيء يطير منه الروح"[1]، ثم يحاول تقريب المعنى لتأكيد الفهم، يقول: " إذا جئت إلى طريق وسرت فيه إلى نهايته، ثم أردت العودة في الطريق، آخر محطة وصلت لها هي أول محطة ترجع لها، تبقى قصة الحياة هكذا وقصة الموت تجيء بالرجعة...ولذلك تستعجب حينما تأتي في سورة (تبارك) ويقول﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾الملك1- 2

كان المفروض أن يقول الحياة والموت..لا.. هو قال خلق الموت، لأن الموت هذا ممكن ملحظيا وتجريبيا تقدر تراه، وبعد ذلك تستدل من وقائع الموت وترتيبها وقائع الحياة، يبقى لازم تجيء مسألة الموت، لأن الموت سيبقى المنفذ والدليل إلى معرفة كيف أن الله صدق حينما قال في حياتك كذا وكذا"[2].

6- الرد على المستشرقين: من المثال السابق إتضح لنا جليا طريقة الشيخ في الرد على المستشرقين، والأمثلة كثيرة في تفسيره، لكننا لا نستطيع بسطها في هذا المقام مخافة التطويل، ولأننا سنذكر أمثلة ردّ فيها على المستشرقين في مواضع أخرى من البحث.

7- دفع التعارض الظاهري بين آيات القرآن الكريم وبين الحقائق العلمية: أيضا من المثال السابق الذكر تتضح لنا تلك السمة في تفسيره، وهي كثيرة عنده، أما في موضع آخر وحينما شرع في تفسير قوله تعالى﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ ﴾ النبأ: ١٢، هنا يتجلى لنا بكل وضوح خصائص منهجه التفسيري، فقد قام باستقراء النصوص القرآنية المتعلقة بفهم تلك الآية، قال مفسرنا: " السبع الشداد كما تدل عليه السياقات الكثيرة من القرآن مراد بها السماوات، وكون السماوات سبعا متعدد النصوص وكونها طباقا أيضا متعدد النصوص"[3].

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم،ج 2/ 40
[2]- المرجع نفسه، ص 41
[3]- المرجع نفسه، ص 53

وقبل أن يشرع في تفسير الآية عرّج مفسرنا على قضية غاية في الأهمية، وهو كون الناس المخلصة في دينها أرادت أن لا تبعد الدين عن واقع الحياة، وحاولت جاهدة أن تقرب قضايا الدين وخاصة الغيبيات منها إلى عقول الناس، وبعدما التمس مفسرنا العذر لهذا العالم قال:" كان على رأس هؤلاء الشيخ محمد عبده، وهو زعيم المدرسة العقلانية، التي كانت تحاول دائما أن تقرّب قضايا الدين التي تتعلق بالغيب إلى عقول الناس، وهي ظاهرة تدل على الغيرة للدين، ولكنها تضر أكثر مما تنفع لماذا؟ لأن قضايا الدين في الأمور الغيبية، الإيمان بها هو الواجب،كيفية ما تؤمن به ليس من الضروري أن تعرفه"[1].

ثم دأب مفسرنا في تبيّين وجهة نظر الشيخ محمد عبده- رحمه الله- والرد عليه بلطف وأدب جم، وهو أن القرآن لا يفسّر آية آية، بل يتخذ جملة، فإذا مثلا قرأنا قول الحق سبحانه وتعالى في سورة المرسلات، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾ المرسلات: ٨ – ٩ يدل على أن السماء ليست هي النجوم، وبعد ذلك يأتي في استهلال آية أخرى يقول، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ الانفطار: ١ –٢ ، فمرة يعمل النجوم مغايرة للسماء، ومرة يعمل الكواكب مغايرة للسماء، السماء شيء والكواكب والنجوم شيء آخر"[2]، ثم بدأ في تفسير الآية من خلال استظهار النصوص القرآنية التي تخدم معنى تلك الآية الكريمة، وبعد كل هذا وذاك وضّح مفسرنا مسألة أنه لا يوجد تعارض بين القرآن والعلم، قال معقّبا على كلامه السابق: " أبعد ذلك يا إمام أنت ومدرستك تقولون إن السماء المراد بها ما علانا فأظلنا، من شمس وقمر وكواكب ونجوم لتقربوا هذه المسألة على العقول وتقولوا: إن الدين ليس متعارضا مع العلم الدين صحيح لا يتعارض مع العلم، إنما العلم ما هو؟ العلم الذي يصل إلى حقيقة علم، لأن التضارب لا يمكن أن يأتي بين كلام الله وبين كون الله، الله هو الذي خلق الكون والله هو الذي قال القرآن، يبقى إذن لا تعارض أبدا، إنما ينشىء التعارض من أي شيء؟ أن تعتبر حقيقة في القرآن على فهمك وهي ليست حقيقة أو تعتبر حقيقة في الكون على فهمك وهي ليست حقيقة، إما إن صرت إلى حقيقة قرآنية كحقيقة قرآنية، وإلى حقيقة كونية كحقيقة كونية، فلا يمكن أن يوجد تضارب أبدا، ولكن الناس دائما يتعجلون كلما رأوا بارقة من

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم،ج2 /54

[2]- المرجع نفسه، ص55

علم، نظرية أو أي شيء يحاولون أن يفسروا بها غيب الله سبحانه وتعالى، هم صحيح مخلصون في هذه المسألة، إنما المهم أن يرفع عقول الناس إلى مستواه"[1].

8- التعرض للحقائق العلمية من خلال التفسير: ينطلق الشعراوي في الإعجاز العلمي من فكرة أنه كل يوم في تطور وتجدد، ولا يمكن حصره في زمن محدود أو في نظرية معينة، قال مفسرنا:" إذا كنا كل يوم نخطو في العلم خطوات تدلنا على حقائق، فإذا كان العقل في القرن العشرين يريد أن يفهم الحقائق الغيبية الآن، فماذا ترك لعقل القرن الثلاثين، أليس أسرار الله تجيء بقطارة، كل يوم يعطي الله سبحانه وتعالى خلقه بعض الأسرار؟ ولذلك قلنا في قوله سبحانه وتعالى،﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فصلت: ٥٣

سنظل(سنريهم) وليس أريناهم.لا.. سنظل نقرأها إلى يوم الساعة(سنريهم) ومعنى ذلك أن كل يوم لا بد أن يأتي بجديد"[2].

وعلى هذا الأساس فقد جاء تفسيره مليء بالقضايا العلمية، منها على سبيل المثال، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ النبأ: ١٤

" أي من ماذا؟ بعضهم يقول: الرياح، وبعضهم يقول: السحب وبعضهم يقول قمم الجبال، المهم أنها من شيء أعصر يعني حان وقت إنجابه، الريح تحمل السحاب، إنما ليس كل ريح تحمله السحاب يمطره، لازم يبلغ منطقة باردة لكي يتكاثف وينزل، كذلك الجبال ليس كل جبل له قمة ينزل عليها ماء، لازم جبل يكون على مستوى عال، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧﴾ المرسلات: ٢٥ – ٢٧، فإسقاء الماء الفرات مرتبط برواسي شامخات"[3].

ثم بعد ذلك نجده يسترسل في الشرح والتوضيح، من منطلق الإحصائيات العلمية، إلى أن ينتهي إلى حقيقة علمية تعينه على تأكيد وجهة نظره حول معنى الآية الكريمة، إذ قال:" قالوا إن الرياح التي تمر على منطقة خط الثلج تودع كل ما فيها من ماء على القمم وبعدين تهب على الجهات المقابلة بدون ماء، هل معنى ذلك أن الجهات التي ليس

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم ، ج2 ص58
[2]- المرجع نفسه، ج2 ص58
[3]- الشعراوي: المرجع نفسه، ج2ص 60

لها خط ثلجي يمدُّها، تظل من غير ماء..لا.. عملية الرياح، ولذلك آية النور تشرح لنا هذه العملية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴿٤٣﴾﴾ النور: ٤٣

كنا نفهم أن كل سحاب يجيء يمطر.لا..لازم سحاب من ذكورة ومن أنوثة، لازم فيه كهربائية موجبة وكهربائية سالبة، ويجتمعا مع بعض وتجيء العملية، وكنا نفهم زمان لما ربنا سبحانه وتعالى يقول: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴿٢٢﴾﴾ الحجر: ٢٢

كنا نفهم أنها تلقح النباتات، وبعد ذلك عرفنا كيف أنه جاء بعدها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴿٢٢﴾﴾ الحجر: ٢٢

يبقى إذن هي ليس لواقح الذي ترونه، أيضا تلقح الموجبة والسالبة وينزل المطر، هذا كلام أعطاه لنا العلم، جزاه الله خيرا النشاط الذهني الذي أعطانا هذه المعلومات"[1].

9- يذكر أقوال العلماء وآراء الفلاسفة ويرد عليها: فمثلا حين جاء في تفسير فاتحة الكتاب، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ الفاتحة: ٢

قال مفسرنا:" فليس معنى أنه خلقها فقط كما قال الفلاسفة،لأن الفلاسفة قالوا: إن الله زاول سلطانه في ملكه مرة واحدة، وهو أنه خلق النواميس، وخلق القوانين، ثم ترك النواميس، وترك القوانين تعمل عملها"[2]، ثم نجده يرد عليهم ويفنّد رأيهم بقوله: "لو كان الأمر كذلك لما اختل شيء في ناموس الكون، لأنه سيسير سيرا آليا، ولو أنه سار سيرا آليا لكان لمنطقكم هذا معنى...ولذلك قامت مدرستان في ألمانيا مدرسة بخنر ومدرسة جبيل،واحد يقول إنني لا أؤمن بإله وراء هذا الكون، لأن العالم يسير رتيبا بنظام آلي، مما يدل على أن ليس فوقه قوة توجهه، ولو كانت فوقه قوة توجهه كان العالم الآلي هذا يشذ في بعض الأحيان...وتقول المدرسة المقابلة له أنا لا أؤمن بهذا الإله، لأن العالم فيه شذوذ خارج عن هذا النظام"[3]، ومن ثم نجد مفسرنا يوضح اضطراب كلا المنهجين الفكريين، ويرد عليهم قائلا أن النظام الكلي للكون في غاية الدقة ولا يشذ فيه شيء، إذ لو كان فيه شذوذ لفسد العالم، أما الشذوذ الذي وجد فهو في أفراد الأجناس، ليس في النظام

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم ، ج2ص 61
[2]- المرجع نفسه، ج2 ص15
[3]- المرجع نفسه، ج2ص15

الكلي، وبالتالي النظام الكلي ثابت، والشذوذ أيضا موجود، ولكنه ليس شذوذا في الأجناس ولكنه في الأفراد، وعليه الشذوذ في الفرد لا يعني إنهاء القاعدة الكلية في الجنس، فإذا جاء شذوذ في فرد من الناس، أو في فرد من الحيوان بقي قانون الجنس في بقية الأفراد سليما، إذن فعدم وجود الشذوذ في النظام الكوني العام له علة، ووجود الشذوذ في الأفراد له علة.

ثم نجده في موضع آخر في تفسير آية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ النبأ: ٨

يشيد برأي الفيلسوف الفرنسي (دينيه) ويستشهد برأيه على أهل الصدفة، ثم نجده يشكره على علمه ولا ينكر مجهوده، قائلا: "ولذلك نقول له يا دينيه كثّر خيرك أنت فقط نبهتنا إلى قرآننا"[1]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على قمة أخلاق مفسرنا.

10- اعتمد على التفسير الموضوعي فهو إن يريد شرح آية يأتي على مواضعها من سور أخرى، وهذا مطرد عنده كثيرا، وسنكتفي بذكر استقرائه للفظة (الحمد) في سورة الفاتحة، قال: "وباستقراء القرآن وجدنا أنها خمس سور مبتدئة بالحمد: فاتحة الكتاب في الحمد العام، وسورة الأنعام في الحمد على النعمة المادية، الكهف في الحمد على النعمة الروحية وبعد ذلك نجد في سبأ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ سبأ: ١ - ٢

والخامسة في سورة فاطر،

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ فاطر: ١ "[2]

11- يستفيض في الاستدلال العقلي، فكثيرا ما استعمل المنطق من أجل البرهنة على القضايا العقدية، فبعد سيطرة العقل والنزوع إلى التفكير العلمي في زمنه، كان ولابد أن تصبح طريقة تناول الشعراوي لأمور العقيدة من زوايا مختلفة، تتسع لتشمل وجهات النظر

[1]- الشعراوي : المختار من تفسير القرآن الكريم ، ج2 ص47

[2]- المرجع نفسه، ج2ص 6

المعارضة والمؤيدة في وقت واحد، فكان يتناقش بمنطق الملحدين أحيانا ليقنعهم ويتكلم بلسان العلم ليثبت أن العلم يؤكد ما ذكره القرآن، وأنهما في النهاية وجهين لعملة واحدة.

جاء استخدام مفسرنا للمنطق في مواضع كثيرة، منها على سبيل المثال حينما شرع في تفسير آية،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الإخلاص: ١

هنا قال مفسرنا:"هي الأساس التي عليه أسست السماوات والأرض ولو لم توجد هذه العقيدة في ذاتها، لما أمكن للسماوات والأرض أن تقوما، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١﴾ فاطر: ٤١

فقول الحق، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ۝٢٢﴾ الأنبياء: ٢٢

يسمونه دليل التمانع، ومعنى دليل التمانع أن طرح الحق سبحانه وتعالى قضية، لا على قياس المناطقة حين يصنعون قياسا يأتون بقضيتين، القضية الأولى يسمونها الصغرى، والقضية الثانية يسمونها الكبرى... هذا قياس منطقي من الشكل الأول.. لكن الحق حين يأتي بالقياس، لا يجيء به على منطق أرسطوا، إنما يجيء به على منطق أقوى من ذلك، لماذا؟ لأن منطق أرسطوا يأتي بقضيتين: صغرى وكبرى، ويحذف المكرّر، وبعد ذلك يأتي بالنتيجة من الباقي من المقدمتين... لكن الحق لم يفعل ذلك في كل براهينه...ماذا قال الحق؟ {لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا} كان يجب لاستكمال القياس أن يقول: ولكن الفساد ممتنع، فامتنع تعدد الآلهة..(لو كان فيهما آلهة إلا لفسدتا)..ما هي النتيجة؟ (لفسدتا) كان لابد أن يأتي بقضية ثانية يقول: ولكن الفساد ممتنع..إذن تعدد الآلهة ممتنع..وهذا يسمونه دليل التمانع..النتيجة التي وصلنا إليها لم تكن من قول الحق كلها، ولكن المخاطب شارك في بناء القياس، وما دام المخاطب قد شارك في بناء القياس، فإيمانه بالنتيجة أقوى من أن يكون هو الذي أتى بقضيتي القياس من عنده"[1].

12- إيراد الحِكم والشعر والأمثلة الشعبية لتقريب المعنى إلى العقول، فلقد استشهد بقول للأستاذ الرافعي حينما قال:

[1]- الشعراوي :المختار من تفسير القرآن الكريم ، ج2 ص125

"وكن رجلا كالضرس يرسوا مكانه ليمضغ لا يعنيه حلّو ولا مرّ" [1]

وأورد مثالا شعبيا(مالقوش في الورد عيب قالوا يا أحمر الخدين)[2]

13- استخدام اللهجة المصرية لتسهيل الفهم على المتلقي، كقوله(إحنا طبعا، كويس، لا تفتكر...)

14- تأثر مفسرنا بأسلوب المدرس في الفصل، من طرح مكثف للأسئلة مما يجعل التلاميذ يشاركون أستاذهم التفكير، حتى يصلوا للإجابة معا دون مشقة، مما يجعل المتلقي مشارك في عملية التفسير، فازداد ارتباط الناس به وبأسلوبه، وفي الوقت ذاته كان يستخدم أسلوب التكرار والإطناب، ليتأكد أن معلومته وصلت للمتلقي، وكان في ذلك لا يخجل من أن يستخدم أي شيء في سبيل توصيل الفكرة وربط الآيات بعضها البعض، فكان أحيانا يرجع بالمتلقي بالذاكرة إلى خواطره عن آية مضت ويقول: (كنا قد ذكرنا في خواطرنا في الآية الفلانية كذا وكذا) أو يقول لهم (تتذكرون عندما قلنا قبل ذلك أن كذا وكذا).

15- الإصلاح الاجتماعي من خلال التفسير: لقد عالج مفسرنا العديد من القضايا الاجتماعية في خواطره حول آيات القرآن الحكيم، حيث لا تكاد تخلو سورة من التمثيل عليها من الواقع المعاش، فمثلا عند تعرضه لتفسير ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ ﴾ النبأ: ٢٧

قال مفسرنا:" هذا المبدأ إذا إستقرأت كل فساد الدنيا، وجدته ناشئا من هذه، متى يفسد المجتمع؟ حين لا يرجوا أعضاء المجتمع أو لا يتوقعون حسابا على تصرفاتهم، فحين يكون المجتمع فيه هذه الصفة، وهو أن لا يتوقع حسابا على تصرفاته، ينطلق في حركة حياته كما يحب، وكما يشتهي، وكما يهوى، إذن فالضامن لصلاح المجتمع، هو بعينه الضامن لصلاح الآخرة، إذا كان هؤلاء حصل لهم هذا لأنهم﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ ﴾ إذن عدم توقع الحساب من الإنسان يجعله ينفلت في حركة حياته، غير متقيد لا بنظام قيمي، ولا بنظام عقدي، لأنه لا يتوقع حسابا"[3].

---

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ج3ص 24

[2]- المرجع نفسه، ج 2 ص 177

[3]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم،ج2ص 72

ثم نراه يحلّل ذلك ليصل إلى ما يشبه القاعدة في هذا الأمر، قال:" أما إذا توقع المجتمع حسابا فحين يتذكر كل إنسان أنه سيحاسب على تصرفه، هنا ينتظم المجتمع"[1].

ثم يعرض لنا مثالا لتقريب الفهم من خلال دعوة الحكام إلى العدل، قال: " هَب أن مجتمعا من المجتمعات وجد فيه حاكم، إلا أن الحاكم غير عادل، ومعنى غير عادل أنه يخص طائفة بأنه لا ينفذ عليها القوانين، وطائفة ينفذ عليها القوانين..بالله إذا رأت طائفة ينفذ عليها القوانين، طائفة أخرى لا تنفذ عليها القوانين، ماذا يكون موقف المجتمع؟ المجتمع سيختان يختان ماذا يعمل؟ يقول أنا أستتر بالجريمة ما أمكن، إذن لما الرسول قال: (هلك من كان قبلكم بأنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد)[2] هذا هو الذي يعمل تفسخا في المجتمع، كذلك إذا كان الحاكم غافلا، ليس له عين يقظة، يقول: ومن الذي سيريني للحاكم، إذن يأتي الفساد"[3].

- ومما يجدر بنا الإشارة إليه في تتبعنا لمنهج الشيخ هو أننا اعتمدنا على النسخ المطبوعة من تفسيره، ورجعنا للنسخة الصوتية الأصلية، لأنه كما هو معلوم النسخ المطبوعة فرِّغت من التفسير الصوتي، وهنا لاحظنا وجود الفروق بينهما فتارة هناك كلام محذوف، وتارة أخرى هناك تغيير في الكلمات وسقط...

وكنا نريد أن نخصّص مطلب لمقارنة التفسير الصوتي بالمطبوع، وتصويب الأخطاء ما أمكننا ذلك، لكننا وجدنا المجال يتسع والفروق لا حصر لها، فأرجأنا هذا العمل لوقت آخر إن قدّر الله ذلك.

كذلك لاحظنا من مقابلة النسخ المطبوعة، أن نسخة دار العودة ـ بيروت (المنتخب من تفسير القرآن الكريم) تتشابه كثيرا مع نسخة دار الشهاب، باتنة ـ الجزائر (المختار من تفسير القرآن الكريم) والتي تعاونت في طبع هذا الكتاب مع مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، ولقد وجدنا أنهما تحتويان على نفس الأخطاء، وهذا ما يجعلنا نقول أن النسخة المفرّغة الأولى أخذت عنها دور النشر الأخرى دون الرجوع إلى النسخة الأصلية الصوتية، مع العلم أن مفسرنا قد فسّر القرآن الكريم على مدار خمس وعشرون سنة، بدأها بخواطره حول سورة البقرة، وانتهى عند الجزء 27 من القرآن الكريم، والأجزاء الأخيرة

---

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم، ج2ص72

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه، الطبعة السلفية، كتاب أحاديث الأنبياء، ج2 ،باب 54،حديث3475،ص499

[3]- المرجع نفسه، ج2 ص73

منه سجّلها في السعودية بالفيديو أيضا، وكانت تعرض ليشاهدها طلبة كلية البنات، لكن الباحث إيهاب عطا اعتبرها من الأجزاء المفقودة، قال: "عندما بحثنا في أمر هذه الأجزاء علمنا أنه عندما كان في السعودية، وبعد أن حدث الخلاف الشهير بينه وبين السادات وعاد على أثره إلى السعودية للعمل فيها كأستاذ زائر في جامعة الملك عبد العزيز، طُلب منه هناك أن يسجل خواطره بالفيديو على أن تعرض ويشاهدها طلبة كلية البنات، حيث أن الاختلاط ممنوع هناك بين الجنسين، فسجّل الثلاث الأجزاء الأخيرة من القرآن وكانت تعرض على الفتيات للاستفادة منها ولم يتم استرجاعها حتى الآن"[1].

ونظن أن الباحث يقصد أن الأجزاء المصوّرة الأصلية مفقودة، بدليل أنه فرّغ التسجيل في طبعة ونسخت عليها، وهو تلك الطبعات المتداولة بيننا.

وبالنسبة لنسخة دار الراية، (تفسير جزء عم لفضيلة الشيخ الشعراوي) هي في رأينا أدق من النسخ الأخرى، حتى وإن كانت قد أضافت وضمّنت تفسيرات لبعض السور من التفاسير الأخرى، والتي تتقارب في أسلوبها مع أسلوب الشعراوي، إلا أنها في صياغة المادة العلمية وتحويلها من طريقة الإلقاء، لتتناسب مع روح الكتابة كانت موفقة إلى حد كبير.

المطلب الثاني:مقارنة بين منهج الشعراوي والبيانيين

إننا إذ نحاول الكشف عن أهم الخصائص، التي جعلت تفسير الشعراوي متميزا ومتفردا بين جميع التفاسير القديمة والحديثة على السواء، لا يسعنا ذلك إلا بمقارنة منهجه بمنهج البيانيين، ولقد اخترنا من القدماء رائد المدرسة البيانية، الزمخشري، ومن البيانيين المحدثين، عائشة عبد الرحمن، ولقد اكتفينا بهذا لأن المقام لا يسمح لنا بالأكثر، ولأن الحديث سيطول في هذا المجال.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ النازعات: 6-14

[1]-إيهاب عطا: الشعراوي اللغز،أجياد للخدمات الثقافية،ط1، 2007 م ،ص149

ولنبدأ بالزمخشري :

قال الزمخشري:"{ يَوْمَ تَرْجُفُ } منصوب بهذا المضمر، ويقصد بالمضمر هنا المقسم عليه المحذوف، وهو(لتبعثن) لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة، و{ٱلرَّاجِفَةُ} الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال، وهي النفخة الأولى: وصفت بما يحدث بحدوثها.

{ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ } أي الواقعة التي تردف الأولى، وهي النفخة الثانية"[1].

ثم نجده يستدل على معناها من آية أخرى، قال: "ويجوز أن تكون الرادفة من قوله تعالى ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ النمل: ٧٢

أي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها، وهي رادفة لهم لاقترابها،وقيل{ٱلرَّاجِفَةُ} الأرض والجبال، من قوله ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ المزمل: ١٤

والرادفة:السماء والكواكب، لأنها تنشق وتنتشر كواكبها على أثر ذلك، فإن قلت: ما محل تتبعها؟ قلت:الحال، أي ترجف تابعتها الرادفة، فإن قلت: كيف جعلت{يَوْمَ تَرْجُفُ} ظرفا للمضمر الذي هو(لتبعثن)، ولا يبعثون عند النفخة الأولى؟ قلت: المعنى: لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان، وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الأخرى"[2].

ثم نرى الزمخشري يؤكد وجهة نظره بقوله:"ودَّل على ذلك أن قوله{تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ} جُعل حالا عن الراجفة، ويجوز أن ينتصب(يَوْمَ ترجُفُ) بما دلّ عليه{ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ } أي يوم ترجف وجفت القلوب{وَاجِفَةٌ} شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف: أخوان {خاشعة} ذليلة،فإن قلت:كيف جاز الابتداء بالنكرة؟ قلت {قُلُوبٌ} مرفوعة بالابتداء و{وَاجِفَةٌ}صفتها، و{ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ} خبرها فهو كقوله ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ البقرة: ٢٢١

فإن قلت: كيف صحّ إضافة الأبصار إلى القلوب؟ قلت: معناه أبصار أصحابها بدليل قوله {يَقُولُونَ} {فِى ٱلْحَافِرَةِ} في الحالة الأولى، يعنون الحياة بعد الموت، فإن قلت ما

[1]- الزمخشري: جار الله بن عمر، الكشاف، المصدر السابق، ج6 ص304

[2]- المصدر نفسه، ج6ص 305

حقيقة هذه الكلمة؟ قلت: يقال: رجع فلان في حافرته، أي:في طريقه التي جاء فيها فحفرها أي أثر فيها بمشيه فيها: جعل أثر قدميه حفرا، كما قيل:حفرت أسنانه حفرا: إذا أثر الآكال في أسناخها[1] والخط المحفور في الصخر، وقيل حافرة، كما قيل:عيشة راضية أي منسوبة إلى الحفر والرضا، أو كقولهم: نهارك صائم، ثم قيل لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه، رجع إلى حافرته، أي إلى طريقته وحالته الأولى.

قال من [الوافر]

أحافرة على صَلَع وشَيْب معاذ الله من سفه وعار

يريد أرجوعا إلى الحافرة؟ وقيل: النقد عند الحافرة، يريدون عند الحالة الأولى:وهي الصفقة"[2].

ثم نجده يتعرض لوجه القراءة، ويستعين بها لفهم الآية، قال:" قرأ أبو حيوة (في الحفرة) والحفرة بمعنى المحفورة، يقال:حفرت أسنانه، فحفرت حفرا، وهي حفرة"[3].

ومن ثم يشرح المعنى الذي تدل عليه القراءة، قال: "وهذه الكلمة دليل على أن الحافرة في أصل الكلمة بمعنى المحفورة، يقال: نخر العظم فهو نخر وناخر، كقولك طمع فهو طمع وطامع، وفعل أبلغ من فاعل؛ وقد قرئ بهما: وهو البالي الأجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير، و{إذا} منصوب بمحذوف، تقديره: أئذا كنّا عظاما نرد ونبعث {كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ} منسوبة إلى الخسران، أو خاسر أصحابها، والمعنى: أنها إن صحت فنحن إذا خاسرون لتكذبينا بها، وهذا استهزاء منهم، فإن قلت: بم تعلّق قوله{فَإِنَّمَاهِيَزَجْرَةٌوَاحِدَةٌ} قلت بمحذوف معناه: لا تستصعبوها، فإنما هي زجرة واحدة؛ يعني:لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عزّ وجل، فإنها سهلة هينة في قدرته ما هي إلا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية{فَإِذَاهُم} أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا في جوفها، من قولهم: زجر البعير، إذا صاح عليه، والساهرة: الأرض البيضاء المستوية، سميت بذلك لأن السراب يجري فيها، من قولهم:عين ساهرة جارية الماء، وفي ضدها نائمة أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة، وعن قتادة: فإذا هم في جهنم"[4].

---

[1]- أصولها

[2]- الزمخشري: الكشاف، المصدر السابق، ص306

[3]- المصدر نفسه، ص306

[4]- الزمخشري : الكشاف،المصدر السابق، ص306

من خلال ما سبق نلاحظ أن الزمخشري فسّر الآيات على نحو بياني، ثم إنه تفرّد بآراء منها على سبيل المثال، تفسيره {تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ}أنها النفخة الثانية، ويستدل على رأيه هذا من آية أخرى ليعضد وجهة نظره تلك، كما أنه يورد ما قيل في تفسير بعض الآيات، ثم نراه يسوق أسئلة يمكن أن تَرد في ذهن المخاطب، وذلك من أجل تحليل الآيات القرآنية بصورة آكد، كما أنه أيضا تفرّد برأيه في كون البعث سيكون في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان، ونراه يؤكد وجهة نظره تلك بقوله تعالى:{ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ} والتي بحسب رأيه جعلت حالا عن الراجفة، كما أنه لم يغفل الجانب النحوي في الاستدلال به على فهم المعاني، كذلك نجده وفّق في نسب الأبصار إلى القلوب بما استدل عليه من الآية الكريمة، ثم إنه في(إذا) يقدِّرها(أئذا) ويراه إنكار منهم أنهم يردون عظاما بالية، ثم إن قوله في{ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ}أنها إن صحّت فنحن خاسرون لتكذيبنا بها، ثم تعقيبه بقوله(وهذا استهزاء منهم) أنه بعيد عن السياق، إذ قولهم هذا سيكون يوم لا ينفع قول أو ندم لأن استهزائهم وتكذيبهم كان في حياتهم الأولى، أما هذا الموقف لا تنفع فيه حسرة أو ندم.

*أما بنت الشاطئ فقد فسّرت الآيات كمايلي:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ النازعات: ٦

"الرجف: الاضطراب الشديد، ويستعمل لغة في الراجف: الحمى ذات الرعدة، والرجفة الزلزلة، ومنه أرجفت الأرض: زلزلت، ويستعار للفتنة ونحوها فيقال أرجف القوم إذا خاضوا في أخبار الفتن أو الإفك، ويقال كذلك أرجفوا إذا تهيئوا للحرب وهذا التهيؤ للحرب، قريب من النزع المغرق حين تتهيأ الخيل للمعركة"[1].

ثم نجد بنت الشاطئ تقوم باستقراء لفظة الإرجاف في القرآن في كل مواضعها وسياقاتها، ولما وصلت إلى قوله تعالى ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤﴾ المزمل:١٤، قالت معقّبة :"وبها استأنس الزمخشري في تفسير الراجفة، بالأرض ترجف يوم القيامة، لكنه لم يقف وهو البلاغي المفسر، عند إسناد الرجف إلى الأرض نفسها مع وضوح الظاهرة الأسلوبية في الآيات بعدها:الرادفة والساهرة والحافرة وخاسرة"[2].

[1]- عبد الرحمن عائشة ، التفسير البياني للقرآن الكريم، المرجع السابق،ج1 / 130

[2]- المرجع نفسه،ج1 ص131

يبدو من كلامها السابق أنها تستدرك عليه، ثم تقول: "والأصل فيه أن الأرض مرجوفة لا راجفة، وأن التابعة مردفة لا رادفة، وأن حفرة القبر محفورة لا حافرة، وأن الكرة خسر أصحابها، وكذلك الساهرة، وعدول القرآن عن هذا الأصل إلى الإسناد المجازي فيها جميعا ظاهرة أسلوبية لافتة لا يهون إغفالها"[1].

ثم تحاول أن تربط معناها بسورة الزلزلة، التي أشارت فيها إلى غلبة استعمال الفعل مبنيًّا للمجهول، أو مطاوعا في الحديث عن يوم القيامة، وفي هذا تركيز للانتباه في الحدث نفسه، ودلالة على الطواعية التلقائية التي يستغنى بها عن فاعل.

قالت بهذا الصدد:" والذي قلناه في إخراج الأرض أثقالها وتحدثها بأخبارها، يقال مثله هنا في الأرض راجفة وهي مرجوفة، والرادفة التابعة وهي مردوفة، وكذلك الشأن وهنا تلقائية تغني عن ذكر المحدث، بما أودع جلَّ شأنه الأرض من قوة وهنا تلقائية تغني عن ذكر المحدث، بما أودع جلَّ شأنه الأرض من قوة التسخير لما يريد لها، وهنا أيضا مباغتة، لا يدري معها الإنسان يوم القيامة من أين جاء الرجف، وتركيز للانتباه في أخذة الرجفة "[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ النازعات: ٧

هنا نجدها تشرح المعنى اللغوي أولا، قالت:"والردف في العربية: الإتباع"[3].

ومن ثم نجدها تعرض أقوال المفسرين في تأويل الراجفة والرادفة، وبعدها تبيّن وجهة نظرها حول معناها، قالت:"والأولى عندنا أن تكون الرادفة هي ما يتبع الرجفة من بعثرة ما في القبور، لتتصل الآية بما بعدها"[4].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩﴾ النازعات: ٨ – ٩

تقول بنت الشاطئ:" الوجف والوجيف لغةً: الاضطراب، وربما كان الأصل فيه ضربا من سير الخيل والإبل فيه سرعة مضطربة، وقد التفت (الراغب) إلى هذا الاستعمال اللغوي الأصيل، في تفسير(واجفة)، وتقوى به دلالة الوَجْفِ هنا على الاضطراب الناشئ من عنف خفقان القلوب واضطراب وجيبها في رجَّة القيامة.

---

[1]- عبد الرحمن عائشة: التفسير البياني للقرآن الكريم ، ص131

[2]- المرجع نفسه، ص131

[3]- المرجع نفسه، ص131

[4]- المرجع نفسه، ص132

والخشوع يكون عن ضراعة أو عن رهبة وإجلال، وهو في الصوت والبصر: السكون والغض، وفي الكوكب: دنوُّه من الغروب، والخُشعة بالضم: الأكمة اللاطئة بالأرض وتخشَّع: تضرع، وكل خشوع في القرآن الكريم، إنما يكون لله سبحانه من مخلوقاته"[1].

ثم نرى بنت الشاطئ تقوم بعملية استقراء للفظة الخشوع في كل مواضعها من القرآن الكريم، لتبلور لنا فهمها في النهاية قائلة: "من ثم نطمئن إلى أن خشوع الأبصار في آية النازعات هو غض البصر عن ذلة وانكسار، وشعور بهول الوقف الرهيب الذي يستيقن فيه الكفار من فداحة الذنب وصدق النذير وسوء المصير"[2].

﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾

هنا بنت الشاطئ أخذت معنى اللفظة من مفردات الراغب "الرد: الرجع والعود، والارتداد: الرجوع في الطريق الذي جيء منه، والردة تختص بالرجوع إلى الكفر،أما الارتداد في الكفر وغيره، والاسترداد:الاسترجاع"[3].

ثم نجدها تذكر معنى الرجوع والعود في الاستعمال القرآني في أغلب مواضعه لتستخلص في النهاية أن كل معانيها متقاربة قالت: "وبها يفسّر(مردودون) بمعنى الإرجاع والعودة إلى حيث كانوا(في الحافرة)والحفرة في اللغة معروفة، والحفَّر:إخراج التراب من الحفرة، والمحفرة: المسحاة أو ما يحفر به، وسُمي حافر الفرس لحفره في عدوه، وسموا القبر حفيرا، والذي يحفر القبور حفارا، وأما الحافرة فأصل استعمالها أن العرب كانت لا تبيع الخيل نسيئة بل تقول:النقد عند الحافرة، تعني ألّا يزول حافر الحصان عن مكانه حتى ينقد ثمنه، ثم نقل استعماله إلى كل حالة أولى، ومنه قيل للخلقة الأولى حافرة،وقالوا:رجع فلان في حافرته،أي في طريقه التي جاء فيها فحفرها وأثر فيها بمشيه.

وقد جاءت المادة في القرآن مرتين :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ آل عمران: ١٠٣

والنازعات: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ النازعات: ١٠

[1]- عائشة عبد الرحمن:التفسير البياني للقرآن الكريم، المرجع السابق، ص132

[2]- المرجع نفسه، ص133

[3]- المرجع نفسه، ص134

و بكلا المعنيين: حفرة القبر، والحالة الأولى فُسِّرت آية النازعات واقتصر (الزمخشري) على المعنى الثاني"[1].

ثم بدأت تذكر أقوال المفسرين فيها:

"وفي (الطبري والبحر) عن ابن عباس: الحافرة الحياة الثانية.

وقيل: الحافرة النار، ذكره أبو حيان، وهو ما لا يستطاع حمل اللفظ عليه، فيما نرى، إلا على بُعد وتكلف.

وقيل: الحافرة جمع حافر بمعنى القدم، أي مردودون أحياء نمشي على أقدامنا، ونطأ بها الأرض، وليس من المألوف استعمال الحافر للإنسان إلا أن يستعار"[2].

وبعد أن عرضت آراء المفسرين نجدها تبيّن وجهة نظرها قائلة:" والأولى أن يستبقى اللفظ دلالته اللغوية على حفرة القبر وعلى الحالة الأولى، فيكون السؤال حين ترجف الراجفة: أئنا لمردودون في حفرة القبر أحياء، عائدون إلى حالتنا الأولى؟"[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾ النازعات: ١١

هنا بنت الشاطئ تعرض أوجه القراءة فيها، تقول:" وقرئ ناخرة، وكلاهما من النخر بمعنى البلى، لكن نخرة أبلغ من ناخرة، ولعل أصل استعماله اللغوي في النخير: الصوت ينبعث من شيء أجوف، والمنخر الأنف، والناخرة من العظام: المجوفة فيها ثقب، وربما لحظ في الشيء الأجوف أو المثقوب، الهشاشة وسرعة التفتت، فأطلق النخر والناخر على البالي المتفتت، والنخرة من العظام: البالية"[4]

ثم تقول معقِّبة:" ولم يأت من المادة في القرآن، غير(نخرة) في آية النازعات، فسّرها الراغب بأنها من قولهم: نخرت الشجرة أي بليت، والأقرب عندنا أن يفسّر بالاستعمال اللغوي، في التفتت والبلى"[5].

ثم نراها تستدرك على قول المفسرين أن السؤال في: أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة، أنها تحتمل أن تكون على وجه التمني،إذ يقولون في موقف الهول: ليتنا نرد في الحافرة ونكون عظاما نخرة فهي تستبعد هذا الاحتمال لأن قولهم بعد ذلك تلك

[1]- عائشة عبد الرحمن:التفسير البياني لقرآن الكريم،المرجع السابق ، ص135
[2]- المرجع نفسه، ص135
[3]- المرجع نفسه، ص135
[4]- المرجع نفسه، ص136
[5]- المرجع نفسه، ص136

إذن كرة خاسرة، فلو كان الاستفهام على وجه التمني، لكانت الكرة في حسابهم رابحة، كالذي في آيتي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ الشعراء: ١٠٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ الزمر: ٥٨

ثم نراها تتساءل في كون الاستفهام على وجه الاستبعاد والاستهزاء، كما ذكر الزمخشري وأبو حيان، ثم تبدي وجهة نظرها حول ما قيل، فهي ترى أن الاستهزاء قريب والاستبعاد متبادر في سؤال الكفار للرسل، كآية الإسراء 49 قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ الإسراء: ٤٩

وتستعرض كل الآيات في هذا السياق لتنتهي إلى رأي، قائلة فيه:" وليس الأمر كذلك مع آية النازعات حيث السؤال يوم ترجف الراجفة، لا في الحياة الدنيا، وهو يأتي مع الفعل المضارع (يقولون) التي انفردت بها آية النازعات، دون الآيات السابقة التي صُدّر السؤال فيها بالفعل ماضيا (قالوا) والمضارعة تعني الإحضار، وبهذا الإحضار يتجه مقول القول إلى موقف القيامة، يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة...يقولون أئنا لمردودون في الحافرة؟ أئذا كنا عظاما نخرة ؟

ومقتضى هذا عندنا أن يُحمَلَ الاستفهام هنا، لا على وجه التمني الذي تصرف عنه الآية التالية، ولا على وجه الاستهزاء الذي لا يمكن تصوره في مثل ذاك الموقف، ولا على وجه الإنكار الذي لا محل له مع الإحضار وتحقق البعث، وإنما على وجه الدهشة والاستغراب والخوف، وحيرة المأخوذ برجفة القيامة بغتة "[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ النازعات: ١٢

قالت بنت الشاطئ : "الكرّ: العطف على الشيء بالذات أو بالفعل، ويقال للحبل المفتول:كَرٌّ، فيلحظ فيه معنى العود بالفتل، وسمي الليل أو النهار كرَّةً، لما فيهما من عود وتكرار "[2].

[1]- عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم ، ص138

[2]- المرجع السابق، ص138

وبعدها نجد بنت الشاطئ كما عودتنا دائما تقوم باستقراء اللفظة في كل مواضعها من القرآن الكريم، لتنتهي إلى نتيجة مفادها أنه" إذا فسّرنا الردَّ في الحافرة بأنه البعث للقيامة، فالكرّةُ في آية النازعات بمقتضى اسم الإشارة، هي تلك العودة والرجعة إلى الحياة بعد موت، والخسارة نقيض الربح، ويكثر استعمال الخسر في النقض والهلاك والضياع، وكون الكرّة خاسرة، مطرد مع النسق البياني الذي أشرنا إليه في الحافرة والراجفة والرادفة، وقد ذهب بعض المفسرين إلى تعيين الخاسرين هنا بأنهم صناديد قريش الذين كذّبوا بالآخرة، و{قالوا تلك إذا كرة خاسرة} على وجه الاستهزاء، وقد مضى القول في استبعاد الاستهزاء في موقف القيامة ورجفة البعث، ويمنعه أيضا أن الاستفهام في الآيتين السابقتين جاء مع فعل المضارعة (يقولون) الذي يعني الإحضار، أما الكرة الخاسرة فجاءت مع الفعل ماضيا (قالوا) وأتدبر هذا الانتقال من المضارعة إلى المضيِّ، فأراه يهدي إلى بيان وجه المقول وتحديد الجو الذي قيلت فيه كل منهما، والدلالة على الحالة النفسية للقائلين في كل من الموقفين: بغتتهم رجفة القيامة، بما تبعها من هزة و وجيف وخشوع، فهم يقولون في دهشة المأخوذ وحيرة من فوجئ بما لم يكن في حسابه قط: أئنا لمردودون في الحافرة ؟ أئذا كنا عظاما نخرة ؟ ولم يكن الموقف بحيث يحتاج إلى إجابتهم عما سألوا عنه، وقد قُضي الأمر، وصار كل هذا الذي كذبوا به واستبعدوه واقعا مشهودا، فلما عاينوا اليقين { قالوا تلك إذا كرة خاسرة } في حسرة وندم ويأس.

وفي كلمة (قالوا) من سر البيان، أنها تأتي حيث يبدو في ظاهر الأمر إمكان الاستغناء عنها بـ : يقولون أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة ؟ تلك إذن كرة خاسرة، ومجيئها هو الذي يوجه إلى انتقالهم من حال إلى حال، فهم في أخذة الرجفة يقولون أئنا لمردودون في الحافرة ؟ والمضارعة هنا هي التي تلائم حيرة المأخوذ وعجب المستغرب، كما أن المضي في (قالوا) بعد أن أتاهم اليقين هو الملائم لحالة اليأس من استرجاع ما فات أو استدراك ما مضى والتيقن من الخسران المحقق والمصير المحتوم...

هذا ما يوجه إليه (يقولون) في صدر الآيتين الأوليين، عند رجفة القيامة ثم المغايرة بـ(قالوا) حين تحقق الخسران وقضي الأمر فلا سبيل إلى استرجاع ما فات "[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ النازعات: ١٣ – ١٤

[1]-عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، المرجع السابق، ص 139

قالت :" الزجرة الصيحة، وأكثر ما تكون في سوق الكلب والبهم والدواب، ويلحظ فيها معنى الإذلال، من قولهم: تركه بمزجَرِ الكلب، وناقة زجور:لا تدر لبنها حتى تُزجر، كما استعملوا الزجر في التأنيب أو الردع، ومنه في القرآن الكريم آية القمر4، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤﴾ وجاءت (زجرة مرتين): آية الصافات 19.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩ ﴾ وآية النازعات، والآيتان مكيتان، ووحدة السياق فيهما، تجعلنا نطمئن إلى أن الزجرة فيهما ليست مجرد صيحة، وإنما هي صيحة فيها كل ما يحتمل الزجر من قهر وردع وهوان، مع ملحظ قريب من المعنى الحسي الأصيل للمادة، من قولهم زجر الكلب إذا ساقه، دون تحديد هذه الزجرة بأنها النفخة الثانية يبعث بها الأموات، كتأويل الزمخشري.

والمفاجأة فيها صريحة بإذا، وهي تناسب الزجرة الواحدة، وبغتة القيامة، وتتسق بيانيا مع حركة الخيل في صدر السورة، وعنف معاناتها لتنطلق ناشطة سابحة، إلى حسم معركة وتدبير أمر"[1].

ثم نجدها تبسط في هذا المقام أقوال المفسرين في تأويل الساهرة، وترى أنهم تكلفوا في تأويل معناها.

" قيل: هي الأرض البيضاء المستوية، سُميت بذلك لأن السراب يجري فيها، من قولهم عين ساهرة، أي جارية الماء قاله الزمخشري، ومثله الشيخ محمد عبده،وقيل: هي جهنم عن قتادة(الكشاف والبحر).

وعن ابن عباس: هي أرض من فضة، يخلقها الله تعالى(جاء في البحر)

وعن وهب بن منبه: جبل بالشام يمده الله يوم القيامة لحشر الناس

وقيل: بل هي أرض مكة، أو أرض قريبة من بيت المقدس

وقيل: بل هي الأرض السابعة يأتي بها الله يحاسب عليها الخلائق"[2].

ثم ترد بنت الشاطئ قائلة: " ولو قصد القرآن إلى شيء من هذا لصرّح به، لكنه لم يقصد إلى تحديد موقع الأرض ولونها وشكلها ومادتها، وإنما اكتفى (بالساهرة) وصفا لساحة الحشر أو عرصات جهنم حيث لا نوم هنالك ولا رقاد، وهو مأخوذ ببساطة عن

[1]- عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، المرجع السابق، ص140

[2]- المرجع نفسه، ص141

قرب، من المدلول اللغوي للسهر:عدم النوم ليلا، وقالوا: ليل ساهر ذو سهر، والقمر ساهر وساهور، والساهرية نوع من العطر، سميت بذلك لأنه يسهر في عملها وتجويدها "[1].

ومن ثم انتهت بنت الشاطئ من تفسيرها لهاته الآيات بتساؤلات أشبه ما تكون بدعوة لإعادة التدبر في الآيات، قالت: " ولم ترد مادة (س هـ ر) في القرآن إلا في آية النازعات، فهل في سياقها أو مادتها، أو أصل استعمالها اللغوي، ما يشير من قرب أو بعد، على الحقيقة أو المجاز، إلى فضَّة أو بياض، وإلى شام وحجاز، وإلى أرض سابعة وغير سابعة، وإلى استواء وعدم استواء ؟

وأين في القرآن كله، من غيب الآخرة، ما يحدِّد موضع مكان الحشر أو جهنم، حتى يجوز القول بأن الساهرة أرض مكة أو بيت المقدس أو جبل بالشام ؟ "[2].

ممّا سبق يظهر لنا أن بنت الشاطئ غلب على تفسيرها للآيات القرآنية الجانب اللغوي، حتى لا تكاد تخلو لفظة من استقراء مواضعها في القرآن الكريم والرجوع إلى أصلها اللغوي، حيث أنها رجحت في معنى{الراجفة} ما يؤيد وجهة نظرها في كون النازعات هي الخيل التي تهيأ للمعركة، ثم نراها تستدرك على الزمخشري الذي رأى أن الراجفة هي الأرض التي ترجف يوم القيامة، ومع ذلك لم يسند الرجف إلى الأرض نفسها، مع وضوح تلك الظاهرة الأسلوبية بحسب رأيها في الآيات التي بعدها، كما نجدها قد وفّقت في ربط الآيات بسورة الزلزلة في كون الأفعال مبنية للمجهول لأجل المطاوعة، التي لا تحتاج لفاعل من أجل المباغتة، كما رأت أن الرادفة ما يتبع الرجفة من بعثرة ما في القبور، ثم نراها تقول في خشوع الأبصار هو غض البصر عن ذلة وانكسار، وشعور بهول الوقف الرهيب، كما أننا نجدها ترجح في تفسير الحافرة أنها حفرة القبر، ولعل جنوحها لهذا الرأي كونها ترى أن الأولى إرجاع اللفظ القرآني لدلالاته اللغوية لكنها لم تعلّل وجهة نظرها تلك، ونجدها قد أصابت حينما استبعدت قول المفسرين في الاستفهام أنه على وجه التمني، وكذلك ليس على وجه الاستهزاء ولا على وجه الإنكار، وإنما بحسب رأيها جاء على وجه الدهشة والاستغراب وقد أعانها على هذا الرأي تأملها في لفظة (قالوا) التي تدل على انتقالهم من حال إلى حال، كما نجدها استبعدت تأويل المفسرين للأرض الساهرة وترى أن الرجوع إلى أصلها اللغوي هو الصائب في نظرها.

[1]- المرجع نفسه، ص141

[2]- المرجع نفسه، ص141

أما الشيخ الشعراوي فقد فسّرها كالآتي:

قال مفسرنا في معرض تفسيره لتلك الآيات:" بعد أن أقسم الحق سبحانه وتعالى بقوله﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ ﴾ النازعات: ١ – ٥ نتطلب هنا جوابا، كان المفروض أن يقول: لتبعثن،وبعدين يبقى ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ ﴾ النازعات: ٦ ظرف لذلك البعث المقسم على وجوده، لكن الحق قال بعدها،﴿ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ ﴾ النازعات: ٧

والذهن يجب أن يتدبر ويتذكر هذه الآيات لأن أساليب القرآن كل لا نأخذ بعضه، ونترك بعضه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ ﴾ النازعات: ٥

﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ ﴾ فيأتي الحق سبحانه وتعالى في بعض الأساليب ويحذف شيئا"[1]

ومن ثم نجده يستعرض مثال آخر للتدليل به على الآية السابقة، قال:"جاء نظيره في آيات كثيرة ، فمثلا يقول الحق في مثل هذا،أيضا قسم، والمقسوم عليه يوم القيامة يقول تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦ ﴾ الذاريات: ١ – ٦

إذن فيه لون من هذا الأسلوب قسم، وعلى شيء واحد،هو إثبات يوم البعث فقال{إنما توعدون لصادق} إذن فالذهن حينما يقسم الله بهذه الأشياء ويأتي بعدها ما يمس يوم القيامة، يبقى المقسم عليه إثبات يوم القيامة، يقول تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧ ﴾ المرسلات: ١ – ٧

إذن فهناك أساليب قسمية، جاء جواب القسم فيها يتعلق بأمر البعث"[2].

ثم يعقّب قائلا: " والقرآن كما قلنا حين يتعرض لأشياء ويأتي لنظائرها يحذف من بعض الأساليب ما يثبته في البعض الآخر، فمثلا الحق سبحانه وتعالى حينما قال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ٢١٣ ﴾ البقرة: ٢١٣

[1]- الشعراوي، المختار في تفسير القرآن الكريم،المرجع السابق،ج2ص 99

[2]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم،المرجع السابق، ص100

هنا العقل يقف يقول ما داموا كانوا أمة واحدة، فلماذا بعث الله النبيين مع أن بعد بعث الله النبيين يعملوا ماذا ؟ {بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ} فكيف كانوا أمة واحدة ؟ الآية تقول: بعث النبيين جاء بعد أن كان الناس أمة واحدة، وبعد ذلك يجيئوا ليبيّنوا للناس الذين يختلفوا فيه، يبقى فيه تناقض في صدر الآية مع عجزها تقول:لا.. لأنك أخذت الآية هذه وحدها، ولو أنك أخذت نظائرها في القرآن، لعلمت أن الأسلوب القرآني يأتي في أشياء فيحذفها لأنها ثبت في نظائر، فيه آية ثانية {وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين} إذن{ فبعث الله النبيين} هنا ليست معطوفة على قوله {كان الناس أمة واحدة} ولكن على محذف أثبتته آية أخرى {فاختلفوا} وظاهر هذه الآية الثانية {كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين} جعلت بعض الذين يتكلمون في علم مقارنات الأديان، يقولون: إن الأصل أن يعدد الناس الآلهة، ثم إذا ارتقت عقولهم مالوا إلى التوحيد، هذا بحث يخالف نظرية الدين، ونظرية الإسلام التي أوضحها بصراحة في القرآن، لأن الله حينما خلق الخلق الأول الذي هو آدم وزوجته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾ البقرة: ٣٨ فلا كذا وكذا، إذن فساعة ما خلق الله الإنسان أمده بالمنهج، فان كان حصل انحراف عن المنهج يبقى اختلاف بعد إتفاق، يبقى الآية الثانية هي العمدة وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا بالغفلة، وبالنسيان وباضطراب هذا في مكان وذلك في مكان بعدوا عن المنهج، فاختلفوا، فلما بعدوا عن المنهج كانت رحمة الله أن أرسل الرسل ليردوهم إلى وحدة المنهج،وإلى صوابه مرة أخرى"[1].

وعليه يمكننا القول أن الشيخ الشعراوي قد وفّق في شرح الآية الكريمة بما استدل عليه من مثال آخر في القرآن الكريم، ثم نجده استخلص نتيجة مفادها أن " أساليب القرآن حين تراها يجب أن تنظر إلى نظائرها أيضا في القرآن، لأن هذه النظائر هي التي تكمل بعضها، وتعطينا التحليل الصادق، أما الذي يأخذ آية، ويترك آية أخرى غفلة أو سهوا، فإنه قد يضطر إلى أن يفهم الأمور على غير حقيقتها "[2].

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص101

[2]- المرجع نفسه، ص101

وهنا نرى أن مفسرنا محق في وجهة نظره تلك، فعلى الراغب في فهم فحوى الآية أن يتتبع كل مواضعها التي وردت فيها، ثم يحاول مقارنتها مع بعضها ليرى المعنى الأنسب لها والذي جاءت دالة عليه من خلال فهم سياق الآية.

ثم نجد مفسرنا يعود لإكمال خواطره حولها قائلا:" إذن فقول الحق بعد قوله {فالمدبرات أمرا}...{يوم ترجف} دليل على أن يوم ترجف ظرف،وما دام ظرف، يبقى لازم له مظروف، ما الذي حصل يوم ترجف الراجفة ؟ البعث... يبقى كأنه يقول لتبعثن، وبعد ذلك تبعثن متى؟ يوم الراجفة، إذن يوم ترجف الراجفة بيّنت الظروف والظرف لا يوجد وحده إلا لوجود حدث فيه، وما دام يوجد الحدث يبقى ما الذي حدث يوم ترجف الراجفة، لا بد بالنظائر أن يكون هو أمر البعث يبقى كان الجواب لتبعثن يوم ترجف الراجفة "[1].

ثم نلاحظ أن مفسرنا يسوق افتراض لزيادة تأكيد الفهم، قائلا:" أفرض لم أفهم أنا السور التي قبلها، علشان يمكن لا ألتفت أنا مثلا إلى سورة (الذاريات) أو كانت هذه أول سورة أقرأها في القرآن، لا يتركني إلى سورة(المرسلات) فيجيء أيضا في ذلك ما يؤيد، ماذا يجيء ؟قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾ النازعات: ٦ – ١١

إذن أمر يتعلق بالبعث يبقى ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ ظرف لما يحدث في أمر البعث، فكأن معونة السياق في الآية يدلني جواب القسم المحذوف، يبقى {فالمدبرات أمرا} لتبعثن، وهذه الأشياء لتبعثن تبعثن متى؟ {يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة}"[2].

بعد أن أفاض مفسرنا في الشرح والتفصيل، لفتنا إلى ملاحظة غاية في الأهمية وهي أن هاته السورة زادت عن سورة (النبأ) التي لم تتكلم إلا عن وجود ذلك اليوم {إن يوم الفصل كان ميقاتا} إنما ما الذي يحدث ؟ لم تقل لنا عنه، بينما نجد الآيات التي بين أيدينا في سورة (النازعات) قد تكفلت بالحيثيات أو الأشياء التي تحدث يوم الفصل.

{يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة} قال مفسرنا "حال يحدث في الكون هذا هو المؤثر الأول لما حدث لعقل الإنسان له فحدث ما حدث، يبقى إذن ظواهر ظهرت في الكون الانقلابي هذا{يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة} هذا ما

[1]- المرجع نفسه، ص101

[2]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص101

حدث، ما الذي يحدث بعد ذلك في النفس الإنسانية أو النفس الكافرة ؟ {قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة} الراجفة {يوم ترجف الراجفة} أيضا القرآن يبيّن ما هي الراجفة لأن في سورة ثانية يقول ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ المزمل: ١٤

إذن {يوم ترجف الراجفة} هي الأرض يحصل لها الاهتزاز الذي سيقلب كيانها {تتبعها الرادفة} والتي أردفت بها السماء، لأن السماء خلقت بعد الأرض... هذا كلام عال {يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة} لكن هل الأرض راجفة ؟ أو مرجوفة ؟ الأرض ليست راجفة، بل فيها حاجة رجفتها، الأرض مرجوفة مضطربة.. هذا أسلوب العرب قبل نزول القرآن يأتون به، حاجة يسمونها المجازات مثلما يقولوا: عيشة راضية .. هل العيشة هي الراضية أم مرضي عنها ؟ العيشة مرضى عنها، ولكن بلغ من رضاك عنها أن رضاك عنها، وحبك لها ليس من جانب واحد، ولكن تغذى الرضى منك إلى أنها أصبحت راضية ومتعلقة بك، لأن الحب أعنف ما يكون حينما يكون من جانب واحد، أنت تحب شيئا وهو لا يحبك لكن أنت تحب شيئا وهو يحبك، يبقى الامتزاج تام فكأن الحق حينما يقول العيشة راضية...معناه أنه بلغ رضاك عن العيشة أن نفس العيشة راضية عنك وتحبك، ومنسجمة معك، و متجاذبة، إذن فلا مظن أنها تفلت منك لأنها راضية ومحبة، إذن فَبلغ من هول الموقف أن الأرض رجفتها قدرة الله إلى أن أصبحت هي في ذاتها راجفة فكأن الله أمدها بقوة ترجف هي ذاتيا، يعني لا يظل يهزها على الدوام لا ..أرجفي فأعطاها القوة لتكون راجفة، يبقى هي أصبحت مرجوفة في الواقع، ولكنها راجفة﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ الأرض يحصل فيها ما يحصل، والسماء يحدث فيها ما يحدث تكور يبقى فيها فتور، وتتشقق السماء، فكانت أبوابا"[1].

ثم نرى مفسرنا يجسد لنا تلك الصورة المخيفة عندما يقول:

"﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾فإذا حصل ذلك في الكون علم الناس جميعا الذين كانوا ينكرون أن الأمر جد، أن المسألة ليست أن الدنيا ستبقى ومن عليها هم الذين يذهبون وغيرهم يجيئون؟ لا المسألة أكيدة، يبقى جاءت بوادر ما كانوا يكذبون به؟ ماذا يحدث لهم؟ شريط أعمالهم ومواقفهم العقيدية والسلوكية..يعرض عليهم، ويقولوا صورة

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص102

سوداء، الذي كنا نكذّب به بدأت بوادره تظهر، تبقى إذن قلوب واجفة، قلوب مضطربة، قلوب فزعة، قلوب قلقة لماذا؟ لأنه رأت بوادر ما كانوا يكذبونه فاستحضرت النفوس أعمالها، وجدت نفسها على خلاف المنهج الذي كان يجب أن يكون، إذن فلا بد أن تنتظر مصيرا مؤلما كالذي بشرت به الرسل أصحاب هذه المناهج تبقى المسألة أصبحت حقا واقعا "[1].

" ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ وبعد ذلك قال﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩ ﴾وجيف القلوب أمر مختف عن نظر الناس، يبقى لابد أن يوجد له أمر يحس، أمر يبقى واضحا للناس، فيجيء في منفذ الأحاسيس كلها وهو العين، العين هي المنفذ الذي تستطيع أن تدرك به كل حقيقة النفس الإنسانية، فتستطيع من نظرة العين أن تعرف أهي نظرة محب أم نظرة مبغض؟ وتستطيع من نظرة العين أن تعرف أنها نظرة إعجاب أم نظرة احتقار وتهكم، وتستطيع أن تعرف من نظرة العين كل ما يمكن أن تكنه النفس البشرية، ولذلك الحق سبحانه وتعالى يقول {يعلم خائنة الأعين} إذن فالعين هي المنفذ ، حتى الأطباء يقولون لما يحبوا يعرفوا شرايين واحد مضبوطة أو غير مضبوطة، ينظرون إلى شرايين العين، وهي أصدق وسيلة لكي يعرفوا بها ضبط الشرايين، إذن فالقلوب واجفة نعرفها كيف؟ ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ ذليلة منكسرة، متواضعة بعد أن كانت أبصارا متوقحة أبصارا مستهزئة، أبصارا منكرة، تغير الموقف وتبدل لماذا؟ لأن الانفعال جاء من الخارج، فأثر على القلوب، والعين هي التي تفشي السر.

إذن﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ ذليلة منكسرة، وهذه لم تكن عادتها، كانت عادتها أنها أخذت المسألة بالتوقح، نسميها نحن في عرفنا العامي(بالبجاحة) لكن الآن لم تعد موضعا للبجاحة،لأن الإنسان في موقف من مواقف الحق حين تغالبه لا يستطيع أن يخادع نفسه، وان أراد أن يخادع نفسه، فالأمر قسري،قهري، غير إرادي،لم يعد يقدر يتحكم في إرادته"[2].

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ قال محلّلا:" ونلاحظ هنا أن القرآن لم يقل: أبصارهم خاشعة، بل نسب الأبصار إلى القلوب، هذا يعطينا لفتة أسلوبية جديدة أيضا، وهو أن القلوب حين

[1]- المرجع نفسه، ص 103

[2]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم، ص104

تضطرب وحين توجف، وحين تقلق يسري القلق منها إلى كل جزء من أجزاء النفس، فكأن ليس القلب هم الواجف، أصبح كل الجسم واجفا فأصبحت القلوب سمة للأنفس والأجساد كلها، فقال ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ فكأنهم جميعا باضطرابهم وقلقهم كل ذاتهم أصبحت مضطربة ليس القلب فقط"[1].

ثم نجد مفسرنا يستشهد في هذا المعنى من الشعر العربي في الغزل :

" **فيا عز رفقا لا على ذي صبابة يخاف على قلب سيدمى من الهدب**

هذه على طريقة الشعراء، في أنهم يجعلون القلب محل الانفعال بالنسبة للمحبوب، ثم قال: كل الشعراء قالوا على القلب هكذا وجعلوا القلب هو محل الإحساس بمسألة المحبوبة، لكن شاعرا ثانيا، ولد ابن بلد رايق تغلغل في المعنى قال: هذا معنى أصبح فاترا معنى باردا، فقال الأبيات المشهورة وهو الشاب الظريف التلمساني، ويعتبر من أروع ما قيل في هذا المعنى يقول:

خطرات ذكرك تستثير مودتي فأحس منها في الفؤاد دبيبا

لا عضو لي إلا وفيه صبابة فكأن أعضائي خلقن قلوبـا"[2]

ثم يقول الشيخ الشعراوي :" كل أعضائه أصبحت قلوبا،أنفه ،ورجله، وعينه هنا الآية تدل على ذلك المعنى.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ ومما سبق يتبيّن لنا أن الله سبحانه وتعالى استهل سورة (النازعات) بجملة من القسم ببعض خلقه، وقلنا أن الحق سبحانه وتعالى أقسم ببعض خلقه على أشياء تكون محل الإنكار أو الارتياب، ليدلّل الحق على صدقها، وقلنا أن سورة(النازعات) أتت بالوجه الآخر من البينة على الدعوة، لأن البينة على الدعوة إنما ثبتت إما بالشهادة، وقد استدلت سورة (النبأ) على ذلك، حتى يكون الحق سبحانه وتعالى قد استوعب أقسام البينة على الحجة، بالشهادة وباليمين.

ولكن يلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى حينما أقسم بعد أن شهدت آياته في السورة التي سبقت هذه السورة، القسم إنما يكون من المنكر، لأن البينة بالشهادة على من ادّعى، واليمين على من أنكر، ولكنا نرى أن الشهادة من الله، واليمين أيضا من الله، فيجب أن

[1]- المرجع نفسه، ص104

[2]- المرجع نفسه، ص105

نفهم سر ذلك وهو أن الحق سبحانه وتعالى حين يقسم على شيء ينكره المخاطب ينكر الله عليه ذلك الإنكار فكأن الحق حين يأتي بقضية يقف فيها العقل الكافر موقف العناد وموقف التردد، يجيء الحق فينكر عليه ذلك الإنكار، ولذلك يقول {ألم نخلقكم من ماء مهين} يقرر بالأمر فينكر رأي المدّعي أو رأي المخاصم ولذلك جاءت الشهادة من الله في سورة(النبأ) وجاء القسم من الله في سورة(النازعات).

وقلنا أيضا أن القسم كما هو معروف، إنما يكون بشيء، يعني يحلف الإنسان بشيء إن هو حنث في يمينه يعاقبه ذلك الشيء، وذلك لابد أن يكون المقسم به مما له عظمة، وله قهر، وله جبروت، بحيث يخاف الحالف إن حنث في يمينه، أن يناله من أقسم به بالعقاب والعتاب، ولكن هل الحق سبحانه وتعالى هناك قوة من خلقه تستطيع أن تقف منه ذلك الموقف؟ قلنا: لا إن الحق حين يقسم بأشياء لها عظمة في نفوس الناس، ولكن الحق يقسم بها ليبين مدى ما فيها من ضعف، ومدى ما فيها من تغيير، حتى يخرج الناس عن فتنتهم بهذه الأشياء، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ الشمس: ١ – ٤

ويقسم بأشياء يعتقدها الإنسان المواجه لها تافهة، هينة، لأنها قد جرت في حياته مجرى العادة، فهو لا يلتفت إلى ما فيها من عظمة، فينبهه الله إلى أن ذلك الشيء التافه الذي تنظر إليه على أنه تافه لو تأملت حقيقته لوجدت فيه عظمة من عظمة خلق الله، وشيئا كبيرا يعود بالنفع عليك"[1].

ثم يستأنف قائلا:"الحق حينما أقسم بالنازعات، وبالناشطات، وبالسابحات، وبالسابقات، وبالمدبرات، قلنا إما أن يراد الملائكة، وإما أن يراد الكواكب، وإما أن يراد ما تفعله الفئة المجاهدة من نزع شديد ليبعد مرماها في صدور العدو...وقلنا إن المقسم عليه إنما هو إثبات يوم القيامة، فكأن الحق حينما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾النازعات: ١– ٥

ماذا يكون؟ لتبعثن،لأن هذا هو محط الإنكار ومحط الإنكار هو محل وجود اليمين(لتبعثن) متى يكون ذلك؟{يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة} أي

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم، ص107

مضطربة قلقة {أبصارها خاشعة} لأن قلنا إن الإبصار هو المحل الذي يوحي بما في النفس من عوامل انفعالات القلق والخوف.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ لماذا كل هذا؟ القسم على البعث، لماذا كل هذا؟ لأنهم كانوا ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ هذا قولهم، فكأنهم قالوا ثلاثة أشياء:القول الأول: أإنا لمردودون في الحافرة، إنكار وتكذيب واستبعاد.

والحافرة هذا ناشئ من مثل عربي، المثل العربي يقول:رجع فلان في حافرته، ومعناه أي رجع فيما كان عليه من الأمر، وذلك مأخوذ من الطريق يسير فيه الإنسان فيحفر فيه سردابا يسير فيه، فإذا ما حفر ذلك السرداب، سمي ذلك الحافرة أي المحفورة، فإذا ما عاد في هذه الحافرة، أي رجع إلى ما كان عليه، الذي نسميه نحن في أعرافنا العامية(المدق) أو الطريق الذي أخذت قدم الإنسان منه، فنزلت به على مستوى الأرض، فكان كالقناة يسير فيها، هذه هي الحافرة، فكأنهم قالوا ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ أي راجعون إلى ما كنا فيه ثانية من الحياة، ثم جاءوا بقول آخر"[1].

ومن ثم يحاول التعقيب على القول وردّه بقوله:"هذا القول دليل الاستبعاد هذا القول الأول، فيه استبعاد، فما دليله ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ ومعنى عظام نخرة، عظام بالية بحيث تتهشم إن لمستها...كأنها فيها صورة التكوين فقط، فإذا ما جئت فلمستها هكذا تنهار يعني لها صورة العظام، أو عظام نخرة، أي منخورة الجوف، كأن نخاعها قد ذهب وصارت مجوفة كالاسطوانة وسميت نخرة لأن الريح حينما تضرب فيها، تأتي بصوت كالنخير ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ فلما رأوا أنهم سيكونون عظاما، استبعدوا أن يعيد الله هذه الأشياء ثانية، فلئن صحّ ذلك وسنرجع في الحافرة بعد أن كنا عظاما نخرة ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ رجعة خاسرة علينا، أو رجعة نحن خاسرون فيها...وأسند الحق الخسران للكرّة ،أي للرجعة على طريقة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ۝١٦﴾ البقرة: ١٦.

[1]- المرجع نفسه، ص 108

التجارة هي التي تربح أم صاحب التجارة هو الذي يربح؟ ولكن لما كانت التجارة وسيلة للربح قيل﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ نسب الربح للتجارة، وأيضا نسب الخسران إلى الرجعة ﴿تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ﴾ كأنهم لما استبعدوا أمر البعث، استبعدوا على طريقة أصولهم تفتت ولكن الحق سبحانه وتعالى يجيبهم جوابا على هذه المقولات الثلاثة، الثلاث﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢﴾ يقولونها على سبيل الاستهزاء، الحق يقول:(إنكم تقيسون فعل الحق بفعل الخلق ذلك صعب لو طلب منكم أن تعبدوه،ولكن ليس يغيب إن أردنا نحن أن نعبده)[1] فلا بد أن تقارن كل فعل بفاعله،لا تستبعد الفعل من مطلق الفاعل، إنما تستبعد الفعل بالمقارنة، لو كنتم الذين تستبعدون تبقى صعب عليكم، لكن لو كنا نحن الذين نستبعد، تبقى المسألة هينة علينا لماذا ؟ لأن فعل الله لا يتكلف الله فيه علاجا، معنى علاج، يعني يوزع القوة على الزمن لكي يعمل العملية، هذه مسألة لا تحتاج من الله هذه العملية لماذا؟ { فإنما هي زجرة واحدة } بعني قيامكم من قبوركم وبعثكم، لا يكلفنا علاجا بأننا نعمد إلى عناصر كل فرد ونجمعها بيدنا، وبعدين ننفخ فيها الروح، ونعمل هذه العملية مع الآخر، ومع الآخر هذه عملية معالجة، إنما المسألة لا تكلفنا كثيرا أبدا، لماذا ؟ لأنها مجرد صيحة واحدة زجرة واحدة { فإذا هم بالساهرة }...﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾ يعني عملية لا تكلفنا مشقة، ولا تكلفنا عناء؟؟ فلماذا ستبعدونها ؟

تستبعدونها إن قستم الأعمال بقدراتكم، أما إذا قستم الأعمال كلها بقدرة الله، فقدرة الله لا تحتاج في فعل الأفعال إلى علاج و﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ يس: ٨٢

وبهذا نرى مفسرنا قد أجاد وأفاد في تحليل المعاني القرآنية، ثم نراه يتعرض لقضية علمية لتجسيد المعاني أكثر، مع عرض آراء الفلاسفة وتفنيدها، قال مفسرنا:"

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾ أولا قبل أن نمر على هذه المسألة، ننصب رأي الجماعة الذين استبعدوا أمر البعث ماديا، أقوى شبهة قال بها الفلاسفة الذين

[1]- الصواب (لو طلب منكم أن تعيدوه، ولكن ليس يصعب إن أردنا نحن أن نعيده)

يستبعدون أمر البعث ماديا، إنهم يقولون:أن الإنسان مكون من عناصر حينما يموت تذهب عناصره في الأرض، فإذا ما ذهبت عناصره في الأرض صارت من بقيات عناصرها، وأصبحت عرضة لأن يخرج منها نبات، وأن يخرج منها حيوان، وأن يتكون مما خرج مني إنسان، وبعد ذلك يكون منه إنسان، إذن فالعناصر التي كانت في الإنسان الذي مات وشاعت عناصره في التراب سيتكون منه إنسان آخر، فمثلا إذا جاء ميت ومات في مكان وبعد ذلك تفرقت عناصره في الأرض، وبعد ذلك غرس في تلك الأرض شجرة نبتت هذه الشجرة وأثمرت ثمرا، ثم أكلها إنسان هذا الإنسان حين يأكل من الشجرة ستتكون عناصره وذراته من هذه الثمرة التي أكلها، والثمرة التي أكلها تغذت بعناصر من واحد كان ميتا، فإذا بعث أيبعث من الأول أم يبعث من الثاني؟ فإن بعث من الأول نقص من الثاني، وان بعث من الثاني نقص من الأول وهكذا دواليك"[1].

ثم نراه يرد عليهم على شاكلة أفكارهم قائلا:"هذه أقوى حجة للفلاسفة في استبعاد أمر البعث والميعاد يوم القيامة، لكنهم لم يفطنوا إلى شيء، هو أن العناصر في ذاتها، العناصر الخام في ذاتها لا تتميز..بمعنى أن الحق سبحانه وتعالى حينما يخلق الإنسان،صحيح مكون من 16 عنصرا التي عرفناها سابقا،16 عنصرا حينما يموت تذهب في الأرض فتصير من جملة عناصرها، التكوين الشخصي لكل إنسان ليس في أن الإنسان مكون من عناصر أخيه، العناصر واحدة، ولكن المختلف فيه نسبة هذه العناصر بالنسبة لبعض..فهذا 67 %، وهذا 671%، وهذا 67001%، إذن فاختلاف الشخصيات إنما ينشأ لا من اختلاف العناصر المكونة لها ولكن من اختلاف النسب الموجودة في تلك العناصر، وباختلاف النسب تختلف الشخصيات، فأنت إذا جئت لإنسان وحللته، وبعد ذلك قلت فيه ذرات كذا أوكسجين، كربون، هيدروجين، نتروجين، مغنسيوم، فوسفور ،صوديوم، بوتاسيوم، يود كل نسبة كذا، ثم حللت إنسانا آخر وجدت فيه أيضا هذه العناصر، ولكن بنسب تختلف عن بعضها، بدليل أن الإنسان تحصل له انحرافات صحية، فيذهب إلى الطبيب فيحلل له فيجد أن العنصر الفلاني ناقص عما ينبغي أن يكون، فيعطيه مثلا الفوسفور، أو يعطيه الحديد، أو يعطيه اليود، يبقى معنى ذلك أن

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم، ص 109

الانفعال المضطرب عنده ناشئ من أن فيه عنصرا من عناصره نزل عن القدر الضروري في تكوينه، فيعطيه هذه العناصر ،فتسلم صحته ويصبح فيه عافية.

إذن فاختلاف الشخصيات إنما ينشأ من اختلاف نسب العناصر، فنسب العناصر حين تكون معلومة بالدقة ولا يتفق شخص مع شخص في نسبة العناصر أبدا، إن جئت بمائة مليون شخص وحلّلت عناصرهم لا تجد شخصا متفقا مع شخص في نسبة العناصر، وان اتفق معه في مجموعة وجود تلك العناصر، إذن فالمعوّل لشخصيات كل فرد هي النسبة المكونة لعناصره.

فإذا كان الحق سبحانه وتعالى يقول في هذا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤﴾ ق: ١ – ٤.

نحن نعرف قدر العناصر ،كمية العناصر التي أخذتها، فإذا أردنا أن نبعثه ما علينا إلا أن نأمر العناصر المكونة لجسم فلان أن تجتمع، فإذا تكونت العناصر بنسبة تكوينها الأول كان ذلك هو الشخص، وضربنا مثلا وقلنا إن جنسية العنصر ليست ضرورية لماذا؟ إنسان مثلا يكون وزنه مائة كيلوا وبعد ذلك يمرض فينقص 30 كيلوا فإذا نقص 30 كيلوا يذهب إلى طبيب، فيهتدي الطبيب بعناية الله إلى علته فيشخص هذه العلة ويعطي له الدواء فيشفى... بعد ذلك يقول له كل كذا وكذا، فيبدأ يأكل، فإذا أكل عاد وزنه إلى ما كان عليه من 70 إلى مائة، هل الثلاثين كيلوا التي جاءت فيه ولم تغير شخصيته هي بعينها الثلاثين كيلوا التي نزلت منه أيام النقص؟ ليست هي ولكن نسبة التكوين هي هي، إذن فالمهم في تكوين الشخص نسبة تكوين ذراته...وما دام الحق يقول ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ ۝٤﴾ ق: ٤

ما دام علم ربنا بالنقص يبقى علم دقيق إذن القدر المعلوم، معلوم فحين يأمر الله بإعادة التراكيب، تأتي عناصر كل إنسان فتكونه، أي نسبة وجودها فيه، وبذلك تكون الشخصيات أيضا مختلفة وتعبر عن الشخصية،لأنني لما نقصت الثلاثين كيلوا، وبعد ذلك زدت الثلاثين كيلوا لم تلحظ في شخصيتي تغيرا، شخصيتي هي شخصيتي، فقول الحق ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤﴾ ق: ٤

يرد على الفلاسفة الذين قالوا: إذا أخذ من هذا نقص من هذا،لأن الكمية التي نقصت من المريض ليست بعينها التي دخلت ثانيا في تكوينه،لأن العناصر التي خرجت منه لا تزال في مجال الأرض ولم يخرج منه ثمر ولم يخرج منها حيوان، ليتكون فيه ثانيا.

وأيضا فالحق سبحانه وتعالى، يضرب لنا مثلا في ذلك وهو أن الإعادة دائما أهون من البداية لأن الله إذا آمنتم بأنه خلقكم من لاشيء، فحين يقول أنني أعيدكم من شيء، يبقى أيهما أهون؟قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴿٢٧﴾﴾الروم: ٢

كلمة (أهون) هذه على اعتبار أساليب البشر، ليس هناك حاجة هينة على الله، وحاجة ليست هينة، ولكن على اعتبار مقاس البشر.

إذن فقوله تعالى{فإنما هي زجرة واحدة} يعني الفعل لا تستصعبوا ذلك، ولا تستبعدوه فإن ذلك لا يكلفنا علاجا، وليس صعبا علينا{فإنما هي زجرة واحدة} صيحة يصيحها الملك فإذا الكل قيام ينظرون.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ يفاجأون بعد الصيحة إنهم بالساهرة... فما هي الساهرة؟ الساهرة هي الأرض البيضاء، وستكون أرض المحشر أرضا بلون واحد، لأنه إنما تلونت أرض الدنيا لتلون العناصر المطلوبة للحياة، وسنعيش في الآخرة ،لا بالأسباب، ولكن بالمسبب.. بمجرد خطور ما نطلب على البال يأتي إذن أرض الآخرة، أرض معاد، وأرضنا هذه أرض معاش، وما دامت أرض معاش، تبقى ملونة، من جدد بيض إلى حمر إلى طينة سوداء، إلى طينة رملية، إلى طينة صفراء كل ذلك لاختلاف العناصر التي توجد في الأرض، لتعطي الإنسان مقومات حياته ومقومات عمران تلك الحياة.

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ أي بالأرض البيضاء، لونها واحد،أو{فإذا هم بالساهرة} أي التي يسهر من عليها،لأن الذي يكون من ذلك الهول يطير النوم من العيون لا أحد ينام.

من خلال ما سبق يمكننا أن نستشف أوجه التشابه والاختلاف بين منهج مفسرنا في تلك الآيات وبين منهج البيانيين، وأول ما نلاحظه هو استفاضة مفسرنا في التحليل والشرح والاستدلال، فنجده ربط معنى الآيات بالمقسمات التي استهلّ الله بها سورة النازعات، ثم إنه أفاد من قول الزمخشري في أن جواب تلك الآيات البينات هو جواب

محذوف تقديره(لتبعثن)، ونراه يدعوا على إثر ذلك إلى ضرورة التأمل والتدبر في آيات الله، لأن أساليب القرآن لحمة واحدة لا يتجزأ، ولا يصح أن نأخذ بعضه وندع بعض، بل علينا أن نرجع لنظائرها في القرآن، ثم إننا نراه يستدل على شرح الآية من موضع آخر، وهو قوله تعالى:{والذاريات ذروا} والتي جاءت في نفس السياق مع الآيات التي بين أيدينا في التحدث عن يوم البعث بأسلوب القسم، كما أورد أيضا سورة المرسلات للتدليل بها في هذا السياق، ثم نراه يستفيض بعد ذلك ليبيّن وجه آخر من الخطاب القرآني، لمّا يتعرض لأشياء ويأتي لنظائرها يحذف من بعض الأساليب ما يثبته في البعض الآخر، وقدم هذا التوجيه بأسلوب بياني رائع، وبهذا فقد اختلف منهج تفسيره عن مناهج المفسرين، فلقد أورد في ذلك شبه وردّ عليها كما عودنا دائما في منهجه التحليلي من استدلالات منطقية في غاية الدقة والبيان.

ثم لما استدل بقوله تعالى (يوم ترجف)أنها ظرف، نراه يجعل البعث هو المظروف، ويبدو أنه هنا قد أفاد من رأي الزمخشري، ومع ذلك نجده قد ثوّر تلك المعاني وأفاض فيها بما ساقه من افتراض، وهو كون الآيات اللاحقة دلّت على معنى الجواب (لتبعثن).

كما نجده قد تفرد في ذكر ملاحظة أن سورة النبأ تحدثت عن وجود ذلك اليوم، بينما سورة النازعات تكفلت بالحيثيات والأشياء التي تحدث يوم الفصل، فكانت تلك اللفتة تدل على الحس اللغوي لدى مفسرنا.

ثم يذكر لنا الأحداث الانقلابية التي تحدث يوم الفصل، وهنا أيضا نجده قد أفاد من تفسير الزمخشري للراجفة بآية سورة المزمل.

ثم يصوّر هول ذلك الموقف ويتفرد في تفسيره للرادفة، على أنها انشقاق السماء، لأن الأرض راجفة ثم تتبعها السماء بانشقاقها لأنها خلقت بعدها، هنا قد انفرد بهذا التفسير فالزمخشري رأى أنها النفخة الثانية، أما بنت الشاطئ رأت أنها ما يتبع الرجفة من بعثرة ما في القبور، أما في تعليله لقوله تعالى{راجفة} يتشابه مع ما رآه المفسرين في الاستشهاد بآية {عيشة راضية} ومع ذلك تميّز باستفاضته في تحليل معناها، وتأكيد فهمها لدى المخاطب، فهي عيشة محبة له لا تنفك عنه.

ونراه قد تفرد بأسلوبه البارع في تجسيد المعاني في صورة حسية، لمّا نقل أهوال يوم الفصل، وخوف المكذبين واضطرابهم لأنهم رأواْ بوادر ما كذبوا به، ونراه أيضا تميز بربط

وجيف القلوب واضطرابها كونه أمر مختف، بخشوع الأبصار كونه أمر محسوس، فالعين هي مرآة النفس الإنسانية، ووسيلة إدراكها ما حولها، ويبسّط الفهم على المخاطب في ضرب مثال الطبيب الذي يجس عين المريض ليكشف مرضه.

ثم إننا نراه تميّز أيضا باستدلاله على أن الأبصار نسبت للقلوب، فعند اضطرابه يسري الاضطراب لسائر الجسم، فكأنهم باضطرابهم وقلقهم، كل ذاتهم أصبحت مضطربة ليس القلب فقط، واستشهد على ذلك بأبيات شعرية في هذا المقام تعضّد رأيه، وتقرِّب الفهم لدى المخاطب من واقع حياته .

كما أنه قد وفّق حينما وجّه أن الله سبحانه وتعالى أسند الخسران للكرة، وذلك حينما أتى بنظيرها في قوله تعالى:" فما ربحت تجارتهم "كذلك تفرد في إيراد لفظة العلاج في هذا السياق، قال أن فعل الله لا يتكلف علاجا، معناه أنه لا يوزع القوة على الزمن لكي يعمل العملية، إنما قال{إنما هي زجرة واحدة} يعني قيامكم من قبوركم لا يكلفنا علاجا بأننا نعمد إلى عناصر كل فرد ونجمعها بيدنا، ثم ننفخ فيها الروح.. إنما المسألة لا تكلفنا كثيرا، إنما هي صيحة واحدة .

ثم نجده تميّز باستعراضه لموقف الفلاسفة المنكرين للبعث، وقد أجاد في تفنيد شبهاتهم، والرد عليهم على شاكلة أفكارهم.

و يبدو أنه قد جنح في شرح (الساهرة) إلى أنها الأرض البيضاء، ولعل هذا الجنوح نابع من حسه اللغوي أولا، وإلى إرجاع المفردات القرآنية إلى دلالاتها اللغوية، شأنه شأن الزمخشري وبنت الشاطئ.

وخلاصة الأمر يمكننا القول أن منهج الشعراوي اختلف عن منهج البيانيين، ومع أنه قد أفاد منهم إلا أنه يصبغ ذلك دائما بصبغة شعراوية قلّ لها نظير، فهو لم يتوقف عند النظرة الجزافية للمفردات القرآنية، بل تعمق في مدلولاتها ليستخلص منها توجيهات جديدة، بعدما استنطق آياتها واستخرج معانيها، وفي الحين ذاته نجده قد أثّر بمنهجه على البيانيين المحدثين في قراءة القرآن على ضوء الواقع.

المطلب الثالث: التفسير البياني عند الشعراوي بين التقليد والتجديد.

إن تفسير الشيخ الذي سماه (خواطري حول القرآن الكريم) هو الجوهرة المكنونة والماسة الفريدة في حياة الشيخ الشعراوي– رحمه الله–

ولعلنا لا نبالغ إذ نقول أن براعة تفسيره ظهرت من مقدمته التي أعلن فيها قائلا:

"خواطري حول القرآن لا تعني تفسيرا للقرآن...وإنما هي هبات صفائية...تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات ولو أن القرآن من الممكن أن يفسَّر لكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أولى الناس بتفسيره"[1].

هنا تتضح بلاغة وحكمة الشيخ الشعراوي– رحمه الله– في مقدمته التي قلَّما وجدنا لها مثيلا بين مقدمات التفاسير الأخرى، فباعترافه المتواضع بأن خواطره ليست تفسيرا، ينفي عن نفسه القدرة على معرفة كل أسرار القرآن، في مقابل ذلك يعترف بأنه لا يقول إلا ما أجراه الله عليه من الهبات الصفائية والتجليات الإيمانية، فمطلق التفسير لا يقوم به بشر، ولو كان في مقدور أحد، لكان أولى به سيد الخلق أجمعين محمد– صلى الله عليه وسلم– لكن هذا لا يعني أن أحدا لا يستطيع فهم ما بين السطور، من الأمور التي لم يوضحها الرسول– صلى الله عليه وسلم– في وقتها، لعلمه بعلم الله أن هناك وقت يؤخر له ظهور ما في القرآن من حقائق ودلائل، ليزداد الذين آمنوا إيمانا وليهدي به الله الذين لم يؤمنوا.

فكان اعتراف ينم عن تواضع وذكاء جعل به لنفسه قدرا ومكانة قد لا يعطيها له غيره ممن سيأتي بعده.

وعندما ندقّق النظر في تفسير الشيخ الشعراوي– رحمه الله– ونحاول الوقوف على أهم ملامح التفسير البياني عنده، نجد أن هناك سمات ومظاهر أساسية ميزته عن غيره ممّا جعله متفردا بين التفاسير الأخرى، حتى وإن كان قد أفاد منها، وهو ما حاولنا فيما سبق إبرازه والوقوف عليه من خلال مقارنة منهج مفسرنا بمنهج البيانيين.

أولا– مظاهر التقليد:

وأول ما يلفت انتباهنا هو التقارب الكبير بين منهج الشيخ الشعراوي– رحمه الله– وتفسير الإمام القرطبي– رحمه الله– حتى اعتبره الباحث إيهاب عطا الوجه الآخر له

قال:" ولا يفهم القارئ من هذا الكلام–متسرعا– أن الشعراوي قلّد أو نقل من تفسير القرطبي كلمة كلمة–حاشى أن نتهم الشعراوي بمثل هذا– لكن ما نفهمه من هذه النتيجة

[1]- الشعراوي: تفسير جزء عم، دار الراية،1429هـ/2008 م ، ص9

التي وصلنا لها البحث، أنه إذا كان هناك من بين التفاسير التي سبقت(الشعراوي) ما يتشابه مع خواطره حول القرآن فيكون تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)"[1].

وهو محق في هذا، فمن دون شك فالشيخ الشعراوي لم يكن له أن يظهر من عدم أو يأتي من فراغ، فهو مثل غيره من المفسرين لا بد له أن يكون قد درس وهضم معظم التفاسير التي سبقته لكي يتمكن من التجديد والاختلاف.

وبتعدد واختلاف التفاسير التي ورثناها في القرآن الكريم، كان من المنطقي أن نجد في تفسير الشعراوي مناطق نفوذ، تظهر فيها تأثيرات العديد من التفاسير، وكان من الطبيعي أن نجد عوامل مشتركة بين تفسيره والتفاسير الأخرى، دون أدنى إرادة منه شخصيا.

وهذا ما وجدناه فعلا، فطريقة تناول الشيخ الشعراوي لآيات القرآن الكريم تتشابه مع أسلوب الإمام القرطبي، ومن الصعب بمكان أن نتابع تفسير الشعراوي لآية من كتاب الله دون أن نجدها تتشابه في جزئية من الجزئيات مع تفسير القرطبي، وهذا من دون قصد منه للتقليد أو النقل كما قلنا، لكنها تبدو وكأنها مسألة لا إرادية، فمثلا استشهاد الشيخ الشعراوي بنصوص عربية من الشعر لتوضيح المعنى هو ما فعله الإمام القرطبي.

كما أن بروز المنهج البياني عند الشيخ الشعراوي والتقيد التام بإظهار الجانب اللغوي والبلاغي وكذلك النحوي، هو ما نجده أيضا في تفسير الإمام القرطبي، ولا يخفى علينا أن اعتماد الشيخ على المنهج البياني راجع إلى تخصصه في علوم اللغة العربية بصفة عامة، والبلاغة بصفة خاصة، فكان تخصصه بحق خير معين له في كشف الدرر البلاغية واللفتات البيانية التي تحتويها الآيات القرآنية.

ولعلّ أهم ما يجعلنا نقول أن تفسير الإمام القرطبي والشيخ الشعراوي هما وجهان لعملة واحدة، ذلك أنّنا إذا تأمّلنا طريقة تناولهما للآيات القرآنية نجدها متقاربة إلى حد ما، فكما قد حرص الإمام القرطبي أن يكون تفسيره شاملا جامعا لأشياء كثيرة، فبجانب شرحه لمعاني الآيات تعرض لأسباب النزول وأورد الأخبار التي جاءت فيها، وعمد إلى ذكر الإسرائيليات وتفنيدها، ليوضح للقارئ الصحيحة والمكذوبة منها التي ذكرت في التفاسير

[1]-إيهاب عطا، الشعراوي اللغز،المرجع السابق،ص250

الأخرى، كما أنه برع في ذكر الأحكام التي تخص كل آية ومكانها في الشرع وكيفية تطبيقها.

وبالمقابل نجد الشيخ الشعراوي أيضا قد حرص خلال مشواره التفسيري لآيات الكتاب الحكيم، أن يكون تفسيره جامعا لكل الأمور، فقد دأب خلال رحلته التفسيرية بالرد على الشبهات التي تمس كل آية، سواء تلك التي قال بها أصحاب الفرق والمذاهب قديما، أو حديثا مثلما ذهب المستشرقون والملاحدة من منكري معجزة القرآن، كما أنه حرص على أن يجعل تفسيره للقرآن تفسيرا عصريا في وقت اتجه الناس فيه إلى عبادة العلم والمادة، فكان لزاما عليه أن يؤكد الجانب الروحاني في كل جوانب هذا الدين الحنيف(الإسلام)، وعمد كذلك إلى تناول البعد الاجتماعي في كل آية من آيات القرآن الكريم قدر المستطاع حيث شهد زمانه التفكك الأسري والمشاكل الكبرى، التي تنشأ عنه وما يلحق بالمجتمع نتيجة له، فخرج تفسيره أشبه بالوافي الذي جمع بين طياته معظم ما يحتاج الناس إليه في زمانه.

وخلاصة الأمر نستطيع أن نقول أن " كل من الإمام القرطبي والشيخ الشعراوي قد سعيا لتقديم نموذج جديد من التفسير، يجمع كل شيء ويحاول إظهار عيوب من سبقه، بل ويهدف إلى نشر الإيمان الحقيقي بين الناس بما يناسبهم في عصرهم"[1].

إلى جانب ذلك نجد الشيخ الشعراوي قد تأثر بتفسير سيد قطب– رحمه الله– (في ظلال القرآن) فكان تأثره به بشكل واسع، إلى درجة أننا نجد دار الراية التي طبعت جزء عم من تفسير الشعراوي، قد أدرجت بعض السور من تفسير الظلال ولكن القارئ لأول وهلة لا يلاحظ اختلاف الأسلوب بين التفسيرين، إلا إذا دقّق النظر وتمعن ليلاحظ أن السمة الشعراوية تختلف عن غيرها حتى وإن بدت وكأنها مشابهة لها.

ولأن الشيخ الشعراوي لم يستطع إخفاء إعجابه الشديد بالسيّد قطب – رحمه الله–نجده يستشهد بأقواله، و يبدو وكأنه معتز به، فمثلا في تفسيره لسورة الأعلى قال:" ورحم الله الشيخ سيد قطب نقل في ظلال الإسلام فصول كاملة من كلام الرجل الذي هو رئيس أكاديمية العلوم في نيويورك عمّا شرح به قول الحق سبحانه وتعالى{قدر فهدى}..."[2].

[1]- الشعراوي اللغز: إيهاب عطا، المرجع السابق، ص252

[2]- الشعراوي : المختار من تفسير القرآن الكريم ج12/3

ومن المؤكد أنه تأثّر به فهو من أبرز المفسرين الذين سبقوا الشعراوي في تناول آيات الكتاب الحكيم بذوق أدبي راق في العصر الحديث.

كما أننا نجد مفسرنا قد شارك غيره بعض السمات في تفسيره منها كما قلنا الاستعانة بأبيات الشعر وآيات القرآن في تفسير الآيات، وهو ما يجعل المتلقي والمستمع دائما في حالة استحضار لآيات القرآن وربطها كلها بعضها البعض، كما أنه شارك المفسرين الأفاضل في ذكر وجه المناسبة بين السور والآيات القرآنية، كما نجده قد شارك البيانيين القدماء في الحديث عن معجزة القرآن الخالدة بأسلوب عصري يتوافق مع التطور العلمي الذي شهده العصر الحديث.

ونلاحظ من خواطر الشعراوي أنه كان دائما يضع نصب عينيه قضايا أساسية يبدو وكأنها كانت هي الهدف العام من تفسيره، مثل قضية الإيمان والتوحيد والتي كان يبذل كل ما في وسعه من جهد حتى يدلّل على مصداقيتها ليفهمها المتلقي،" فيربط كل ما يريده من أفكار بالكون ومظاهره وبالقضايا الغيبية مثل: البعث والحساب والقيامة ويعطينا في النهاية بعد مزج كل هذا أسلوبا فريدا متماسكا يكون أسرع ما يكون لعقل المستمع"[1].

وبالتالي أصبح تفسيره خلاصة جيدة لكل ما سبقه بعد أن هضمه جيدا ثم أعاد طبخه فنضج ليعطينا تفسيرا فريدا من نوعه.

ثانيا- مظاهر التجديد:

كان من السهل علينا أن نلاحظ التميّز الذي أوجده إمام الدعاة في تفسيره، والتفرد الذي أبدعه في خواطره من حيث الأسلوب والمفردات التي عالج بها معانيه وشروحه، فنجد الأسلوب يحمل في طياته معادلة قلّما استطاع أحد أن يحققها، وهي الجمع بين البساطة والجودة في نفس الوقت، دون الخلل بأي من موازين القوة داخل تفسيره، ويمكننا تلخيص عناصر التجديد والتميز في عدة نقاط هي:

1- "من أول وهلة نصادف ملمحا جديدا ميّز تفسيره للقرآن عن غيره وهو اختياره للأسلوب الشفوي لتسجيل خواطره، ويبدو أن الشعراوي كان حريصا أشد الحرص على استفادة المعاصرين له على حساب الأجيال الأخرى، فلم يكن يشغل باله كيف سيصل هذا العلم إلى من سيأتون من بعده، ولكن المهم في رأيه أن يصل علمه إلى قلوب وعقول

[1]- إيهاب عطا: الشعراوي اللغز، المرجع السابق،ص259

هؤلاء الذين يعيشون في عصره ويستفيدون منه، ففي وقت كان الناس قد انشغلوا عن القراءة وأهملوا الفقه المدون في الكتب والمراجع حيث أصبح متعارف ومألوف في الأذهان أن كتب التراث صعبة الفهم، وبذلك هجرها الناس ووجدوا ضالتهم في وسائل أخرى من بينها وسائل الإعلام في عصر السرعة، ولعل هذا بالذات ما جعل مفسرنا يفضل تسجيل تفسيره في شكل خواطر عبر وسائل الإعلام بذلك الأسلوب الشفوي البسيط الذي جذب المتعلمين قبل هؤلاء الذين لا يجيدون القراءة والكتابة، وزاد من حب الناس لأسلوب الشيخ المفسّر أنه كان يستخدم لغة الحياة اليومية وهو ما جعل المتلقي يشعر بأن هذا التفسير الجديد للقرآن ليس المقصود به التفسير لمجرد التفسير، بل شعروا أنهم هم الهدف الأساسي من هذا التفسير وأن مصلحتهم هي الأهم، وأن الرسالة والعلم الذي أوكله الله إليه هو المحرك الأساسي لما يفعله، فاقترب الناس منه وأحبوا أسلوبه وشجّعوه، فأصبح حريصا على ضرب الأمثلة قدر المستطاع من مظاهر الحياة اليومية، فهو يضرب المثال بالفلاح في حقله والمهندس في عمله... وقد استفاد من الأسلوب القرآني في ضرب العديد من الأمثلة للناس لعلهم يتفكرون، بل إن الله تعالى أشار إلى أنه لا يتحرج أن يضرب مثلا بالبعوضة الضئيلة الحجم"[1].

2- كان الشيخ الشعراوي- رحمه الله- صاحب قدرة عجيبة على تحوير المعاني التي فشل سابقوه في توصيلها للناس، "فلقد استطاع أن يبسّط أعقد المسائل العقائدية، وأن يشرح أدّق المسائل الفقهية ببساطة شديدة، بل والأعجب من ذلك قدرته على تبسيط الخصائص البلاغية والنحوية الخاصة بآيات القرآن، وهو ما كان يعجز عنه المختصون في علوم البلاغة"[2]، فلم يكن تفسيره حكرا على الخاصة من الناس من أهل العلم، بل كان موجها للناس عامة، وكل منهم يأخذ منه بنصيب وافر.

3- " انفرد الشيخ الشعراوي- رحمه الله- بالوقوف عند الكثير من الآيات التي لم يولّها غيره اهتماما كافيا، وأطال في شرحها وأبرز الأمثلة على ذلك: خواطره حول آية البسملة في أوائل سورة الفاتحة، فقد تناولها بشكل جديد يختلف كليا عن تناول السابقين له، في كونها آية من آيات سورة الفاتحة أم أنها آية استهلالية في كل السور وما إلى ذلك...لكنه ذهب ليشرح دلائل البسملة وأهمية ذكر الله، وكيف تكون هذه البسملة مفتاح

[1]- إيهاب عطا: الشعراوي اللغز ،ص 255،256، بتصرف
[2]- إيهاب عطا: الشعراوي اللغز، المرجع السابق، ص256،257

الحياة ومحل البركة في كل شيء تذكر فيه، وهو ما يعطي لهذه الآية بعدا آخر ومدلولا جديدا، وكذلك برع في خواطره حول الحروف المقطعة والمفردة التي بدأت بها العديد من السور"[1].

4- تجّنب- رحمه الله-التمسك بذلك الأسلوب القديم في الوقوف والاستشهاد بما ذكره الآخرون في تفاسيرهم، ولكن مفسرنا ندر أن وجدناه يستشهد بشيء مما قاله أحد ممن سبقوه، وحتى لو كان ما يقوله متضمنا تلك التفاسير، لأنه قرأها وبالتأكيد تأثر بها كما أشرنا سابقا، إلا أنه كان دائما يضيف الجديد ويصبغ كل شيء بصبغة شعراوية قلمّا نجد لها نظيرًا.

5. " تميّزت مفردات الشيخ الشعراوي بتعبيرات وكلمات قلّ أن نجدها في التفاسير الأخرى بل يندر أن تجدها في الخطاب الديني المعاصر، وقد كان لذلك أعظم الأثر في نفوس مريديه ومتابعي دروسه وخواطره حول القرآن، حيث كانت بسيطة، سهلة، بعيدة عن التقعر، بل كانت مستخلصة من القاموس اليومي لحياة الناس، فكانت تشعرهم أنه منهم مطَّلع على همومهم وما يفكرون فيه من قضايا حائرة استجدت في حياتهم ولا يعرفون لحلها طريقا، ومن هذه المفردات: مراد الله، قوانين الكون ،المنهج، الملحظ، البشرية، قضية الإيمان، العلماء..."[2].

6- إن من بين ما نستخلصه من خواطر الشعراوي حول القرآن ونحن نحلّلها التحليل العلمي الدقيق، قضية هامة شغل بها نفسه لتكون خواطره في النهاية مسخرة تماما لتلك الفكرة، ألا وهي الدفاع عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والرد على المستشرقين الذين هاجموا الإسلام وصاحب الرسالة، لذلك جاء تفسيره للقرآن كمحاولة للذود عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مواجهة افتراءات الملاحدة والمنكرين والمعاندين، وهذا نستطيع ملاحظته بوضوح منذ أول وهلة تقع فيها أعيننا على سطور مقدمته إذ يقول:" وقالوا مجنون...نقول لهم أن الجنون عمل بغير رتابة..."[3]، تلك كلمة قد قالها الكفار قبلهم، كما يطالعنا في تفسيره نصوص كثيرة ردّ فيها على المستشرقين من بينها:

[1]- المرجع نفسه، ص 257
[2]- المرجع نفسه،258،259، بتصرف
[3]- الشعراوي: تفسير القرآن الكريم، طبعة غير كاملة ،ج1 ص 23

في معرض تفسيره لسورة النازعات استعرض قوله تَعَالَىٰ:﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ الضحى: ٧حيث فسّر معنى قوله تعالى﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ۝٤٥﴾ النازعات: ٤٥

فتعرض لكلمة منذر وحلّلها تحليلا استوفى جميع جوانبها من بيان مهمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإخلاصه في ذلك حتى حمّل نفسه فوق طاقتها، واستعرض الآيات التي جاءت تدل على هذا المعنى، ثم انتهى إلى قوله تعالى﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ الضحى:٧، فبيّن أن الضلال له معاني عديدة في اللغة، وأعطى مثالا من آية أخرى في قوله تعالى﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢﴾ الشرح: ٢

هنا بالذات لم يترك الفرصة للطعن في رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ـ قال:" الذين ليس عندهم أدب في مواجهة أو في استقبال كل ما واجه به رسول الله ــ ـ صلى الله عليه وسلم ــ من ربه يسرحه، وبعد ذلك يؤلف واحد محمدا بشرا والله يقول عنه:(إنما أنا) فقط لا يكمل الآية هل قال: أنا بشر فقط؟ أم(يوحى إلي)؟"[1]، وهنا الشيخ يقصد من كلامه هذا نظرة المستشرقين لرسولنا الكريم، فلقد ألّف العديد من المستشرقين حول هذا الموضوع منهم (منتغمري واط ، رودي بارت، نولدكه) ثم يقول معقّبا على كلام المستشرقين قائلا:" لماذا تركت هذه نظرية ثانية أو كلاما جديدا، نقول له لا... أكمل الآية(إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي)"[2]، ثم يبيّن الشيخ مقصد المستشرق من كلامه قائلا: "لأنه يريد أن يجعل القرآن أو الإسلام يذهب محمد ولا مانع أن يجيء بشر آخر يقول نظرية ثانية أو كلام جديد... عندما يكون بعيدا عن الوحي ممكن نقول هذا الكلام، إنما ما دام(يوحى إلي) مكمل لتكوينه صلى الله عليه وسلم"[3].

7- تحليل القضايا العلمية بأسلوب بياني بارع، جاء ذلك في قوله تعالى﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ الطارق: ٦ – ٧

قال الشيخ الشعراوي:" أوهم كثيرا من الباحثين أن ماء الرجل الذي نسميه نطفة من مني يمنى، وماء المرأة في ظنهم هو الماء الذي يأتي عقب العملية الجنسية، نقول:لا..ماء المرأة في العملية الجنسية لا دخل له في التكوين الإنساني، فإن المرأة تفرز

[1]- الشعراوي:المختار من تفسير القرآن الكريم،ج2 /132

[2]- المرجع نفسه ، ص 132

[3]- المرجع نفسه، ص 132

البويضة سواء تعرضت لعملية جنسية أو لم تتعرض..والبويضة لها وقت تنزل فيه، فإن صادفت وجود ماء الرجل تنتهي المسألة، إذن فالماء المراد بالماء الدافق، هو الماء الذي ينتج في العملية الجنسية من الرجل، ولكنه بالنسبة للمرأة هو الماء الذي في البويضة نفسها، وهنا حصل إشكال، هذا إشكال الناس الذين ينقبون في القرآن، وينقبون في الحديث، مرة ينقبون ليعرفوا آثار الكمال فيه، ومرة ينقبون ليعرفوا آثار التضارب فيه، المستشرقون دارسون وعاملون فهارس للقرآن، وفهارس للحديث، وبعد ذلك تلتفت تجدهم جاءوا على أشياء، هذه الأشياء يثيرونها في الحديث، ومن العجيب لمكرهم، أنهم قبل أن يتكلموا عن الحديث، يقولون هذا الحديث موثق، ويعمل لك فيه العمليات التي تعملها أنت حينما تصفي الحديث الذي تستنبط منه حكمك، فيعطيك فكرة أن هذا إخلاص في البحث، ولكنه يأتي من ناحية أخرى ليبرز ناحية، هذه الناحية سطحيات تعارض بعض قضايا العلم، يبقى لو أنه لا يريد بيان هذه، ما كان يتعب نفسه في التوثيق، إنه يريد التوثيق لأنني لو قلت له إن هذا حديث ضعيف، يقول: لا إنه حديث ثابت، يريد أن يأخذ من ثبوت الحديث ليس الإخلاص للحديث، إنما لكي يوثق الضربة، فلما وصلوا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما سئل أن الولد ينزع إلى جنس أبيه كيف، وإلى أمه كيف؟(فقال إذا سبق ماء الذكر ماء الأنثى، نزع الولد إلى أبيه، وإذا سبق ماء الأنثى ماء الذكر نزع الولد إلى أمه)[1] هم قالوا: أولا ماء المرأة لا دخل له في هذه العملية، وحبوا يجعلونا نفسّر الماء أنه الذي يأتي أثناء العملية من صلب الرجل وترائب المرأة، لكي يقولوا إن الحديث غير متفق مع الحقائق الكونية، ولا الحقائق العلمية... هذه واحدة، النقطة الثانية أن في مسألة النزوع، قالوا علميا ثبت أن ماء المرأة على أنه البويضة يعني...إن قلنا له لا إنها البويضة يقول: البويضة لا دخل لها في تحديد جنس الذكور ولا جنس الأنوثة، وإنما الذي يتحكم في ذلك هو ماء الرجل نفسه، هذه مسألة جعلتنا إذا سبق ماء الذكر الأنثى، الناس فهموا أن ماء الذكر من الذكر وماء الأنثى من الأنثى، إنما كلمة (سبق) هي التي تعطينا الجواب، كلمة(سبق)هذه إذا سمعتها، ماذا تفهم منها؟ تفهم منها أن اثنين يتسابقان، المتسابقان لا بد أن يكون منطلقهما من مكان واحد، وفي اتجاه واحد، ، إذن فكلمة(سبق) كان يجب أن يقفوا عندها معنى(سبق) هنا أن ماء الذكر وماء

[1] - أخرجه البخاري في صحيحه، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت،لبنان، ط3، 1407هـ/1987م،ج3 كتاب بدء الخلق، باب (كيف آخى النبي بين أصحابه)رقم3723 ،ص1433

الأنثى جاءا من جهة الرجل...وإلا فإذا كانا متقابلين كيف يقال(سبق) في واحد منهما، إنما (سبق) يبقى المنطلق من واحد، وما دام المنطلق من واحد يبقى المراد بماء الذكر وماء الأنثى الصادرين من الرجل، وهذا هو الذي أثبته العلم،إن الرجل يخرج من مائه ذكوري وأنثوي يبقى إذن هم لما ينقبوا عن هذه الأشياء، نحن في المولود ذكرا وإن غلب ماء الأنوثة يكون المولود أنثى، يبقى إذن هم لما ينقبوا عن هذه الأشياء، نحن في الواقع لكي نرد عليهم، لازم يكون عندنا فطنة إلى استقراء كل لفظ في الحديث، الذي نجانا من هذه كلمة(سبق) أو(إذا غلب) في رواية(إذا غلب)...نقول ما دام سبق وغلب يكون الاثنان منطلقهما ليس من مكانين، لازم يكون منطلقهما من مكان واحد"[1].

ومن ثم فهو يتعمق في بيان أصول معاني الكلمات، ليس لمعرفة دلالتها فحسب، ولكن أيضا لتبيين معناها الصحيح، واستعمالها الحقيقي لفهم القضايا العلمية، وبالتالي الرد على منكري معجزة القرآن.

ومما يجدر بنا الإشارة إليه هاهنا أن الكلام الذي نقلناه سابقا من النسخة المطبوعة لاحظنا فيه نقصا، فلما رجعنا للنسخة الصوتية وجدنا أن هناك كلاما محذوفا من حديث الشيخ، والصواب هو :(وهذا هو الذي أثبته العلم، إن الرجل يخرج من مائه ذكوري وأنثوي الاثنين، إلي يجري منهم ويسبق في البويضة يبقى إذن هو الذي يغلب، إن غلب الذكوري يطلع الولد ذكر، وإن غلب الأنثوي سيكون من جنس أمه ويطلع امرأة، إذن لمّا ينقبوا عن هذه الأشياء، احنا في الواقع نرد عليهم).

8- احتوى تفسيره على لفتات بيانية في منتهى الروعة، بحيث لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من لمسة بيانية أو إشارة لغوية تقرّب المعنى وتفتّق أسرار اللفظة، فكان بحق أسلوبه البياني المميّز مظهرا من مظاهر التجديد في تفسيره، ومن أمثلة ذلك في قوله تعالى ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ النبأ: ٣٦ قال مفسرنا:" عرفنا ما معنى الجزاء؟ إن الجزاء أجر على عمل، والعطاء هبة بلا عمل، كلمة (حسابا) هذه تقدح في العملية، حسابا يعني بالحساب، مع أنه سيعطي من غير حساب..لا..أنت تأخذ كلمة حساب على الشائع إن معناها لازم عندما تأتي لكلمة في القرآن لازم تنظر ما مدلولاتها اللغوية كلها؟ الحساب كما يأتي للعد، يأتي ويقصد منه المحاسبة، يأتي ويقصد منه من أحسبه الشيء،

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم ج2 /192

وأحسبه يعني الشيء والنعمة جعلك تقول حسبي، يعني بلغ الكفاية، يبقى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ النبأ: ٣٦

يبقى ليس بالحسبة، يبقى من حساب الذي هو أحسب الشيء فلانا يعني غمره حتى قال:حسبي"[1].

إذا فالتفسير البياني عند الشعراوي يتميّز بالاستفاضة والتوسع، فهو لا يكتفي بذكر معنى اللفظة وإنما يهتم بتحقيق هذا المعنى كما مرّ، ولعلّ النص التالي يعين على فهم هذا الأمر، قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ ﴿٢٦٠﴾﴾ البقرة:٢٦٠، تعرض مفسرنا لهذه القضية في معرض تفسيره لسورة الماعون قال: "وقد سبق أن عرضنا إلى قضية الإيمان والاطمئنان قلنا إن كلمة (بلى) بعد الاستفهام بالنفي(أولم تؤمن) قال إبراهيم: بلى..ما معنى بلى؟ يعني آمنت بعد ذلك ولكن ليطمئن قلبي..إذن فمطلوبة القلب مطمئن.. فكيف جاز له أن يحكم بأنه آمن من السؤال اطمئنان القلب، وقال: إنني آمنت بقوله(بلى) وبعد ذلك يقول(لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) ما دام سؤاله يقصد به أن يطمئن قلبه، يبقى الاطمئنان غير موجود"[2].

ثم نجد مفسرنا يعرض الوجه الذي يراه ويَعُدُّه الأظهر بقوله:" قلنا إنه فات المفسرين أن الجملة جاءت على صيغة السؤال..صيغة السؤال لم تكن: أتحيي الموتى؟ ولكن قال:كيف تحي الموتى...

وحين نسأل عن الكيفية، الحدث في ذاته متيقنا، فقول إبراهيم (بَلَىٰ) يعني أنا أؤمن بأنك تحي الموتى، وذلك هو القدر المطلوب من المؤمن.. ما هي كيفيتها؟ ليس هو القدر المطلوب منك ..فكأن الحق في قوله{أَوَلَمْ تُؤْمِن} يلفته إلى لفتة أن كيفية حدوث الأشياء من الله ليست عنصرا من عناصر الإيمان وإنما عنصر الإيمان أن نعرف أن الله يحي الموتى، أما كيف يحييها هذا علمه عند الله..ليس مهما أن نعرفه..فكأن قول إبراهيم (بَلَىٰ) أي أعتقد أنك تحي الموتى، ولكن أنا أريد الكيفية..إذن الاطمئنان لم يأت للقضية،

[1]- الشعراوي:المختار من تفسير القرآن الكريم ج83/2

[2]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم، ج3 /128

وإنما للكيفية التي جاءت عليها القضية...ولذلك تقول كيف بنيت هذه الكلية... أنا لم أقل الكلية بنيت أم لم تبن؟ الكلية مبنية وأنا أشير إليها..كيف اشتريت هذه الغطرة؟ أنا لم أسأل أنت اشتريتها أم لا لأنها قائمة؟..إذن فالسؤال في قوله أرني قال كيف؟ ولم يقل أتحيي أو تحيي .

إذن فالاطمئنان لا يعني معرفة الكيفية التي تحدث عليها الأشياء،لأن الكيفية التي عليها الأشياء من اختصاص الرب سبحانه، ولذلك أجاب الحق على سيدنا إبراهيم إجابة ليست جبرية..ليست لسانية..بل إجابة فعلية وجملة مشاركا هو فيها، بل الفاعل الأساسي فيها..قال له قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴿٢٦٠﴾﴾ البقرة: ٢٦٠ ، أنت الذي تأخذها..وبعد ذلك (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) ضمهن إليك وتأكد منها، وبعد ذلك اذبحها وقطعها واجعل على كل جبل منهن جزءا، وبعد ذلك ادعهن لا تدع الدعوة لي،لأن كوني أدعوها فتحيا هذه سهلة، إنما العظمة في أن أنقل لك من قوتي لتفعل أنت..وقلنا أن الفرق بين قوة الحق وقوة الخلق أن قوة الخلق لا تتعدى إلى الضعيف، وإنما تعدّى أثرها إلى الضعيف، لكن الحق سبحانه وتعالى لا يعدي أثر قوته فحسب، وإنما يجعل الذي لا يقوى يقوى بمجرد أن يفعل.. قال ادعهن أنت وإلا فإذا دعيت أنا المسألة تبقى بسيطة، العظمة في أن أجعلك بدعوتك يستجاب لك فتأتي الطير حية"[1].

هنا نجد مفسرنا قد أفاض وأبدع في شرح الآية الكريمة، وقد أقرّ على ذلك بنفسه حينما قال أن المفسرين قد فاتهم فهم المقصد من الاستفهام في الآية.

9- تميّز مفسرنا في حديثه عن بني إسرائيل بحديث فريد من نوعه ولم يسبقه إليه أحد خاصة في العصر الحديث،" ويعتبر أهم المفسرين الذين استطاعوا فضح اليهود بجرأة وبشجاعة لأنه أخرج فضائح اليهود من بين سطور القرآن الكريم إلى الواقع الذي نعيشه وكشف زيف حياتهم واحتقر أفعالهم"[2].

10- وفي الأخير من أهم ما يميّز تفسير الشعراوي للقرآن الكريم وأبرز ما يلاحظه كل مدقّق ومحلّل في خواطره، "ملحظين هامين وجانبين تفردا بهما عن غيره من المفسرين القدامى أو المحدثين، وهما إضافته لخواطره بعدا عصريا و آخر اجتماعيا برزا في جوانب

[1]- الشعراوي: المختار من تفسير القرآن الكريم،ج3 / 129

[2]- إيهاب عطا:الشعراوي اللغز، المرجع السابق، ص 266-267

عديدة أهمّها، اطلاعه على مختلف النظريات العلمية الحديثة في مختلف فروع المعرفة وكل العلوم سواء العملية أو النظرية فإلمامه بهذه العلوم أعطى تفسيره منحى هامًّا يجعل تفسيره إضافة هامة إلى التفاسير التي سبقته، حيث نجد إلمامه ومعرفته على سبيل المثال بالنظريات الحديثة في التربية جعلته قادرا، أولا على تحليل مشاكل المجتمعات الغربية والإسلامية على السواء وإمكانية إعطائه حلولا شافية تتلخص في إتباع منهج الله، فغالبا الأمراض التي تصيب المجتمعات تكون بسبب البعد عن منهجه، والثاني تجعله رائدا في تفسيره وصاحب فضل على كل من سبقه ممن تكلم في الدين الإسلامي بقليل أو كثير، من بعيد أو من قريب لأنه استطاع ربط الدين بالعلم وجعل من الطفرات العلمية التي يكتشفها العلماء يوم بعد يوم دليلا دامغا على صدق الرسالة التي بعث بها الرسول الخاتم، حيث كان على استعداد دائم أن يوضح أن كل ما توصل إليه العلم قد أشار إليه القرآن وأحاديث الرسول–صلى الله عليه وسلم– منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، وبذلك دلّل على أن القرآن كان ولا يزال معجزة المعجزات في عصره وكل العصور"[1].

[1]- إيهاب عطا: الشعراوي اللغز، المرجع السابق، ص272،273، بتصرف

المبحث الثاني:دراسة تطبيقية تحليلية لنماذج من السور القصار

المطلب الأول: تتبع المنهج البياني وعلاقته بفهم الدلالات عند الشعراوي

لقد احتلت علوم الدلالة اللغوية منزلة من أرفع المنازل عند المفسرين، فهي التي تستنبط أسرار القرآن وتُسيِّر أغوار معانيه، وتستخرج من بحاره للآلئها ودررها فضلا عن إبانتها عن وجوه تفرده وإشارات إعجازه؟

وأصل الدلالة في اللغة (إبانة الشيء بأمارة تتعلمها)[1] وهي بناءا على ذلك(ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز)[2].

"فالمعنى العام لكلمة (الدلالة) هو الإبانة بواسطة الأمارة، سواء كانت هذه الأمارة لفظية أو غير لفظية، فإذا ما أضيفت الدلالة إلى اللغة، أو وصفت بها اختصّت وسيلة الدلالة بطريقة اللغة وعلومها و ضوابطها"[3].

فإذا كان حدّ الدلالة في المفهوم الاصطلاحي هو:"كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"[4]، فإن تركيز المهتمين بالدلالة اللغوية كان على أساس علاقة هذه الدلالة باللغة، ولعلّ الأصفهاني كان أقرب إلى هذه العلاقة حين عرّف دلالة اللفظ بقوله: "اعلم أن دلالة اللفظ عبارة عن كونه، بحيث إذا سمع أو تخيّل لاحظت النفس معناه "[5] ثم يقول الباحث مشرف بن جمعان الزهراني، معقّبا:"وهذا المفهوم العربي للدلالة لا يبعد عن المفهوم الذي وضعه علماء الدلالة المحدثين في الغرب منذ اهتمامهم بهذا العلم، فتعريف علم الدلالة عندهم يدور بين أنه(دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى،أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى)"[6].

ومن هنا نستخلص أن علم الدلالة اللغوية قد أثيرت مباحثه عند العرب، و تأطّر مصطلحه، حتى إن ابن خلدون في مقدمته يجعله علما ضروريا للفقيه، إذ يقول: يتعيّن النظر في دلالات الألفاظ، وذلك أن استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق، يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة.. ثم إن هناك

---

[1]- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي ،ص330

[2]- الأصفهاني الراغب: مفردات القرآن، دار المعرفة- بيروت، ص171

[3]-الزهراني: أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند طاهر بن عاشور،رسالة دكتوراء 1427 هـ ،ص 46

[4]- الجرجاني:علي بن محمد ،التعريفات ، تح:إبراهيم الأبياري، دار إحياء الكتاب العربي، ص77

[5]- أثر الدلالات اللغوية في التفسير، المرجع السابق، ص46

[6]- أثر الدلالات اللغوية في التفسير، المرجع السابق ص46

استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام... فكانت كلها من قواعد هذا الفن، ولكونها من مباحث الدلالة اللغوية"[1].

والنص السابق يعبّر بوضوح عن أهمية الدلالة اللغوية للعالم المهتم باستفادة المعاني، والمفسِّر أحد أفراد هذا الجنس، ولقد كان للدلالات اللغوية أثر كبير في تفسير الشعراوي، فتفسيره من التفاسير المهمة في العصر الحديث، حيث أبدع في استخدامها لإظهار معاني النص القرآني وبيان مقاصده، وهذا ما سنحاول عرضه في مطلبنا هذا من خلال الأمثلة الآتية:

أولا- الدلالات اللغوية:

1- الاشتقاق: لعلّ الشعراوي وجد في دلالات القرآن الكريم مجالا خصبا لممارسة حسّه البلاغي، وأدار مع بعض الألفاظ حوارا دلاليا حول دور أصلها الاشتقاقي في تمييزها عن بعض مرادفاتها، ولعلّ المطالع يلمح ذلك من كلامه حول قوله تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ الأعلى: ١.

قال مفسرنا:" نجدها قد تناولت ألوانا شتى من الاشتقاق فعندنا في اللغة، معنى الاشتقاق :أن أخذ كلمة من أخرى، فالمأخوذ منه أصل والمأخوذ فرع بحيث يتشكل المأخوذ من المأخوذ منه بموضوع أخذه "[2].

بعدما انتهى الشيخ من تعريف الاشتقاق، شرع في تحليل المفردة لأن معرفة اشتقاق الكلمة من أهم عوامل فهم دلالاتها، ثم نجده يعرض لنا مثالا، فقال: "كلمة (الضرب)هذه مصدر أنا أشتق منه (ضرب) يعنى حدث في الماضي (يضرب) في زمن حاضر أو المستقبل، (ضارب) واحد حصل منه الضرب، (مضروب) وقع عليه الضرب (مضرب) مكان الضرب يبقى إذن اشتقت من لفظ واحد عدة أشياء، المأخوذ منه نسميه مصدر الاشتقاق الذي انسلخ منه، فإذا نظرنا إلى هذا المعنى في كلمة (التسبيح) وجدنا أن أصل المشتقات على ما انتهى إليه العلماء هو المصدر، على هذا الضوء، إذا استعرضنا السور القرآنية التي استهلت بهذه المادة وجدنا أول سورة هي الإسراء، قَالَ تَعَالَى:﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ ۝١﴾ الإسراء: ١.

---

[1]- أثر الدلالات اللغوية في التفسير، المرجع السابق، ص46

[2]- الشعراوي :المنتخب من تفسير القرآن الكريم ،ج3 ص25

سبحان جاء بالمصدر، وبعد ذلك في الآخر في المفصل وجدنا أنه لما اشتق حاجة الزمن يكون له دخل في الاشتقاق، أنا أشتق لزمن ماض، يبقى هذا الفعل الماضي اشتق لزمن حاضر أو مستقبل، يبقى هذا المضارع اشتق عن واقع عليه حدث"[1].

ثم نراه يحلّل ويناقش، يقول: فنجد أن الحق حينما استهل بعض السور، استهلها أولا بالمصدر الذي هو أصل، فكأن التسبيح ثابت لله، التنزيه ثابت لله أصالة، قبل أن يوجد من يسبّحه، فجاء في أول سورة (سبحان) فكأن التنزيه ثابت لله، وإن لم يوجد من ينزّه، مثلما، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ آل عمران: ١٨.

فكأن الله شهد لنفسه بأنه لا إله إلا هو قبل أن يوجد شاهد آخر، وبعد ذلك شهدت الملائكة، وبعد ذلك شهد أولوا العلم...، إذن فالله شاهد لنفسه بأنه لا اله إلا هو، كذلك التنزيه ثابت لله قبل أن يوجد من ينزّه، يبقى {سبحان الذي} للتنزيه الثابت لله وبعد ذلك يوجد من ينزّه"[2].

ثم يواصل الشيخ استقرائه لسور قرآنية ويشرع في تحليلها قائلا: وبعد ذلك أول سورة(الحديد) وأول سورة(الحشر) نجد أنه استهلها أيضا بالاشتقاق، الأول الذي هو الفعل الماضي،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ الحشر:١ ومرة يقول ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ الحديد: ١ وهل سبّح وانتهى التسبيح ؟ لا جاء سورة (الجمعة) (التغابن)قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الجمعة: ١ يبقى (سبح) في الماضي قبل أن تعلموا، و(يسبح) الآن، و(يسبح)مستقبلا، وما دامت الاشتقاقات الزمنية: الماضي، والمضارع، يبقى الأمر، يبقى الأول الأصل الاشتقاقي في سورة (الإسراء)(سبحان) وبعد ذلك تكلم عن الماضي في استهلال سورتي (الحديد) و(الحشر) (سبح) وقال في سورتي (الجمعة) و (التغابن) (يسبح) لم يبق من الزمنية في الاشتقاق إلا فعل الأمر"[3].

ثم يوضّح قائلا: "فجاء في السورة التي نحن بصددها فعل الأمر، مادام التنزيه ثابت لك قبل أن يوجد المنزّه ولما وجد، سبح في السماء والأرض ولا تزال تسبح، يبقى المنطق

---

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ص25

[2]- الشعراوي: المرجع نفسه، ص26

[3]- الشعراوي:المرجع نفسه ، ص 26

أنك تشغل نفسك{سبح اسم ربك}، يبقى الكلام في استهلالات السور منطقي، الأصل المصدر (سبحان) ثابت و بعدين (سبح) وبعدين (يسبح) وبعدين مطلوب مني أن لا أشذ عن الوجود، أنا أنسجم مع الوجود، وما دام تريد تنسجم مع الوجود، تبقى مثلما عمل الوجود أنت تعمل، يبقي {سبح اسم ربك الأعلى}[1].

مما سبق يظهر لنا جليا الجهد الذي بذله الشعراوي في قضايا الاشتقاق، فهو لا يكتفي بمجرد النقل وإنما يتأمل المنقول، فيأخذ منه ويدع، ويقبل ويرد، وربما صاغ من الأقوال المختلفة قولا واحدا يمزج بينهما ويزاوج أجزائها، ويظهر وعيه باللغة من خلال هذا كله.

2- دلالات الأحرف:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ ﴾ الطارق: ٣ - ٤

لمّا هذه تأتى لمعاني متعددة ، أوضحها مفسرنا بقوله :

"المعنى الأول : ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ ﴾ تأتي لنفي الفعل سابقا نفيا يتصل بالحال تقول: لما يجيء زيد،مثل، لم يجيء زيد أيضا، يعني حكمت بعدم مجيئه في الماضي، إلا أن الفارق بين(لم) وبين (لما) أن منفي لما متصل بالحال، يعنى لما يجيء قبل، إلى لن لم يجيء لكن مفهوم (لم) ينفي مجيئه في الماضي، إنما من الجائز أنه يجيء الآن، فساعة ما ترى (لما) هذه أعرف أن الفعل بعدها منفي في الماضي واستمر نفيه إلى الحال الذي تتكلم فيه، ولكن يكون متوقع الحصول، ولذلك إذا قرأنا قول الله ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ۝١٤ ﴾ الحجرات:١٤

أنتم نافقتم وعملتم مطلوب الإسلام إنما الإيمان، ما زال لم يدخل قلوبكم ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ ۝١٤ ﴾ كلمة { لما يدخل الإيمان} يعني لحين الخطاب هذا لم يكن الإيمان دخل عندكم، ولكن يتوقع أن يدخل هذا هو لأمل، يبقى منفى (لما) في خصوصيات أنه ينفى الفعل ماضيا، ويستمر نفيه إلى الحال الذي تكلم فيه، بخلاف (لم) فإنها تنفى في الماضي، يجوز أن ينقطع في الحال، لم

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم،المرجع السابق، ص26

يحضر زيد ولكنه حضر الآن يعني لم يحضر في الماضي (لما) منفيها لازم يتصل بالحال و(لما) تمتاز أيضا بأن منفيها يتوقع أن يحدث"[1].

ومن ثم نجده يعدِّد استعمالاتها قائلا:

–" لما يثمر بستاننا وقد أثمرت البساتين، فيه توقع أن يثمر، ولذلك (لما) يقلب الفعل المضارع بعدها إلى الماضي.

– ولها استعمال آخر (لما) التي تدل على الوجود للوجود يعنى على وجود شيء لوجود شيء آخر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ هود: ٧٤ كان الحق يقول إن المجادلة وجدت منه لما ذهب الروع، وجاءت البشرى هذه يسمونها (لما) حرف وجود لوجود، يعنى وجد شيء لوجود غيره، لما حضر فلان صنعنا كذا وكذا، وجد بعد ما وجد حضور فلان، هذا استعمال آخر هنالك استعمال ثالث الذي نحن بصددها الآن، وأنها تأتي بمعنى (إلا) الاستثنائية، يبقى هنا نقول إن كل نفس إلا عليها حافظ، وتبقى (إن)هنا معناها النفي لأن (إن) تكون شرطية، إن قام زيد قام عمرو، تكون مخففة عن الثقيلة من أن تكون بمعنى النفي، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ المجادلة: ٢

يعنى أمهاتهم إلا الآئي ولدنهم، تبقى (إن) هنا نفي، إن كل نفس لما عليها حافظ معناه أحذف (إن) وضع(ما) تبقى{ما كل نفس إلا عليها حافظ } يعني لم توجد نفس مفلتة من الحافظ ، هنا لو قيل مثلا في غير القرآن، إن نفس إلا عليها حافظ، يعنى ما نفس إلا عليها حافظ، يبقى الكلام مستقيما،لأن النكرة في سياق النفي تعم، يبقى الأسلوب ماشي، لكن انظر كيف تأكّد نكرة في سياق النفي، وبعد ذلك جاء لها بسور (كل) لكي تفيد الإحاطة إفادة من الطريقين: الطريق الأول، النكرة في سياق النفي، الطريق الثاني، السور الكلي يعني لا تظن نفس من النفوس أنها بمنأى عن الرقابة و بمنأى عن المحافظة "[2].

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، المرجع نفسه، ج2 ص199

[2]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص200

لعلنا من خلال هذا المثال الذي التقط من فكر الشعراوي الدلالي بعض جهوده في مجال الدلالات الوضعية، المتمثلة في معرفة معاني الأدوات والأحرف، وعلاقتها بأسلوب القرآن، لعلنا أن نكون لمسنا إفادته منها في إبراز المعنى القرآني، والرؤية العميقة لدلالاته.

3- الفروق اللغوية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤﴾ المرسلات: ١٤

قال مفسرنا في هذا الصدد:"يدل بذلك على أن يستعد له، وحين يقول{وما أدراك} يأتي لشيء يعطي الله رسوله فيه البيان، وما أدراك سابقا، أي لم تتلق أي الشيء عن هذا اليوم من قبل، ولكن لا مانع أن تتلقى منه بعد، ولكن حين يقول {وما يدريك} في المستقبل فكأنه نفي للإدراك، نفي لأن أي إنسان يعطيه معلومات عما يقول، فإذا رأيت {وما أدراك} فاعلم أنه سيدريه، وإذا رأيت {وما يدريك} فاقطع الأمل بأنه يدريه"[1].

ومن تلك الأمثلة يتبيّن لنا أن البحث في دلالة الكلمة وأصلها على النحو الذي مرّ آنفا عند مفسرنا، يفسح المجال لتبيّن الفروق الدلالية بن الألفاظ المتقاربة في المعنى بناءا على أصولها الاشتقاقية، وهو باب واسع في العربية، تظهر به مقدرة الأديب وتصرف البليغ، فتلك الإشارات السابقة تدل على سعة المعارف اللغوية عند الشعراوي، وعمق نظره في هذه المعارف تجعل الباحث في تفسيره لا يستغرب الكم الكبير من المباحث اللغوية والدلالية من فروق لغوية، واشتقاق، وأساليب خبرية وإنشائية مع استعمال المصادر المختلفة ما بين إفادة واستدراك وتعليق، بما يكفل تجلية المعنى القرآني وبيان دقائقه التعبيرية وإعجازه البياني.

ثانيا- الدلالات البلاغية:

1- التشبيه البليغ:

قال مفسرنا:"ربنا يقول، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧﴾ النبأ:٧ لم يقل الجبال كالأوتاد، حتى يكون تشبيه الجبال بالأوتاد، إنما جاء بها على طريقة التشبيه البليغ، كما يقولون: التشبيه البليغ إنك تجئ بشيء تلحقه بشيء ويبقى مفهوم أن هذا مشبه، وهذا مشبه به، مثلما تقول هند كالقمر تبقى هند مشبه والقمر مشبه به والكاف حرف تشبيه، إنما لما

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص38

تجيء تبالغ لا تقول كالقمر، لأن القمر هذه تفيد أن الأصل في الحسن القمر، وهي ألحقت به في الحسن، تقول هند قمر ليس كالقمر، هند قمر، واحد يحب يبالغ أكثر، يقول: القمر كهند، انقلب التشبيه بعدما كان هذا مشبه أصبح مشبه به، قَلَبه لكي يَدُلك على أنها هي الأصل في الحسن الذي يجب أن يلحق بها الأشياء .

فالحق سبحانه وتعالى لم يقل كالأوتاد جاء بها على طريقة التشبيه البليغ، الجبال أوتاد فالحق لمّا قال:﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ ﴾ الجبال هذه فخامة و ضخامة وعظيمة، والوتد شيء هيّن قد يكون حقيرا في نظر الناس، فكيف جاء الحق بالمشبه الضخم، هذا يشبّه بالشيء التافه البسيط، مع أن المفهوم في التشبيه أن الشيء الأقل هو الذي يشبّه بالكبير، لن هو شبّه الجبال بالأوتاد، مشبه الشيء الضخم هذا بأوتاد"[1].

ثم يبهرنا الشيخ بأسلوبه ولفتاته المتفردة ويقول:"هنا لفتة، هذه اللفتة لكي يلفت الإنسان، يقول له تعالى يا عربي يا من تنصب الخيمة والعمد، وتجيء لها بالأوتاد، قل ماذا تعمل هذه الأوتاد ؟ هل الأوتاد وضعت لتثبيت الأرض ؟ أم لتثبيت على الأرض أوتاد الخيمة وضعت لتثبيت الأرض المدقوقة فيها أم لتثبيت شيئا على الأرض؟ أول مفارقة في التشبيه، أنت تقول: الجبال جعلت في الأرض أوتادا، لكي تثبت الأرض نقول: الأوتاد في الخيمة، ليست كتلك الأوتاد، وليست لتثبيت الأرض، إنها لكي تثبت الخيمة التي على الأرض والأوتاد لا تثبتها لوحدها، لا تنفع خيمة بأوتاد دون عمد فما دام كلمة أوتاد لازم تعرف ماذا يعين الأوتاد على التثبيت؟ وما هو الشيء الذي جاءت هذه الجبال لتثبيته على الأرض؟ لكي يكون التشبيه صحيحا، فلو قلت إن الجبال لكي تثبت الأرض فقط نقول: قد يكون من معناها أنها تثبت الأرض، وأيضا من معانيها أنها كالأوتاد بالنسبة للخيمة، يبقى لا تجيء بسيرة تثبت الأرض هنا يبقى تثبيتا شيئا على الأرض، فالجبال تثبت ماذا على وجه الأرض؟ هذا هو الذي يحتاج بحث العلماء تقول: الخيمة لا تجيء بالأوتاد وحدها، إنما الخيمة تجيء بعد العمد، فلا بد أن تبحث في الكون عن نظير عمد الخيمة، وبعدين تبقى الأوتاد هذه عوامل مساعدة لتثبيت هذه الخيمة، ولكي يجيء التشبيه مضبوطًا والجبال أوتاد،لا تكتفي بأنها مثبتات للأرض، لأن الوتد لا يثبت الأرض، إنه لتثبيت شيء على الأرض، فابحث أولا عن الشيء الذي جاءت الأوتاد التي

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، المرجع نفسه، 49-50

هي الجبال لكي تثبته فوق الأرض، هذه واحدة، ثم الأوتاد لا تثبت الخيمة لوحدها، بل لا بد لها من عوامل تساعدها، هي العمد، ابحث أيضا عن العمد التي جاءت الأوتاد لتساعدها في المحافظة على الشيء على الأرض"[1].

ثم نراه يستدل على تحليلها بالنظريات العلمية قائلا: "نجد العلم لمّا تقدم قليلا ، يقرّبنا من هذه المعاني، لمّا بحثنا في المسألة، قرأنا ما قاله الذين يبحثون في الجبال وكثافة الأرض، قالوا: أنه عالم راح لكي يرى كتلة من الجبال، لكي يعين بها كتلة الأرض، ومن ثمّ وجدنا بحث أن الأرض لا تصلح للحياة إلا بوجود الهواء، وبعدين فهمنا أن فيه غلافا هوائيا يلف الأرض، لذلك لمّا ربنا يتكلم عن السير فيقول {قل سيروا فيها} ولم يقل سيروا على الأرض، لأن من متممات الأرض القبة الهوائية التي حولها، القبة الهوائية هذه كلها من الأرض، أنها ضرورية {قدّر فيها أقواتها} يعنى الإنسان، ويعطى له حياة، فالقبة الهوائية هذه تكلموا عنها وقالوا: إنها تمنع عنّا أشياء كثيرة،منها الأشعة البنفسجية وتعكسها علينا، هذه القبة الهوائية التي تلف الأرض كيف لا تنفلت من الأرض وتطلع في الفضاء الكوني ؟ إذن لابد أن هناك شيء يشدها تحت ألا وهو قانون الجاذبية، كأنها تجذب هذه القبة لكي لا تنفلت في الفضاء الكوني وتتركنا في الهواء.

فجاء عالم من العلماء وقال: هل لثقل كتلة الأرض دخل في الجاذبية ؟ يعني لمّا تكون الكتلة كبيرة، يبقى وجود هذه الجبال لكي تكون قوة الجذب أشدّ، وجود الجبال على الشكل المخصوص تعمل أودية وتعمل مثل حوض يجيء الهواء من هنا ويضرب هكذا، ويجيء من هنا، فهذا يعين على احتفاظ الأرض بجوّها، وكأن العمد التي تساعدها أوتاد، هي العمد غير المرئية التي هي قانون الجذب الموجود في الأرض، ويبقى على ذلك قول الله وجعلنا ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾ النبأ: ٧ متمشيا مع واقع الخيمة والوتد، ومهمته في الخيمة والذي يساعده الوتد في عمليات الجذب ليحتفظ بهذا الشيء الذي فوقه"[2].

ومن ثم يستخلص قائلا: "طبعا هذه الوسائل، القرآن ما كان يسمّيها بالتفصيل عند قوم ليس عندهم ثقافة، إنما القرآن فيه الزاد للنشاط الذهني، ولأن القرآن له عطاء إلى أن تقوم الساعة، ولكن الرسول فسّره وفق العقول المعاصرة "[3].

---

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم ، ص50

[2]- الشعراوي: ، المرجع نفسه، ص51

[3]- الشعراوي:المرجع نفسه، ص

2- **المقابلة :**

حلّل مفسرنا هذه القضية البلاغية بقوله:"جاء في سورة الغاشية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ الغاشية: ٧ – ١٠

العلو قد يكون علو مكان، قد يكون علو منازل، فسّر في علو ما شئت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾ الغاشية: ٧ – ١١

انظر الدقة الأدائية في قول الحق ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾ معنى لا تسمع فيها لاغية هدوء، استقراء، سكون، اطمئنان، معناها أنها الأمن المطلق، وما دام وجد أمن مطلق يبقى هذا هو الهدوء، هذا هو السكون، انظر كلمة **(لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ)** فكأنها حينما رأت الغاية من حركة حياتها، غاية مسعدة، غاية مرضية، ابتدأت تقول: نعم السعي ما سعيت، نعم السعي الذي سعيته بمنهج إيماني، ووصلت به إلى ذلك النعيم **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ}** نظرة النعيم هذا الشيء لا تقدر تصفه، إلا إذا رأيت واحد مسرور في نعمة، ترى وجهه له بريق، له نظرة له أسر له جاذبية، يعنى يشف عما في نفسه من الرضى ويشف عما في نفسه من المتعة"[1].

بعدما أن استكمل الشيخ شرحه للآية وكشف عن مكنونها بأسلوب بارع متميز وإحساس بيانيا متألق، ينم عن قدرة الرجل وقدم باعه في اللغة العربية، ينتقل بنا إلى ما يقابلها في نفس السورة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ الغاشية: ٢ – ٤"أي لم تخشع اختيارا فخشعت اضطرارا، يريد أن يبيّن لنا حمق الحركة في الحياة، حمق العمل، حمق النصب، وأنهم لم يفكروا كيف يعملون العمل المؤدي إلى غاية تعوض عليهم تعب العمل، ساعة ما يقول:**{عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً}**

يقول بئس السعي الذي كنت أسعاه، كنت أعتقد أنني أحقّق لنفسي متعة، صحيح أنا حققت لنفسي متعة، لكن متعة الحمقى الذي يأخذ المتعة العاجلة وينسى المتعة الآجلة، وإنها ستكون خاشعة في الآخرة، وتكون عاملة، وتكون ناصبة، نعم سيسحبون الأغلال،

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص48-49

يسحبون القيود يسيرون في وهاد جهنم ووديانها، يبقى أيضا مشقات وتعب فوق العذاب، وان حركتهم في الدنيا كانت إلى البوار"[1].

3- أسلوب الذم بما يشبه المدح:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾ النبأ: ٢٤ – ٢٥

قال مفسرنا:"مثلا تقول فلان كريم إلا .. ساعة يسمع الإنسان(إلا) هذه يظن أنك ستأتي له بصفة مثلية، بصفة نقض نقول: فلان كريم إلا أنه، لأن إلا للإخراج وتخرج عما قبلها، فساعة ما تسمع (إلا) تفهم أنه سيجيء صفة مخالفة مثال، يقول فلان كريم إلا أنه شجاع، فكأنك بحثت لتستثنى شيئا فلم تجد إلا صفة مدح أخرى تلصقها به، ولذلك يسمّون هذا المدح بما يشبه الذم، لأنك ساعة ما تسمع (إلا) تظن أنه سيذم، فإذا بك تفاجأ أنه جاء بصفة مدح أخرى، هنا يظن في (إلا) ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ ساعة ما يسمعوا (إلا) يظنون أنه سيجيء هبة رحمة أو نسمة رضى، وبعد ذلك يقول ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾ والحميم هو الحار والغساق هو الصديد،فانظر يبقى لا ينقذون من هذا إلا إلى شيء أشد منه"[2].

يبدو أن الشعراوي قد أفاد من مفهوم البلاغيين لما أسموه تأكيد المدح بما يشبه الذم فجعله أمام عينيه، وهو يذكر معاني الاستثناء، فهو باب له أهميته في التراث اللغوي عامة، وفي القرآن الكريم خاصة، فقد تنوعت مباحثه في علمي النحو والبلاغة لتعدد أنماطه، ولأثر دلالاته في الكشف عن مرامي الكلام خصوصا كلام الله العزيز، فلم يكن مفسرنا بعيدا عن هذا الاهتمام، فقد توقف عند أساليبه كما رأينا، وعالجه بحسّه اللغوي الدقيق.

من الأمثلة السابقة تبيّن لنا مدى أهمية الدلالة البلاغية عند الشيخ الشعراوي وعنايته بها في تفسيره، بدءا ببيان المعنى، وبلوغا إلى الكشف عن مكنونه وعميق دلالته، ثم ارتقاءًا إلى بيان تفرّده الدلالي، بحيث يجد فيه الكل مبتغاه وقصده .

و ممّا سبق تتضح أهمية الدلالة اللغوية وفروعها الكثيرة التي تخدم النص القرآني بأنماطه المتعددة، من حيث أثرها وعناصرها المختلفة، التي تعتمد البيان القرآني قاعدة

[1]- الشعراوي: المرجع نفسه، ص 46 إلى49

[2]- الشعراوي: المرجع نفسه، ص 77- 78

راسخة وأساسا ينطلق منه ببيان مناحيه الدلالية في التفسير، مستخدما الوسائل الدلالية المتعددة لإثبات أعلى درجة التميّز في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تعانق النحو والبلاغة في ترسية المعاني عند الشعراوي

لقد اشترط العلماء في المفسّر لكتاب الله تعالى جملة من الشروط أهمها: أن يكون ملماً بجملةً من العلوم، من أبرزها علوم اللغة العربية من نحو، وصرف، وبلاغة، وبيان ومعاني وغيرها، ولاسيما أن القرآن الكريم نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ تعالى

فمعرفة المفسّر باللغة العربية، تعينه على فهم مراد الله تعالى في كتابه على وجه الكمال والتمام، وتساعده على استيعاب وإدراك أساليبه الرفيعة، وتحميه من الوقوع في الخطأ و اللبس.

ولقد عقد الزركشي في البرهان فصلا بعنوان فيما يجب على المفسر البدء به فقال: "الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه، وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه "[1] .

وعدّ السيوطي العلم بالإعراب من شروط المفسِّر لكتاب الله تعالى، فقال:"وتمام هذه الشروط أن يكون ممتلئا من عدّة الإعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فإنه إذا أخرج بالبيان عن وضع اللسان حقيقة أو مجازا فتأويله تعطيله "[2].

ولقد بيّن الشيخ ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير العلوم التي يجب أن يُلم بها المفسّر، وذكر من أهمها:" العلم باللغة، والنحو، والتصريف، والاشتقاق والبلاغة والبيان وعلم المعاني، وعلم البديع"[3].

من خلال ما سبق تتضح لنا أهمية علوم اللغة في إعانة المفسّر لكتاب الله، وكيف لا وهو قد نزل بلسان عربي مبين، فكانت بحق هي مفتاح الولوج في بوابته، وهي أداة الغوص في بحاره والبحث عن جواهره.

---

[1]– الزركشي: البرهان في علوم القرآن، المرجع السابق ،ج2 ص173

[2] - السيوطي :الإتقان في علوم القرآن،المرجع السابق، ج2 ص1199

[3]– ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، مكتبة التراث الإسلامي، مصر 1988، ص21

ولقد أدرك الشيخ محمد متولي الشعراوي أهمية البلاغة والبيان في تفسير القرآن الكريم، وفهم معانيه، لذلك فقد اعتمد على النحو والبلاغة في تفسيره، وسنتناول هذا الجانب – بإذن الله– من خلال عرض بعض الأمثلة النحوية والبلاغية، ثم محاولة كشف العلاقة التي تربطهما وأثرها في تجلية المعاني القرآنية.

أولا–اعتماده على البلاغة:

1– **التشبيه:** في معرض تفسيره لسورة النازعات، استعرض قوله تعالى﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الدخان: ٤٣ – ٤٦

قال مفسرنا في هذا الصدد:" فنحن لا نعرف شجرة الزقوم، فكان من الواجب أنها تبيّن لنا بشيء نعرفه،وذلك شأن التشبيه في اللغة"[1].

ثم إننا نجد مفسرنا يعرّف التشبيه و يضرب له مثالا لتقريب الفهم قائلا:" التشبيه يأتي بشيء معلوم لك ليلحق به شيئا مجهولا، فإذا قلت: زيد كفلان، فكأن فلان معلوم لك وزيد مجهول ، فأنت تريد أن تعطي صورة عن زيد، تقول له صورة عن زيد هي مثل فلان، أنت الذي تعرفه"[2].

ثم يعقّب قائلا:" إذن التشبيه لازم يلحق مجهول بمعروف، لكن شجرة الزقوم في النار ولا نعرفها، فلما جاء الحق ليعطينا تشبيها، ماذا قال؟ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ الصافات: ٦٥

ورؤوس الشياطين لم نرها، إذن فهنا تشبيه مبهم بمبهم، وما دام هنا تشبيه مبهم بمبهم فالآية لم تعطنا شيئا، نقول: هذه هي النظرة السطحية، إنما النظرة الدقيقة التي تنظر إلى الكلام أنه كلاما لله، وفيه أسرار، ويجب على العقل أن يستنبطها، وعلى قدر يقظة العقل يخرج منها ما يراد، علمت أن ذلك الإبهام هو غاية البيان، كيف ذلك؟ لأن الله لو مثّل طلع شجرة الزقوم بشيء بشع، مفزع، قبيح نعرفه، فقد حدّد القبح والبشاعة في

[1]– الشعراوي:المنتخب من تفسير القرآن الكريم ،ج2ص104

[2]–الشعراوي: المرجع السابق،ج2 ص104

شيء واحد نعرفه، والقبح والبشاعة ممّا تختلف فيه الأنظار، فقد يكون الشيء بشعا عند واحد وغير بشع عند الآخر، قد يكون الشيء جميلا عند قوم، وغير جميل عند الآخرين"[1]

وبعد ذلك نجده يؤكد المعنى ويقرّبه بمثال واقعي في الحياة العامة، قال :"مثلا نجد الزنوج عندهم من علامات الجمال كبر الفم وغلظ الشفاه، وهذه في الأوساط الأخرى شيء قبيح، إذن فالبشاعة مما تختلف فيه الأنظار، فلو أن الحق مثّل طلع شجرة الزقوم بشيء بشع محدّد لحدّد البشاعة بشيء واحد، ولكنه حين قال{رؤوس الشياطين} يتوهمها الناس على اختلاف مذاهبهم، كل يتوهمها بالبشاعة التي تفزعه إذن ستتعدّد ألوان البشاعة، وما دامت تعدّدت ألوان البشاعة، يبقى هذا عين البيان"[2].

2-الأساليب الإنشائية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾

هنا نجد مفسرنا يعرضها على النحو التالي قائلا: " تفخيم بالإبهام، يعني عن أي شيء يتساءلون؟ هذا تفخيم بالإبهام على تعظيم المسؤول عنه، وحين يعظّم الحق المسؤول عنه، دلالة على أن ذلك أمر عظيم، حتى يقول الحق عنه أنه عظيم، لأن الإنسان منا قد يقول على الشيء عظيما، بمقتضى فهمه للعظمة ولكن الله حين يفخم شيئا ويعظمه، فتعظيمه على قدر علمه سبحانه وتعالى"[3].

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾

نجد الشيخ الشعراوي باسطا هذا المعنى بقوله: "كأن الله: استأمننا على أن يسأل هو ذلك السؤال لنجيب نحن، يبقى لم يقل خبرًا من عنده، جاء به على أسلوب الإنشاء، لكي يقول أنا أريد أن أسألك أنا لم أجعل الأرض مهادًا، فلماذا لا تؤمن بما أقوله؟ هذا إعلام، أنا لم أجعل الأرض مهادًا، لكنه أنا عملت الأرض مهادًا، لم يقل: جعلنا الأرض، فاستفهم الاستفهام كان يقدر يقول أجعلنا الأرض مهادًا؟ لكنه قال:{ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦}لأنك أنت عندما تسأل الولد الصغير، تقول له:يا ولد أنا أعطيتك كذا وكذا، لعلّ ذلك تلقين له

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، المرجع نفسه ،ج2 ص104

[2]- الشعراوي:المرجع نفسه، ج2 ص105 -

[3]- الشعراوي :المرجع نفسه، ج2 ص39

بالجواب تقول له: أنا لم أعطك كذا، يقول:لا شيخ أعطيتني، فيأتي الاستفهام بالنفي لكي يبقى أبعد ما يكون عن التهمة"[1].

ثم يقرّب المعنى أكثر فأكثر قائلا: "مثلا يقول لك واحد: أنت والله لم توف لي، تقول له صحيح أنا لم أصنع معك كذا، ولم أصنع ..ولم أصنع كذا وكذا، تجيء بالذي صنعته وتقرّره بالإثبات، تقول له: والله لك حق أصلا أنا لم أعمل معك كذا وكذا، لأنك واثق أنه حين تجيء بأسلوب النفي سيردك هو إلى أسلوب الإثبات، فالجواب كأنه أمر متيقن، يبقى لمّا يقول الحق، قَالَ تَعَالَىٰ:{أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا}يعنى كان من المعقول أن تتكروا قضية البعث إذا لم نكن صنعنا لكم مقدمات في حياتكم، مقدما تعجيبة تستلزم قدرتنا الفائقة تستلزم حكمتنا العالية، تستلزم رحمتنا الواسعة، فإذا كان الذي يحدّثكم رب قادر، حكيم رحيم وعمل هذه الأشياء كان من الواجب أنكم تستقبلون ما يقوله بالتصديق،لكن لو لم يكن عمل هذا، كان من المعقول أنكم تكذبون"[2].

3-الالتفات:

لقد اهتم الشيخ الشعراوي بأسلوب الالتفات، حيث أنه ذكره بنوعيه: الالتفات اللفظي والالتفات المعنوي، ففي قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ۝٥﴾ نراه يبسطه قائلا:"لأن إياك تدل على الذات فكأن الذات هي ملحظ الصفاء العبادي،الذات المقصود الأول، وبذلك تختلف مقامات الناس"[3].

ثم يوضحّ ذلك بمثال فيقول:"مثلا المحمديون ربنا يقول لهم :{أذكروني أذكركم}..إنما بنو إسرائيل لم يقل لهم هكذا، قال لهم {أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم}حتى الماديون فيهم، عندهم كل غيب إن لم يأت بمادة لا ينفع، يقول لهم{اذكروا نعمتي} إنما المحمديون يقول لكم{اذكروني أذكركم}..وكأن موسى عليه السلام أيضا في مقام غير المقام المحمدي ..أنظر إلى قول الله سبحانه وتعالى حكاية عن هذا وعن هذا..{لا تحزن إن الله معنا}أنظر فين جاءت المعيّة بعدين ..ماذا قال سيدنا موسى قال في هذه؟ {قال كلا إن معي ربي سيهدين}حتى المعيّة هنا متقدمة ..الرسول عليه الصلاة والسلام قال{لا تحزن

---

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ج2 ص52

[2]- الشعراوي: المرجع نفسه، ج2 ص53

[3]- الشعراوي: المرجع نفسه، ص32-31

إن الله معنا} استحضار الذات أولا ثم المعية شيء ثان...سيدنا موسى قال {إن معي ربي سيهدين}..إذن ففي قوله {إِيَّاكَ} استحضار للذات"[1].

بعدها انتقل الشيخ إلى الحديث عن الالتفات اللفظي فقال: "الالتفات اللفظي، عندنا أنواع الضمائر ثلاثة: ضمير الغيبة، ضمير الخطاب، ضمير التكلم، أما الخطاب والتكلم فقرينة التعريف فيها الحضور الحسن أنا أتكلم الآن، أبقى معرفة لك أم لا ؟ وأنت مخاطبي، تبقى معرفة أم لا ؟ قرينة الخطاب والتكلم لا تجعلني أقول هو، عندما أكون أكلمك لا أنت مجهول لي ولا أنا مجهول لك، يبقى قرينته معروف، إنما الغيبة هي قرينته لكي يستحضر في الذهن ما دام غائبا، المتكلم والمخاطب حاضرون أما الغائب ليس حاضرا، ولذلك قرينة الغائب مرجع الضمير و إلا الضمير سيبقى مبهما، دون مرجعه، يبقى مبهما"[2].

ثم يورد مثالا لزيادة التوضيح كما عوّدنا دائما، فقال:"مثلا لقيني زيد فأكرمته(الهاء) هذه ضمير غائب، مفتاحه زيد، قلنا.. إن الضمير يرجع مرة إلى ذات المذكور، ومرة يرجع إلى فرد مثله، عندما نقول لقيت زيدًا فأكرمته، يبقى هو زيد الذي أكرمته نفسه، إنما تصدّقت بدرهم ونصفه، أنا لم آخذ الدرهم ثانيا من السائل وقسّمته نصفين وأعطيته نصفه، الدرهم الذي أخذه السائل أخذه وانتهينا، ثم أحضرت مثل هذا الدرهم في القيمة وأعطيته نصفه يبقى لم يعد على الرجع، عاد على فرد مثل المرجع، ومرّة يعود على بعض المرجع"[3].

وبعد ذلك نراه يوضح ذلك بقوله:"واستدللنا على ذلك بقوله سبحانه وتعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ فاطر: ١١ من هو المعمر؟ المعمر الذات التي يثبت لها التعمير، فإذا كانت ذاتا ثبت لها التعمير أيقدر الله أن ينقص من عمره؟وصل مئة يقدر ربنا أن يميته في سن العشرين؟ يبقى كان المرجع ما يعمر من معمر وما ينقص من عمر ذات لم يثبت لها التعمير.. يبقى معمر ذات وثبت لها التعمير أعدنا الضمير على الذات بصرف النظر عمن ثبت

[1]– الشعراوي :المنتخب من تفسير القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص32

[2]– الشعراوي : المرجع نفسه، ج2 ص32

[3]– الشعراوي: المرجع نفسه، ج2 ص33

لها التعمير، يبقى أعدناه على جزء مرجعه، لأننا لو أعدناه على مرجعه يبقى فيه حال، إذن عندنا كم حالة؟ خطاب، غيبة، تكلم.. والاسم الظاهر من قبيل الغيبة، حينها نقول يا زيد الكريم العالم، يدل على أنه لا مخاطبا ولا متكلما، وأنه غائب هنا في السورة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۝٢﴾ ظاهر { رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ }ظاهر ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ ظاهر ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ كل هذا غائب أم لا ؟ كان المفروض أن نقول: إياه نعبد لكن الحق قال{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}... نقلة كبيرة...لأن الإيمان بالغيب نهايته إيمان الشهادة، فكأنه حين آمن بالغيب،عبّر بألفاظ غيب..عقب كله وبعد ذلك استحضر ألفاظ الغيب هذه، حتى صارت مشهدا يخاطب، فآمن به كأنه يراه، إذن انتقل من مرتبة القالب، الإسلام...ومرتبة القول بالإيمان، إلى منطقة نور الإحسان...(أعبد الله كأنك تراه) وما دام تراه يبقى موضع الخطاب، فيقول{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}"[1].

4-المشاكلة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝١٧﴾

نجد مفسرنا يحلّلها كما سنبيّن:"هنا عمليتان: عملية الكيد منهم، وبعد ذلك الكيد الذي قال الله عنه، حينما نجد لفظا أطلق ونسبه الله لنفسه، مما لا يستسيغ فكرك أن ينسب إلى الله مثل ذلك، الله يكيد، الله يمكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾ النمل: ٥٠ يسمونه في الأداء البياني المشاكلة"[2].

ومن ثم نجده يعرّفها بقوله:" أن تأتي بلفظ، هذا يدل على معنى، هذا المعنى ليس هو عطاء اللفظ لغة، لكنه جاء بهذا لوقوعه في صحبة غيره"[3].

و بعد ذلك نراه يحلّلها من خلال بسط مثال قرآني في هذا المقام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۝٤٠﴾

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ج2 ص33

[2]- الشعراوي: المرجع نفسه ، ج2 ص212

[3]- الشعراوي :المرجع نفسه ، ج2 ص212

"وهل أنت لما تجازى صاحب السيئة.. تبقى سيئة؟ لا تكون سيئة، أنت لما تجازى صاحب السيئة على سيئته، تبقى حسنة إنما سميت سيئة لوقوعها في صحبة السيئة الأولى، فكان يقول له: إن كنت قد أسئت بفعلك هذا فنحن لمّا نعاقبك على ذلك نسيء إليك، يبقى إن كنت عملت فينا سيئة، تقصد أن تسوءنا، يبقى نحن لمّا نعاقبك يبقى لسوئك تبقى، إذن أصبحت سيئة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ النحل: ١٢٦

هو احتيال على إيذاء الخصم لم تقدر على إيذائه بالمواجهة، فتدبر له مكائد، معنى تدبير المكائد أولا: إثبات لعجز الماكر، لأنه لو عنده قوة لا يذهب إلى المكيدة كان يواجهه، لذلك نجد المكر عادة الضعاف، ولذلك يقولون إن الضعيف حين يملك فرصة يبقى جبارا، لماذا لأن هذه هي الفرصة الوحيدة، التي تمكّن منها، لكن القوي لمّا يملك فرصة يعفو ويقول: لمّا أريده في أي وقت أحضره، وأعطى له على دماغه، إنما الضعيف الذي مكّنته الفرصة من رقبة خصمه يقول: سأجهز عليه لأنني لو لم أجهز عليه الآن، فليس عندي فرصة أخرى وسيقتلني هو، وذلك لمّا تنبّه الشاعر إلى هذه اللقطة قال:

و ضعيـــفة فإذا أصـــابت فرصـــــة قتلـــت كذلك قدرة الضعفـــاء"[1]

ثانيا – اعتماده على النحو:

لقد اعتمد مفسرنا على النحو في العديد من المواضع، وذلك أن النحو يحتفي بالمعنى، والنحو خادم للمعنى وتابع له.

وسنعرض إلى جانب اعتماده على النحو في التفسير من خلال ما يأتي:

1-اهتمامه بإعراب ما يراه بحاجة إلى إعراب،و يخدم المعنى:

لقد أدرك الشعراوي قيمة الإعراب، وأهميته في تقريب المعنى، فأعرب الكثير من ألفاظ القرآن، إيمانا منه أن إعراب هذه الألفاظ خدمة للتفسير، وتبدو عنايته بالمعنى في إعرابه في مواضع كثيرة منها:

-حينما نستعرض قول الله سبحانه وتعالى ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ النحل: ١، يقول الشيخ : " {أتى } هذه فعل ماض، ولا تستعجلوه يدل على

[1]- االشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم ،ج2 ص213

أنه لم يأت، فكيف يكون ماضيا؟لأنه بالنسبة لله ما دام قال{أتى} يبقى{آتى} لأنه ليس عنده شيء مستقبل، كذلك من علامات النبوة الحق سبحانه وتعالى أعلم نبيّه بما يكون من أمر هذه الدعوة المضطهدة في داعيها، وفي أتباعها، والمضيق عليهم والذين يحسرونهم في شعب ويمنعون أن يتاجروا معهم، أو أن يصاهروهم أو أن تكون بينهم أية علاقة، قوم يتحكمون في المسلمين لم تكن هناك بارقة أمل توحي بأنه ستجيء عملية لتغيّر المقاييس، فحين يقول له في ذلك الظرف الضيق، الذي ليس فيه بارقة أمل،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

لا يمكن لمحمد لأن يقامر بدعوته، بأنه يقول كلاما من عنده ويقول {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ} ثم لا يجيء فهو لا يقولها إلا وهو واثق من أن ذلك وحي من الله وأن الذي قال له ذلك هو القادر على أن يأتي بالأحداث على وفق ما أخبر، ولا يمكن لقوة أن تفعل ذلك.

فإذا قال رسول الله{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } وأصبحت قرآنا يتلى، وقرآنا يتعبد بتلاوته، فكأنما سجّل على نفسه ذلك، ولا يمكن أن يسّجل على نفسه شيئا لا تحققه الأحداث، وإلا انهارت الدعوة كلها، وانهار الداعي، مثلما قال سيدنا عمر قال:(ما كنت أعرف قَالَ تَعَالَىٰ:﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥﴾ القمر: ٤٥

أي جمع هذا؟ ما كان يأتي على باله أنه سيلتقي بالكافرين الواقفين عصبة قوية ويمنعون الدعوة، وبعد ذلك يسأل نفسه أي جمع هذا ؟ حتى أن جاء يوم بدر ويقول الرسول:{سيهزم الجمع ويولون الدبر} فعلمت أن المعنى كان ذلك (سيهزم) بالسين الاستقبالية، إذن الذي قال هو الذي يخضع الأشياء لحكمه، فهذا إعلام منه بأمر المستقبل"[1].

[1]– الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ج3 ص95

2-بيانه لبعض الجوانب النحوية:

أ- في معرض تفسيره لسورة النازعات تعرض لقوله تعالى،﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴿٢﴾ تعالى قال تعالى.

قال مفسرنا:" أي من ذنب أمتك، مثلا يريدون أن يتخلّصوا من هذه الحكاية واحد آخر، قال لا (ذنبك) هذه مصدر، المصادر لها لونان في الاستعمال: مرّة يضاف المصدر إلى فاعله، ومرّة يضاف إلى مفعوله"[1].

ثم يضرب لنا مثلا لتوضيح المعنى، فيقول:" لما ترى واحد ضربه واحد وورم وجهه فتقول له: ضرك ضربا أليما ما معنى ضربك؟ يعنى يا مضروب، الضرب الذي وقع عليك، يبقى المصدر أضيف إلى المفعول"[2].

ثم يستطرد قائلا:" لما ترى واحدا قسا في ضرب واحد، تقول له: يا أخي ضربك ضربًا موجعًا يبقى إضافته إلى الفاعل لمّا تقول: أكلك دسم، وتقول أكلك نهم، هذا للمأكول، وهذا للأكل،(ذنب) مصدر الكاف هذه هي للمفعول أو الفاعل على طريقة استعمال المصادر؟ ذنبك إن كان مضافا للفاعل، يبقى ذنبك أي الذنب الذي وقع منك وأنت فاعله،وإن كان المفعول، يبقى الذنب الذي صدر من الغير ووقع عليك،كيف؟ كانوا يؤذون رسول الله، ويقولوا كاذب، ومفترى وقطع رحمه وقطع صلة قومه.. كل هذه كانت ذنوب على رسول لله – صلى لله عليه وسلم- فقال له:أنا فتحت لك مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وارتحت من الذنوب التي كانت ترمى عليك والكل الآن أصبح مسلما، فالذين كانوا يقولون أنك سببت آلهتنا أصبحوا يؤمنون بالله.. إذن أصبح الذنب الذي قبل ذلك مغفور أو غير مغفور؟

إذن (ليغفر) ليستر لك الذنب الذي وقع عليك من هؤلاء، لم تعد هنالك أسباب تجعلها ذنوبا في نظرهم وبإيمانهم ودخولهم في دين لله أفواجا، أصبح كل أمر يأتي بعد ذلك لا ذنب لك فيه ولذلك هذا هو المناسب للفتح، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾﴾ الفتح: ١ – ٢

---

[1]- الشعراوي : المنتخب من تفسير القرآن الكريم ، ج2 ص143

[2]- الشعراوي: المرجع نفسه، ج2 ص 143

يبقى لازم الغفران هنا له علاقة بالفتح دخل الناس أفواجا، فالذين كانوا يقولون عنه كذا ويحملونه أنه مفتري، إذن هذا الذنب محي من عندهم، وبعد ذلك لن يقال"[1].

ومن ثم نجده يوضح المعنى قائلا: "إذن فعلاقة غفر الذنب قبل وبعد الفتح يعطينا السببية يعطينا العلة والمعلولية، فإذن فـ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾

هذا الفتح الذي دخل فيه الناس أفواجا إلى دين الله، فقد قضى على كل خصومك، وأعدائك، الذنوب التي كانوا يحمِّلونك إياها أنت فاعلها، انتهت ولم تعد ذنوبا، ولن تُعَدّ بعد ذلك ذنوبا{ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا} يكون سياقا أسلوبيا جميلا، سياق تقدم السبب وتأخر المسبّب، وتقدم العلة وتأخر المعلول"[2].

ب- وفي موضع آخر نجد الشيخ الشعراوي يبسط قضية نحوية في قوله تعالى:

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ ﴾ هنا نجد مفسرنا يبسط هذا الأمر قائلا:"يعنى ما كان يجب عليهم أن يتساءلوا لأن ذلك أمر من الوضوح بمكان"[3] ويواصل شرحه ثم يقول "ومادة التساؤل غير مادة سأل...سأل تقتضى فاعلا...سألت فلانا عن كذا تقتضي فاعلا، وتقتضي مفعولا يقع عليه السؤال، لكن تساؤل يجمع الأمرين معا، تسأل القوم أي أن كل واحد منهم صار سائلا مرة، و مسؤول مرة أخرى، فهو إذن فاعل ومفعول معا، نقول مثلا: قتل فلان زيدًا، فالقتل واقع من فلان والمقتول هو زيد، لكن تقاتل فلان وفلان، فكأن القتل متبادل هذا فاعل للقتل مرة ، وهذا مفعول له وذلك المفعول فاعل للقتل مرة وذلك مفعول له، مثلا تشارك زيد وعمرو، في زيد فاعلية ومفعولية، وفي عمرو أيضا فاعلية ومفعولية وشارك زيد عمرا، نعرف زيدا فاعلا وعمرا مفعولا.. نقول:لا هذه هي إعراب لصنعة ولكن زيد الذي شارك الفاعل هو المفعول أيضا، وعمرو مع كونه مفعولا في النص إنما هو فاعل أيضا، فكأن كل واحد من الفاعل والمفعول يتوردان هذا يكون مفعول مرة، وهذا فاعل مرة أخرى، ولكن لصنعة غلبت جانب الفاعل في واحد وغلبت جانب المفعول في واحد، ولذلك يأتي النحاة في كثير من الأشياء يقولون مثلا:

---

[1]- الشعراوي: المرجع نفسه، ج2 ص144

[2]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم ، ج2 ص144

[3]- الشعراوي: المرجع نفسه، ج2 /42

قد سالم الحيـــــــات منه القدم الأفعوان والشجـــاع القشـــــعم"[1]

ويزيد الشيخ في التوضيح لزيادة الفهم قائلا:"يحكى عن رجل يسير في مكان فيه أفاعي، لا الأفاعي أهاجت الرجل فلدغته، ولا هو أهاج الأفاعي، فداس عليها أو وطأها أو عذّبها، حصلت مسالمة بين الحيات والقدم قد سالم الحيات منه القدم، كلمة سالم فاعل مفاعلة، يعنى هذه فاعل وهذه مفعول، فلما جاء ليأتي بالبدل من الحيات قال: الأفعوان والشجاع القشعم، القصيدة ميمية منصوبة والأفعوان هذه بدل من الحيات والقشعم وصف لها، كيف يبدل المنصوب من المرفوع هي: قد سالم الحيات منه القدم، فلما جاء بالبدل كان المفروض أن يقول :الأفعوان والشجاع القشعم، لكن القصيدة منصوبة، يبقى إذن لاحظ ما في الحيات مع كونها فاعل ما فيها من المفعولية، إذن فهي وإن كانت فاعلا في اللفظ، إلا أنها مفعول أيضا في المعنى، ففيها فاعل وفيها مفعول، فلما جاء بالبدل هو حرّ أن يأتي بالبدل من المرفوع مرفوعاً أو أن يأتي به منصوبا، لما فيه من نية المفعولية.

إذن ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ كأنهم يتساءلون فيما بينهم سؤال إنكار واستهزاء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾

إذا كانوا يتساءلون ويعطي كل واحد منهم سؤالا على الآخر سؤال إنكار"[2].

ثالثا-الاستنتاج:

من خلال ما تقدّم يتضح لنا جليا عناية صاحب الخواطر بعلوم اللغة خاصة الجانب النحوي والبلاغي منها، فقد استخدم وسائل إجرائية في الكشف عن المعاني القرآنية، باستخدام النحو تارة وباستخدام البلاغة تارة أخرى، وباستخدامهما معا في بعض الأحيان، ومنه نستطيع القول أن إقامة المعاني وتثبيتها عند الشعراوي، تقوم على أساسين لا ينفك أحدهما عن الآخر، وهما النحو والبلاغة، ولا شك أن المعاني النحوية هي أرواح في البنية التركيبية، وهي تمثل الهيكل العظمي الثابت والأساس الذي تقوم عليه المعاني البلاغية المتغيّرة، وكما لا يمكن فصل العظام عن اللحم في خلق الإنسان، فكذلك لا يمكن فصل النحو(التركيب الثابت) عن البلاغة(التركيب المتغيّر) فالعلاقة بينهما وثيقة ووطيدة ومؤكدة.

---

[1]- الشعراوي:المرجع نفسه ، ج2 /43

[2]- االشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم ، ج2 /43

يقول الدكتور جعفر دك الباب في نظرية الإمام عبد القاهر الجرجاني:" وأكَّد الوظيفة البلاغية التي تؤديها اللغة، ودعا إلى عدم فصل البلاغة عن النحو، فكان كتابه دلائل الإعجاز بداية مرحلة جديدة في تاريخ علوم اللغة العربية هي مرحلة تأكيد الوظيفة الإبلاغية للغة عن طريق ربط النحو بالبلاغة.."[1].

وفي بيان مبدأ العلاقة بين النحو والبلاغة، يقول الإمام الجرجاني:"واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها"[2].

ومن ثمّ فإن الدارس المتتبع لتفسير الشعراوي، يجد أنه اعتمد على اللغة اعتمادا أساسياً في تفسيره للقرآن، ولا سيما أن تخصصه ودراسته الأولى كانت في اللغة العربية من جامعة الأزهر الشريف، ولا نبالغ حين نقول: إنّ من أهم أسباب تميّز الشيخ الشعراوي– رحمه الله– هو علمه ونبوغه في اللغة العربية وعلومها، وتسخير هذه العلوم لتفسير كتاب الله تعالى، وفهم معانيه.

المطلب الثالث :أثر القراءات في البيان عند الشعراوي

إن القرآن الكريم والقراءات القرآنية حقيقتان متغايرتان، فالقرآن الكريم: "هو كلام الله المعجز المنزّل على سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم – بواسطة الوحي، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس"[3].

بينما القراءات القرآنية:"هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف أو تثقيل أو غيرهما"[4].

وقد صحّ عند العلماء تواتر سبع قراءات واختلفوا في الثلاثة تكملة للعشر قراءات وهي برغم تعدّدها لا تخرج عن السبعة وجوه التالية:

1–الاختلاف في وجوه الإعراب سواء تغير معنى أم لم يتغير.

[1]- جعفر دك الباب،النظرية اللغوية العربية الحديثة،إتحاد الكتاب العرب، دمشق،ص152
[2]- الجرجاني: عبد القاهر،دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص64
[3]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، المرجع السابق،ج1 /318
[4]- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ،المرجع نفسه، ج318/1

2- الاختلاف في النقط .

3-اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث.

4-الاختلاف بإبدال كلمة يغلب أن تكون أحدهما مرادفة للأخرى، وإنما تتفاوت بجريان اللسان لدى قبيلة دون أخرى.

5-الاختلاف بالتقديم والتأخير بما يعرف في لسان العرب.

6-الاختلاف بشيء يسير من الزيادة والنقصان جريا على عادة العرب في الحذف والإثبات لأدوات الجر والعطف.

7-اختلاف اللهجات في الفتح والإمالة والتدقيق والتفخيم والهمز والتسهيل، وكسر حروف المضارعة، وإشباع ميم الذكور، وإشمام بعض الحركات.

وهذه الوجوه السبعة تستقصي كل اختلاف في أداء القراءات، ولا يعنى ذلك وجوب التزام هذه الأوجه السبعة في الكلمة الواحدة.

هناك ضوابط لقبول القراءة هي:

*صحة إسنادها إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم-

*موافقة القراءة لرسم إحدى المصاحف العثمانية.

*موافقة العربية، ولو بوجه من الوجوه.

وإن الناظر المتتبع لتفسير الشيخ الشعراوي*رحمه الله*يجده مهتما بالقراءات القرآنية و يظهر لنا هذا الاهتمام من خلال تعرضه لها في سور منها على سبيل المثال:

- نجده يبيّن أن قراءة القرآن توقيفية، والقراءات لا تخرج عن التوقيفية، وإنه لا يصح لأحد أن يقرأ القرآن بحسب ما يراه، إن كانت صورة الكلمة تقبل ذلك، وتتسع له"[1].
- نراه يعدّد أركان وشروط القراءة الصحيحة بما يتوافق مع ما ذكرناه سابقا من شروط العلماء في قبول القراءة هذه، ويُتْبعها بذكر ما نظمه صاحب طيبة النشر في هذه الضوابط قائلا:

"وكل ما وافق وجـــــــه وكان للرسم احتمالا يحوي

وصح إسناداً فهو القرآن فهذه الثلاثة الأركان"[2]

[1]- رولى محسن:منهج الشعراوي في تفسير القرآن الكريم، رسالة دكتوراء،الأردن،2000،ص61

[2]- رولى محسن، منهج الشيخ الشعراوي في التفسير، المرجع السابق، ص61

- يشير إلى القراءة القرآنية في بعض الكلمات، ولا يلتزم بذلك في جميع الكلمات التي تتعدّد فيها القراءات، مع بيان الفروق بين القراءات في الضبط والمعنى، وتأثيره على المعنى العام للآية، ونجده في هذه الإشارة يذكر القراءة دون الإشارة إلى قارئها، ومثاله:قوله عند تفسيره للآية الكريمة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾

على أن ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ لها قراءتان:{مالك يوم الدين}،و{ملك يوم الدين} والقراءاتان صحيحتان.

قال مفسرنا:"حينما نأتي إلى{مالك يوم الدين}نجد أن عندنا صفة مالك، ومملوك مضاف إلى شيء آخر، المالك هو الله،والمملوك هو اليوم المضاف للدين.. هنا القراءات في القرآن، وردت مرة قراءة {ملك}..مالك يوم الدين{..وملك يوم الدين}.. فطبعاً المفسرون أرادوا أن يأخذوا ما هو الخلاف بين القراءتين ؟..لأن مظاهر التصرّف، والتسلط، لا تخلو من أمرين: واحد يملكها لأنه مالك، أو واحد يتملكها لأنه ملك، لأن المالك متصرف والملك فيه تصرف أم ليس فيه تصرف؟ إن كان الملك بالمعنى الحقيقي، فإنه لا تصرف له في ملك الناس للأشياء، كل واحد يملك لا يتصرف الملك في ملكه، إنما تصرفه كله إنما جاء للمحافظة على ما يملك الناس ..لا يتصرف في ملك أحد، إنما عمله أن يثبت ذلك الملك وأن يحافظ عليه، ولذلك قالوا أن قوام الحكومة في الإسلام أنها تحافظ على خمسة أشياء للناس: الدين، النفس، العقل، النسل، والمال، إذن مهمة الحاكم أو الوالي في الإسلام أن يحافظ على هذه الأشياء للناس"[1].

وبعدها نراه يوضح العلاقة بين مقاصد الشريعة وصلاحية الحاكم في المحافظة عليها بقوله:" إذن الأشياء الخمسة هذه هي الأساس، فكأن مهمة الملك رمز الحكومة أنه ما جاء ليتصرف في مال الناس، وإنما جاء ليحافظ للناس على مالهم، سواء كان ما يتعلق بدينهم، أو ما يتعلق بنفسهم، أما يتعلق بعقلهم، أو ما يتعلق بنسلهم، أو ما يتعلق بمالهم.

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم ،ج2 ص21 [1]

إذن فلو نظرنا إلى ذلك وجدنا أن{ملك}..لأن المالك حرّ يعطي إنما {الملك} ليس حرّا، لأنه لا يأخذ من أحد ليعطيه لأحد، إذن فالذي نظر إلى قراءة {مالك} نظر نظرة، والذي نظر إلى قراءة {ملك} ينظر نظرة "[1].

ومن ثم نجده يعرض الفرق المعنوي بين القراءتين:"{ملك} يعني مطلق التصرف في المالكين، يتصرف في المالكين {مالك} يتصرف فيما يملكه.. إذن هذه نظرة، وهذه نظرة، وبعد ذلك جاءوا وقالوا:لا..إن {ملك} تعطي أبلغية أكثر بدليل أن الحق سبحانه وتعالى سيقول يوم القيامة ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ غافر: ١٦

يقول آخر لا..حينما أراد أن يبالغ في ذلك قال {مالك الملك} فكأن الملك دخل في حياطة الملكية، ولم تدخل الملكية في حياطة الملك"[2].

ثم يعقّب قائلا: "إذن هذه القراءة تعطي معنى، وهذه القراءة تعطي معنى، فإذا كان الحق مالكا وملكاً.. مع بعضها ولذلك جمعهما الاثنين في{مالك الملك} أوعى تعتقد أن فيه ملك ولا يملك..فيه ملك لا يملك ،إنما هو مالك الملك يبقى واخذ السيطرتين ..هو قال {ملك يوم الدين} يوم الدين أمر لم يجيء بعد، فكيف يقال أنه مالك أو ملك لأمر لم يحدث؟.

نقول: أمر يحدث أو لا يحدث، هذا في كلام الذي لا يقدر على أن يأتي المستقبل على وفق ما نريد، إنما الذي يملك أن يأتي المستقبل على وفق ما يريده، فليس عنده لزمان مدلول، لأن الزمن له مدلول عند من ؟ عند الذي يقول في ذلك الظرف أمر لا يملكه، في ظرف آخر"[3].

ثم نراه يستدل على معناها من آية أخرى لتأكيد الفهم قائلا:" لذلك نجد الحق سبحانه وتعالى يطلق إطلاقات في القرآن نفهم منها هذا المعنى، فمثلا يقول الحق سبحانه وتعالى في أول سورة النحل، قَالَ تَعَالَى:﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾ النحل: ١ ظاهر الأسلوب أنه حينما قال أتى أمر الله على ما نعرف من اللغة، وأتى فعل ماض وقع مدلوله قبل التكلم، فإذا كان قد أتى فكيف يقول: فلا تستعجلوه ؟..لما يقول فلا

[1]- الشعراوي:المرجع نفسه ، ج2 ص22

[2]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم ،ج2 ص22

[3]- الشعراوي: المرجع نفسه،ج2 ص22

تستعجلوه؟ الأمر لم يأت بعد، يبقى كأنه أتى ولم يأت.. يبقى { أتى أمر الله } تدل على أنه جاء،{ فلا تستعجلوه } يدل على أنه لم يجيء، إذن في الكلام شبه تعارض"[1].

ثم يبيّن المعنى الأصح في نظره قائلا: "نقول: هذا هو الكلام الذي نقول عليه، الزمان بالنسبة للحق ما يحكموش، لماذا ما يحكموش..لأن قدرته موهوبة من الغير ، إنما يقول هذا الكلام الذي قدرته موهوبة من الغير..أتظل هبته للقدرة بأن أفعل أو لا تظل، إنما الذي قدرته ذاتية سواء عندما يجيء وما جاء، كله بالنسبة إليه واحد، فحين يقول {مالك يوم الدين}يكون كلاما حقا لأن قدرته ذاتية"[2].

بعد ذلك يعرض وجهة نظر أخرى، بقوله:"يقول واحد:{مالك يوم الدين} واليوم زمن، فكيف يملك الزمن؟.اليوم ظرف زمان، ومن الجائز في ظرف المكان أن يتملّك، أما ظرف الزمان فكيف يتملّك؟ن قول: الظرف مراد به مظروفه، يعني مالك الأمور في يوم الدين، أو أنه مالك اليوم نفسه، لأن تحديد ميعاده، وتحديد ظهوره ملك له، فكأنه مالك أيضا لليوم، ولذلك مخفية عنا الساعة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ الأعراف: ١٨٧.

فما دام يجلي هذا اليوم في أي وقت يشاء، يبقى كأن الزمن ليس خاضعا لدورة فلك كما نعرف، وإنما خاضعا لإرادته، يريد أن ينهي أو لا ينهي.. إذن {ملك يوم الدين}"[3].

ومن ثم نراه يستفيض في التحليل والشرح، بقوله: "وعلى هذا جاء الخلاف بين علماء الكلام في مسألة صفة الذات، وصفة الفعل..صفة الذات الله حي مثلا، قيوم؟ إنما صفة الفعل الخالق الرزاق، ألا يوصف بخالق ورزاق إلا بعد أن خلق ورزق، وقبل أن يخلق ويرزق لم يكن موصوفا بالخالق والرزاق؟ فالذي يقول إن صفات الأفعال تتأخر إلى أن يأتي الفعل الذي يفعله فيتصف بها، نقول له: ولكن المحقق عنده والقدرة عليه ثابتة فيه ..عندما نقول: فلان شاعر تعنى عنده ملكة الشعر، وإن لم يكن يقول شعرا الآن، ليس شاعرا بعدما عمل الشعر، إنما بشاعريته صنع أول شعر، علمت أنه شاعر متى؟عندما قال قصيدته، إنما كونه شاعرا في ذاته هذا قبل أن يوجد الشعر، ولو لم يكن خالقا بالذات من قبل أن يخلق ما استطاع أن يخلق.

---

[1]- الشعراوي: المرجع نفسه، ص23

[2]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم ، ص23

[3]- الشعراوي: المرجع نفسه ، ص23

إذن سواء كانت صفات ذات، أوصفات فعل، فهو سبحانه وتعالى متصف بها، أما متصف بها بالفعل كصفات الذات، وإما متصف بها بالقوة كصفات الأفعال"[1].

وبعد هذا التحليل نراه يقوم بإسقاطه على الآية قائلا: "هنا عندما يقول { مالك يوم الدين} اليوم يعرف عندنا في اللغة بأنه من مطلع الشمس إلى مغربها، وقال بعضهم لا..اليوم من الفجر الصادق إلى مغيب الشمس.. سواء كان هذا أو ذاك فمقابلة الليل، وورود اليوم في القرآن، يدل على هذا سيروا فيها ليالي وأياما يبقى إذن المراد باليوم ما يقابل الليل، لا باعتبار الاستقرائي التواضعي الموجود عندنا الآن، إن اليوم هو اللف24 ساعة وجزآه ليل ونهار..وهل معنى ذلك أن القيامة تقوم نهارا؟{مالك يوم الدين} تبقى القيامة ستقوم نهارا: قال القيامة تقوم نهارا وتقوم ليلا.. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الأعراف: ٩٨.

جمع الله بين البيات وبين الضحى، لأنها ستقع فيهما الاثنين، فكل وقت يوجد في الليل سيوجد فيه نهار، فالذي يقول إن القيامة ستقوم بالليل يبقى جائز..والذي يقول أنها ستقوم بالنهار يبقى جائز، فلماذا اختار اليوم وهو سمة النهار؟"[2].

وبعد ذلك أعطانا عصارة أفكاره المتألقة بجوابه البديع :" لأن يوم القيامة إنما يأتي بعد غيبوبة فناء للجميع، وبعد ذلك يأتي البعث..والغيبوبة أشبه بالنوم فكأنهم كانوا نياما فاستيقظوا، ولأنه يدل على أن ذلك يوم الجهد، ويوم الحركة، ويوم الصاخة وهذا أليق باليوم منه بالنهار، واليوم إذا نسب إلى الحق يتجرّد عن معناه الزمني، فإذا قال الحق سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام..ليس معنى ذلك أن علاج الخلق أخذ من أول الستة أيام إلى نهاية الستة أيام مشمولا بهذه الحكاية، لأن أوامره للأشياء {كن فيكون} ليس لها زمن، ولكن ما هي الستة أيام؟..فرق بين أن تقول أنا صنعت هذا القرص من الجبن في ست ساعات، ولكنك جئت بالأدوات اللبن والخميرة ووضعتها في لحظة، ثم تركته لتفاعله الكوني، إذن فكأن الحق لم يباشر الخلق في هذه المدة، وإنما أودع في كل شيء خصائصه وتركه يتفاعل تفاعله فأخذ الزمن، كما خلق الإنسان في

[1]- الشعراوي:المرجع نفسه ، ص24

[2]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم ، ص24

تسعة شهور..أودع الخصائص الخاصة في الجو المناسب، وبعد ذلك أخذت تتفاعل ..إذن لم يخلقنا في تسعة أشهر، إما خلقنا ب{كن} فكأن الحق حينما قال خلقها في ستة أيام، ليس معنى ذلك أن الستة أيام، الظرف كله علاج للحدث، لأن معنى أن يكون الظرف علاجا للحدث أن كل جزئية من الحدث تقابل جزئية من الزمان، وهذا هو العلاج، والله يعلمها بدون علاج..لله يعلمها {كن} فكأن عناصر السماء، أو عناصر الأرض الله يوضّح فيها الأشياء أو الأسرار الفعالة فيها، ثم يتركها تأخذ تفاعلها"[1].

وبعد ذلك نراه يسوق آية أخرى للاستدلال بها على هذا المعنى، قال :"وكذلك حينما يقول الحق سبحانه وتعالى﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ الرحمن: ٢٩.

يعنى كل يوم كل12 ساعة؟ كل نهار؟ انه في شأن دائما، قيوم، لا يمكن أن يترك عالمه بلا قيومية لحظة واحدة، ولذلك لما سئل بعض العلماء هذا السؤال: كل يوم هو في شأن، ما شأن ربك لأن وقد صحّ أن القلم قد جّف؟كل شيء انتهى؟ قالوا:أمور يبديها ولا يبتديها..فرق بين بداء وبين الإبتداء..الابتداء معالجة خلق، أما الإبداء الظهور"[2].

ثم نراه يورد مثالا لتقريب الفهم:"وإذا جئنا بعدما تقدم العلم وعرفنا مثلا الفلكيات وعرفنا وضع الأرض من المجموعة الشمسية، وعرفنا حقيقة دورتها حول نفسها وحول كذا، وحول كذا لعلمنا أن كلمة يوم بالنسبة للحق كل لحظة، لماذا؟ لأنه إذا كان اليوم في تحديدكم، الفرق بين طلوع الشمس وغروبها، فالشمس دائما طالعة غاربة..إذن ففي كل لحظة ينتهي يوم ويبدأ يوم، إذن عندما يقول {كل يوم هو في شأن} والمراد بيوم الآن، يعني كل آن هو في شأن، لماذا؟ لأني أفرض مثلا أن يوم هذا يبتدي من خمسة صباحا إلى خمسة مساء..خمسة ودقيقة يبتدي يوم ثان، وينتهي خمسة ودقيقة وقسم الدقيقة إلى ثوان وهكذا..إذن فكلمة يوم مدلولها موجود في كل لحظة، فحين يقول{كل يوم هو في شأن} يعني كل آن قيوميته دائمة..لا ينتهي الأذان لله ولا ثانية من الحياة..كل لفظ في الأذان لا ينتهي وكل فعل في العبادات لا ينتهي، يعني حين يقول المؤذن في مكان{الله أكبر} للفجر، يكون هناك مؤذن آخر يقول{الله أكبر}الثانية ومؤذن في ذلك الوقت يقول{أشهد أن لا إله إلا الله} ومؤذن غيره يقول{وأشهد أن محمد رسول الله} إذن فكلمة

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم ،المرجع نفسه، ص25

[2]- الشعراوي:المرجع نفسه، ص25

الآذان وكلمة العبادات موصولة دائما لا تنقطع، فالله مهتوف به الله اكبر..الله أكبر...في كل لحظة من لحظات النهار والليل، وكل عبادة من العبادات يصلى لله بها، فحين نصلي الفجر هنا الناس يصلون الظهر، وأناس يصلون العصر وغيرهم يصلون المغرب، آخرون يصلون العشاء"[1].

وبعد أن أفاض في التحليل والاستنباط نراه يرد على غلاة الصوفية، بقوله :"ولذلك نستطيع أن نفسّر بعض شطحات المجاذيب الذين يقولون: يازمن وفيك كل الزمن..إذن فقول الحق سبحانه وتعالى {مالك يوم الدين}..أليس هو مالك الأمور أيضا غير يوم الدين؟ قال: ولكن لمّا كان لمالك الملك صور ظاهرية في كون الله..بمعنى إننا نرى شخصا نسميه ملكا ونرى آخر ونسميه مالكا في ظواهر الأمور، هذا الظاهر في الآخرة حتى منتفي، إذن فالأمور إن كان لها ظاهر وباطن الآن، فلبعض الناس ملكا صوريا، أو ملكا صوريا، فانه في الآخرة لا توجد حتى هذه الصور الظاهرية، بل الأمر كله لله، ولذلك تتخلى الأسباب عن البشر، ومادامت تتخلى عن البشر،إذن كنا هنا نعيش بأسباب الله الممنوحة منه، في الآخرة لا يكون ذلك،ويبقى الملك ظاهرا وباطنا وما كان في الخفاء ظهر في القيامة..يبقى {مالك يوم الدين}على الحقيقة، وعلى كل شيء بحيث لا توجد صورة ظاهر لمالك أو ملك"[2].

ثم يستأنف قائلا:"هنا يوم الدين.. الدين هذا يطلق اطلاقات متعددة، هذه الاطلاقات عندما تكلّم العلماء عنها، قالوا: الدين يطلق أول ما يأتي عايزين الجزاء..الجزاء على ماذا؟ على الطاعة..الطاعة لماذا؟ لأمر الله..وما هو الذين يعبّر عنه ؟ أمر الله..للمناهج والشريعة..إذن عندي جزاء على طاعة، طاعة لماذا؟ لمنهج، إذن عناصرها ثلاثة، الجزاء والطاعة والمنهج..أما يوم الدين، فلماذا قال يوم الدين ولم يقل يوم القيامة؟ لأن للقيامة مظهر من مظاهر اليوم الأخر والقيامة حيث يقوم الناس من قبورهم، إنما مازال الحشر، والحساب المرور على الصراط، الجزاء فكأن الجزاء هو نهاية هذه الأشياء، فعبّر بالنهاية، لأننا نبعث لماذا؟ لكي نجازى، إذن هو الغاية، فالذي يقول الدين{يوم الدين} أو يوم الجزاء، عبّر عنه بدل يوم القيامة،لأن الجزاء هو الغاية من العبادات عند الغالب الأعم، وحتى بعضهم قال:عند الجميع حتى الذين يعبدون للذات أيضا جزاؤهم في أنهم كانوا

[1]- الشعراوي: المرجع نفسه، ص26

[2]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ص26

يعبدون للذات، فليكن جزاؤهم بالذات، والذي يعبد للنعمة يكون جزاؤه بالنعمة، فعلى قدر ما تكون عبادتك يكون جزاؤك، ولذلك نجد القرآن حينما تعرّض لهذه قال{فمن كان يرجو لقاء ربه}التنعم بالحضرة فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} أنت لا تريد النعيم، أنت تريد إلقاء الحق، كلمة النعيم، أيضا لا تضع الجنة في بالك ما دمت تريد اللقاء والتنعّم بالحضرة وبالذات، ولذلك نحن نسمي الدين في مظهره التشريعي، للناس يقولون أنه الإيثار والتحقيق أنه أثرة وأنانية، يعنى أنت حينما يكون معك مبلغا من المال، وتجد واحدا محتاجا وتؤثره على نفسك في ظاهر الأمر أنك أثرته، وحقيقة أنك تريد المكسب، ولكن من يدرك هذا المعنى..يدركها أصحاب الطموح ..إذن فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا يبقى يعبده لذاته..حمد لله،وحمدا لرب العالمين، وحمدا لرحمان الرحيم وحمدا لمالك يوم الدين..يبقى هو القسم الأول"[1].

من خلال ما سبق يمكننا القول أن حاصل القراءتين يدل على عظيم قدرته سبحانه وتعالى في تسيير الملك، وتدبير الأمور، واتضح لنا جليا مقدرة مفسرنا على تحليل كل قراءة واستنباط الفرق المعنوي بينهما، مما يدل على أثر اختلاف أوجه القراءة في اتساع المعاني .

وفي موضع آخر نجد مفسرنا يبسط أوجه القراءات في سورة النبأ قائلا:" قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ هنا نلاحظ أن{كذابا}هذه جاءت في موضعها تشدّد الكذب لم يقل: وكذبوا بآياتنا تكذيبا، أو وكذبوا بآياتنا كذبا، كل هذه لغات فيها، لماذا قال:{وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا} هنا في هذا البحث نجد أن كلمة{كذّابا}مصدر زمان مثل التكذيب ويقولون:إن هذه لغة اليمن، الرجل اليمنى سأل سؤالا في الحج فقال:أيهما أفضل الحلق أم القصار؟ يعنى الحلق أم التقصير، إذن فالفعال جاء بمعنى المصدر الذي هو التفعيل"[2].

ثم نجد مفسرنا يعرض الأوجه الأخرى للقراءة، قال:"قراءة أخرى{وكذبوا بآياتنا كِذَابا} والمرء ينفعه كذابه ، أيضا موجودة.

[1]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ص27
[2]- الشعراوي: المرجع نفسه، ص81

وجاءت قراءة ثالثة { وكذبوا بآياتنا كُذابا}جمع كاذب مثل فساق جمع فاسق، لماذا لأنك كون تقول:كذب فلان فلانا، تكذيب فلان لفلان لا يجعلك تلقي اللائمة على من كذب، لأن من الجائز أنه يكون صادقا في التكذيب هذا"[1]، وبعد عرضه للقراءات نجده يستفيض في الشرح والتحليل: قال"واحد قال خبرا أمامك، فأنت كذبته في الخبر،أليس من الجائز أن يكون تكذيبك هذا صح، بقي أن نقول كذبوا بآياتنا، وهل صدقوا في ذلك أم كذبوا؟ لا..كذبوا ثم ترك مصدرها لنفهمها، وبعدين قال:{وكذبوا بآياتنا كذابا}لأنه تكذيب شيء لشيء لا يعنى أن المكذب صادق، يصح أن تكون أنت صادق في تكذيبه، فقال:لا هم غير صادقين، هم كذبوا، يبقى مصدرها مكذوب تكذيبا ولم يصدقوا في ذلك بل كذبوا في ذلك التكذيب كذابا، يبقى راجعة لفعل غير المذكور، يبقى بالمصدر المذكور محذوف، كأنه قال كذبوا تكذيبا، وهل هم محقون في ذلك التكذيب؟ هب أنك كذبت من أتى بخبر كاذب هل تذم على هذه ؟لا ..كذبوا بآياتنا وكذبوا في ذلك كذبا، يبقى أنا أريد حاجتين :أنه أخبر بأنهم كذبوا بآيات الله ، ثم حكم على تكذيبهم بأنهم كذبوا، يبقى هنا حاجة يسمونها في اللغة احتباك فنقول : وكذبوا بآياتنا تكذيبا، وكذبوا في ذلك كذبا أوكذابا، جاء بفعل من الأول وترك المصدر، وجاء بالمصدر الثاني وترك الفعل، قال:وكذبوا هذا هو الفعل لكنه لو يأتي بتكذيب، وفي الثانية أتى بالمصدر ولم يأت بالفعل فحذف من كل شيء ما يقابله من الآخر، وهذا ما يسمونه بالإحتباك"[2].

وبعد ذلك نجده يسوق مثال آخر ليستدل به على قضية الاحتباك البلاغية في قوله تعالى ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣.

وبعد ذلك نجده يعرّف لنا هاته القضية البلاغية المسماة بالإحتباك بقوله:" وهو أن يكون عندك جملتان اثنتان كل جملة لها ركنان، فتحذف من الجملة الأولى ركنا، وتحذف

[1]- الشعراوي: المرجع نفسه، ص81

[2]- الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ص83

من الجملة الثانية ركنا، لكن الركن المحذوف في الثانية دليل له في الأولى والمحذوف في الأولى فيه دليل له في الثانية"[1].

ثم يعود لشرح الآية السابقة بقوله:" {وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا} ونحن نعلم أن الكذب عدم مطابقة الكلام للواقع ،لأنه لمّا يتكلم الإنسان بأي نسبة من النسب لنسبة الكلامية التي لم ينطق بها إلا بعد أن دارت في ذهنه، وكانت نسبة ذهنية،فإن كان لها واقع قبل الكلام، وقبل التفكير نسميها خبرا وإن كان واقعها يأتي بعد الكلام نسميها إنشاء،إذا قلت : زيد مجتهد قبل أن تنطق بهذه الكلمة، وجد زيد، وهو موصوف بأنه مجتهد سواء نطقت بالنسبة أو لم تنطق، لكن لما تقول له اجتهد يا زيد ،فالاجتهاد واقع بعد النسبة الكلامية لكن الاجتهاد واقع قبل النسبة الكلامية فإذا قلت النسبة الكلامية مطابقة للواقع يبقى هذا صدق وإن كانت مخالفة للواقع يبقى هذا كذب"[2].

من خلال ما سبق يمكننا القول أن كل قراءة دلّت على معنى، إذ أن كل قراءة زادت معنى جديدا لم تبيّنه أو توضحه القراءة الأخرى، من غير تناقض أو تباين، وعلى هذا فقد اتسعت المعاني بتعدد القراءات، إذ كل قراءة بمقام آية، وفي ذلك يقول: "ابن عاشور(ت 1393 هـ): على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراد لله تعالى، ليقرأ القراء بوجوه فتكثر من ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزءا عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع"[3].

وعلى هذا الأساس فقد أفاد مفسرنا من اختلاف أوجه القراءات في توضيح المعاني القرآنية بأسلوب بياني ليس له نظير، حيث ظهر لنا جليا عنايته بالقراءات القرآنية من خلال توجيهها، و توضيح معانيها المتعدِّدة، وذلك باستخدام علوم البلاغة العربية لتجلية المعنى والكشف عن الفحوى، وقد بذل المفسِّر- رحمه الله- جهدا مشكورا في هذا المجال، وضمّن تفسيره الجانب القراءاتي كما قدّمنا، خدمة للتفسير القرآني وأسلوبه البياني.

---

[1]- الشعراوي: المرجع نفسه، ص82

[2]- الشعراوي:المرجع السابق، ص83

[3]- السامرائي:إياد بن صالح، الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في إتساع المعاني، نسخة الكترونية، ص19

خاتمة

خاتمة:

بعد هذه الرحلة العلمية التي عشنا فيها مع الشيخ الشعراوي في تفسيره مدة من الزمن، خرجنا بحصيلة علمية وافرة ونتائج مهمة، نعرضها على النحو الآتي:

* عرّفتنا هذه الدراسة على جوانب مهمة من حياة الشعراوي، نشأته ومؤلفاته ومناصبه، وطبيعة عصره.

* أبرزت الدراسة أهمية البيان، وما يتمتع به من مكانة عظيمة بين علوم العربية، بل يعدّ هو أسها الذي تفتقر إليه جميع العلوم، وإن أكثر العلوم حاجة إليه علم التفسير الذي لابد لمتعاطيه منه.

* أبانت الدراسة أن المنهج البياني في التفسير ظهر منذ نزول القرآن، وظهر عند القدامى كممارسات، لكنه تأصّل على أيدي المحدثين، الذين وضعوا له قواعد منهجية للسير فيه، وعلى رأسهم أمين الخولي وتلاميذه .

* أبرزت الدراسة بنوع من التفصيل ملامح المنهج البياني عند الشعراوي.

* استخدم الشعراوي العديد من المصطلحات البلاغية في تفسيره، كما أنه اعتنى بها وعرّفها وضرب لها أمثلة من القرآن الكريم.

* يحتاج الباحث في القضايا البلاغية في تفسير الشعراوي إلى إطلاع مسبق على علم البلاغة وفنونها، حتى يستطيع أن يخرج القضايا المودعة في تفسيره.

* كان للشعراوي إسهامات ومشاركات واضحة في القضايا اللغوية عموما، تنم عن عقلية فذة واعية مدركة لجمالية النص.

* تفرّد الشعراوي في تفسيره بتوجيهات بيانية قلّ لها نظير.

* نستطيع أن نقول بعد هذا، أن الإمام الشعراوي يعدّ بيانيا بارزا أسهم في إثراء التفسير القرآني حقا في هذا الجانب، كما احتوى على مادة علمية بلاغية زاخرة، الأمر الذي يدل على عناية بارزة منه بهذا الجانب في تفسيره.

التوصيات:

وأخيرا في نهاية الدراسة، نقترح أن يوثق ما ورد في التفسير، من تحقيق و ضبط، وأن تعاد طباعته وفقا للتفسير المسموع، وأن تستدرك فيه أخطاء الطبعات السابقة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- **ابن تيمية: التفسير الكبير**، تح: عبد الرحمان عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

- **ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير**، مكتبة التراث الإسلامي، مصر 1988.

2- ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تح: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلمية، ط 1، 1422هـ/2001م، بيروت- لبنان.

3- ابن منظور: لسان العرب، دار الأبحاث، ط1 2008، الجزائر، اعتنى به، خالد رشيد رضا.

4- أبو السعود: محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

5- أبو العينين سعيد: الشعراوي الذي لا نعرفه، دار الأخبار، ط4 نوفمبر1995م صيدا- بيروت.

6- أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، 1413هـ/1993م، بيروت- لبنان.

7- **أبو داود: سنن أبي داود**، بيت الأفكار الدولية، الموسوعة العلمية للكتب المصورة.

8- **أحمد البدوي: من بلاغة القرآن**، تاريخ النشر مارس2005م .

9- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1422هـ.

10- الأصفهاني الراغب: مفردات القرآن، دار المعرفة- بيروت.

11- البخاري: محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح،** تح: محب الدين الخطيب، ط1، 1400 هـ، المطبعة السلفية و مكتبتها.

- البخاري: محمد بن اسماعيل، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، لبنان، ط3، 1407هم1987م .

12- الجاحظ:عمرو بن قنبر،**البيان والتبيين،** تح: عبد السلام محمد هارون 1418هـ/1998م، مطبعة المدني، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.

13- الجرجاني عبد القاهر: أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

- **الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز**،علّق عليه، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط5، 2004 م.

15- الجرجاني:علي بن محمد، **التعريفات،** تح: إبراهيم الأبياري، دار إحياء الكتاب العربي.

16- الجوهري: الصحاح في اللغة، مكتبة مشكاة الإسلامية، ج2.

17- الحموي: ياقوت بن عبد الله، **معجم الأدباء،** دار المأمون- مصر،1936 .

- **الحموي:** ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان،** دار صادر- بيروت.

18- الزجاج: أبى إسحاق إبراهيم، **معانى القرآن وإعرابه،** تح: د/عبد الجليل الشلبي عبده، دار الحديث- القاهرة، ط1، 1414 هـ.

19- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

20- الزمخشري: جار الله بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** تح:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، ط1 ، الرياض 1418هـ 1998م .

21- السيوطي: جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن،** دار ابن كثير، دمشق، 1407هـ/ 1987.

22- الشعراوي: محمد متولي، **تفسير القرآن الكريم،** طبعة غير كاملة، تحتوي على 20 جزء.

- **الشعراوي:** محمد متولى، **المنتخب من تفسير القرآن الكريم،** دار العودة، بيروت- لبنان1981.

- **الشعراوي:** محمد متولي، **المختار من تفسير القرآن الكريم،** دار الشهاب، باتنة- الجزائر.

- **الشعراوي:** محمد متولي، **تفسير جزء عم،** دار الراية، 1429هـ /2008م.

23- العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية- بيروت 1402هـ.

24- القزويني: الخطيب، **الإيضاح في علوم البلاغة،** دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

25- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة: سلسلة إصدارات الحكمة، جمع وإعداد، وليد بن أحمد الحسين الزبيري وآخرون،ط1 ،1424 هـ/2003 م.

26- الهاشمي: السيد أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،** المكتبة العصرية ،ط1، 1999 م، صيدا- بيروت.

27- إيهاب عطا: الشعراوي اللغز، أجياد للخدمات الثقافية، ط1 2007م.

28- ابن عاشور الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر.

29- جعفر دك الباب: النظرية اللغوية العربية الحديثة، إتحاد الكتاب العرب 1996 م، دمشق.

30- عبد العزيز بن صالح العمّار: **التصوير البياني في حديث القرآن عن** القرآن، ط1، 1427 هـ/2006، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

31- عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف بمصر،1919 م.

- **عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم،** دار المعارف، ج1،ط7 .

32- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المقدمة، ط2009،2، دار صادر- بيروت ج1.

33- عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد رمزلى، ط1415،1 هـ/1995م، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

34- فاضل صالح السامرائي :على طريق التفسير البياني، النشر العلمي،جامعة الشارقة، 1423 هـ/2002 م.

35- كرمة البستاني: البيان، مكتبة صادر – بيروت، جميع الحقوق محفوظة.

36- محمد رجب البيومي: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، سلسلة البحوث الإسلامية، 1391هـ/1971م .

37- محمد زايد: مذكرات إمام الدعاة، دار الشروق ط3، 25 يوليو1998م.

38- محمد عبده: تفسير المنار، دار المنار، ط2، 1366 هـ/ 1947 م القاهرة.

39- **مسلم:** الحجاج بن مسلم، **الجامع الصحيح،** الطبعة التركية.

40- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، ط7، القاهرة.

1397هـ/1977

الرسائل الجامعية:

1- **الزهراني: أثر الدلالات اللغوية في التفسير،** عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، رسالة دكتوراء،1426 هـ/1727 هـ، جامعة أم القرى، السعودية.

2- **ماجد ابراهيم حمدان:** موقف الشيخ الشعراوي من قضايا العقيدة عرض ونقد، إشراف: محمود يوسف الشوبكي، رسالة ماجستير كلية أصول الدين، جامعة الإسلامية، غزة، 1423هـ2002م.

3- **السامرائي:** إياد بن صالح، **الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني**، نسخة الكترونية.

4-فهد بن سليمان الرومي: إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري ،رسالة درجة الدكتوراء، إشراف د/ مصطفى مسلم محمد، 1404هـ- 1405هـ، كلية أصول الدين.

5- **محسن:** رولى محمد أحمد، **منهج الشيخ محمد متولى الشعراوي في تفسير القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الفقهية والقانونية بجامعة آل البيت إشراف :أحمد عباس البدوى،19 -1-2000م.

6- محمد رضا حسن الحسن: الاتجاه البياني في تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، رسالة ماجستير، كانون الثاني،2003م، الأردن،إشراف: مصطفي إبراهيم المشيني.

مراجع أخرى:

تفسير الشيخ الشعراوي، نسخة صوتية من إنتاج شركة ميديا بروتك، الموقع الإلكتروني: Www@médiaprotec.com.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	رقم الآية	الآيـــــــــــــــــــــــــة	السورة	الصفحة
1	10	﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾	الحجرات	4
2	3	﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾﴾	الرحمن	9
3	187	﴿۞ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ﴿١٨٧﴾﴾	البقرة	11
4	52	﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَل يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾	المدثر	15
5	49	﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾	المدثر	16
6	64	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾	محمد	18
7	174	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾	البقرة	21
8	108	﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾	المؤمنون	22
9	33	﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾	الفرقان	24

10	17	﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾	القمر	26
11	5	﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾	لنبأ	48
12	6	﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾﴾	التكاثر	48
13	20	﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾	النبأ	49
14	3	﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾	التكوير	49
15	47	﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾	الكهف	49
16	10	﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾	الطور	49
17	18	﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾	النبأ	50
18	15	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾	الأعلى	51
19	13	﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾	الأعلى	51
20	5	﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾	المسد	51
21	3	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾	النصر	52
22	2	﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾	الملك	54
23	2	﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾	الانفطار	56

24	54	﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾	فصلت	56
25	14	﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾	النبأ	57
26	67	﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾	المرسلات	57
27	43	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾	النور	57
28	22	﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾	الحجر	57
29	2	﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾	الفاتحة	58
30	8	﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾﴾	النبأ	58
31	2	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾	سبأ	59
32	1	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾	فاطر	59
33	1	﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾	الإخلاص	59
34	41	﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾	فاطر	59
35	22	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴿٢٢﴾﴾	الأنبياء	60
36	67	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾	النبأ	61

37	5-14	﴿ ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾	النازعات	65
38	102	﴿ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٢ ﴾	الشعراء	72
39	58	﴿ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨ ﴾	الزمر	72
40	5-1	﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ ﴾	النازعات	76
41	6-1	﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ ﴾	الذاريات	77
42	7-1	﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ ﴾	المرسلات	77
43	213	﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۝٢١٣ ﴾	البقرة	77
44	38	﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٣٨ ﴾	البقرة	78
45	4	﴿ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٞ ۝٤ ﴾	ق	87
46	67	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ۝٢٧ ﴾	الروم	88
47	7	﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾	الضحى	97-98

48	45	﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥ ﴾	النازعات	98
49	2	﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ﴾	الشرح	98
50	7	﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧ ﴾	الطارق	98
51	36	﴿ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦ ﴾	النبأ	100-101
52	260	﴿ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ٢٦٠ ﴾	البقرة	101
53	1	﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ﴾	الأعلى	105
54	1	﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ ١ ﴾	الإسراء	105
55	18	﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ١٨ ﴾	آل عمران	105
56	1	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾	الحشر	105
57	1	﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ ﴾	الجمعة	105
58	4	﴿ ٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤ ﴾	الطارق	107
59	14	﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ ١٤ ﴾	الحجرات	108
60	64	﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ ﴾	هود	108
61	2	﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ ﴾	المجادلة	109
62	25	﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥ ﴾	النبأ	110

63	7	﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾	النبأ	111
64	10	﴿۝٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠﴾	الغاشية	113
65	11	﴿لَّا يَسۡمَنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ۝١١﴾	الغاشية	113
66	195	﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥﴾	الشعراء	115
67	46	﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٦﴾	الدخان	116
68	65	﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾	الصافات	116
69	1	﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾	النبأ	117-118
70	6	﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦﴾	النبأ	118
71	5	﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾	الفاتحة	118
72	152	﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ۝١٥٢﴾	البقرة	119
73	40	﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾	البقرة	119
74	40	﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٤٠﴾	التوبة	119
75	62	﴿۝٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢﴾	الشعراء	119
76	11	﴿۞ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾	فاطر	120
77	17	﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	الطارق	120

		﴿أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًا ١٧﴾		
78	50	﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠﴾	النمل	121
79	40	﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ٤٠﴾	الشورى	121
80	126	﴿١٢٥ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾	النحل	121
81	1	﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾	النحل	122-130
82	3-1	﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾	النصر	122-123
83	45	﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾	القمر	123
84	2	﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢﴾	الفتح	123
85	16	﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾	غافر	130
86	187	﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٧﴾	الأعراف	131
87	98	﴿أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾	الأعراف	132
88	13	﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي	آل عمران	136-

		سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣		137

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	الحديث	الصفحة
1	**(إن من البيان لسحرا)**	أ
2	**(أوتيت جوامع الكلم)**	**12**
3	**(يا معاذ سألت عن عظيم من الأمور...)**	**50**
4	**(هلك من كان قبكم بأنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد)**	**61**
5	**(إذا سبق ماء الذكر ماء الأنثى نزع....)**	**95**

فهرس المضامين

العنوان الصفحة

مقدمة أ

المدخل

الشيخ الشعراوي رحلة حياة

1- حياته 1

- اسمه ونشأته.....1

- الحياة العلمية و العملية.....2

2- تصور عن طبيعة عصره.....3

- الحياة السياسية.....3

- الحياة العلمية والثقافية.....4

3- التعريف بتفسيره..... 5

- مصادره فيه.....6

- طريقته في التفسير.....7

4- رحل ومازال بيننا.....8

- آثار ومأثورات.....8

- وفاته.....10

فهرس المضامين

الفصل الأول

التفسير البياني من النشأة إلى التأصيل

- **المبحث الأول: قضايا البيان القرآني**

5- المطلب الأول: أهمية البيان في التفسير.....11

- تعريفه.....11

6- المطلب الثاني: مسار التفسير البياني.....14

7- المطلب الثالث: مباحث البيان وأثرها في إجلاء المعنى.....19

- التشبيه.....19

- الاستعارة.....24

- تعريف الاستعارة المكنية.....25

- الكناية.....27

المبحث الثاني: مفهوم التفسير البياني وخطوات السير عليه

8- المطلب الأول: تعريفه وتطوره.....32

- تعريف التفسير البياني.....32

- تطور التفسير البياني.....33

9- المطلب الثاني: تأصيل هذا المنهج.....36

10- المطلب الثالث: خطوات السير على المنهج البياني فى التفسير..... 40

الفصل الثاني

الاتجاه البياني عند الشيخ الشعراوي

المبحث الأول :ملمحية التفسير البياني للمعاني القرآنية من خلال نماذج من السور القصار

11- المطلب الأول: خصائص العرض التفسيري في منهج الشعراوي.....50

12- المطلب الثاني: مقارنة بين منهج الشعراوي و البيانيين 64

- الزمخشري.....65

- عائشة عبد الرحمن.....67

- الشيخ الشعراوي..... 75

13- المطلب الثالث :التفسير البياني عند الشعراوي بين التقليد والتجديد.....89

- مظاهر التقليد.....89

- مظاهر التجديد.....92

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية تحليلية لنماذج من السور القصار

14- المطلب الأول: تتبع المنهج البياني وعلاقته بفهم الدلالات عند الشعراوي.....101

- الدلالات اللغوية.....102

- الدلالات البلاغية.....106

15- المطلب الثاني: تعانق النحو والبلاغة في ترسية المعاني عند الشعراوي.....110

- اعتماده على البلاغة..... 112

- اعتماده على النحو.....117

16- المطلب الثالث: أثر القراءات في البيان عند الشعراوي.....122

17- خاتمة.....133

18- قائمة المصادر والمراجع.....134

19- فهرس الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية.....140

- ملخص الدراسة

- فهرس المضامين